بسم الله الرحمن الرحيم

جامعـــة أم درمـــان الإسلامية

كليـــة الدراســـات العليـــا

كليـــة اللـغـــة العربيـــة

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

بحث بعنوان:ـ

عبد الصمد بن المعذّل وفنونه الشعرية

لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إعداد:ـ

إشراقة عثمان أحمد موسى

إشراف:ـ

أ.د. بابكر الجزولي عثمان

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالي:-

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿ ﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿ ﴾
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿ ﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

صدق الله العظيم

سورة طه (من الآية : ٢٥-٢٨)

الإهداء

إلي والديّ أطال الله بقاءهما ...

إلي ،،،،،،،

زوجي الدكتور / محمد زروق

إلي،،،،،،،

أبنائي أريج وأيمن وأسيل

إلي،،،،،،،

روح أختي سمية طيب الله ثراها

إشـــــراقــة

الشكر والتقدير

أتقدم بشكري الجزيل إلى والديّ الذين ما فتئا يشحذان همتي مذ كان هذا البحث فكرة إلى أن حان قطف ثماره سائلين الله لي التوفيق والسداد...

والشكر والعرفان بلا حدود إلي أستاذي الأستاذ الدكتور بابكر الجزولي عثمان الذي أشرف على هذا البحث فقد كان نعم المرشد والموجه بأفكاره الثاقبة وآرائه السديدة التي أفدت منها أيما فائدة ، فجزاه الله عني وطلاب العلم خير الجزاء . والتحية والتجلة لأسرته الكريمة علي أريحيتها وحفاوتها...

والشكر موصول إلي زوجي الدكتور/ محمد زروق الحسن على ما بذله معي من جهد جم دون كلال أو ملال شاداً من أزري فكم أخذت من جهوده المخلصة في توفير المصادر والمراجع ومتابعة طباعة البحث جيئة وروحاً ، فجزاءه الله خيراً،،

والشكر أجزله لكل أفراد أسرتي وأخص بالذكر أخويّ الصادق عثمان ومحمد عثمان ..

سائلة الله جل وعلا أن يجعله عملاً خالصاً لوجه الكريم..

فهرست الموضوعات

الرقم	المحتوى	رقم الصفحة
١	الآية	أ
٢	الإهداء	ب
٣	الشكر والتقدير	ج
٤	فهرست الموضوعات	د - و
٥	**المقدمة**	ز - ح
٥	**Abstract**	ط - ي
٦	**التمهيد: الحياة الأدبية قبل عصر ابن المعذل**	١-٣
الفصل الأول : عصر وحياة عبد الصمد بن المعذل		
٧	**المبحث الأول**	٥-١١
٨	عصر عبد الصمد بن المعذل	٦-١٠
٩	**المبحث الثاني**	١٢-٢٦
١٠	حياة عبد الصمد بن المعذل	١٢-٢٤
١١	اسمه ونسبه	١٢
١٢	أسرته	١٢-١٣
١٣	مولده	١٣
١٤	نشأته وتعليمه	١٤-١٥
١٥	حياته	١٥-١٦
١٦	وفاته	١٧
١٧	مكانته الشعرية	١٧-٢٢
١٨	مصادر دراسة ابن المعذل	٢٢-٢٦
الفصل الثاني: فنون عبد الصمد بن المعذل الشعرية		
٢٠	**المبحث الأول**	٢٨-٥٢
٢١	فن الوصف	٢٨
٢٢	المطلب الأول : وصف الطبيعة	٢٩
٢٣	وصف الرياض والبساتين	٢٩
٢٤	وصف الحيوان	٣٠-٣٤
٢٥	المطلب الثاني : موصوفات أخرى	٣٤-٣٨
٢٦	وصف مجلس الشرب	٣٩-٤٣

٢٧	وصف الحمى	٤٣-٤٩
٢٨	وصف الشيب	٤٩-٥١
٢٩	وصف الطيف	٥١
٣٠	وصف السفينة – الهلال – البرد	٥٢
٣١	**المبحث الثاني : فن الهجاء**	٥٤-٦٨
٣٢	**المبحث الثالث: فن الغزل**	٧٠-٨٠
٣٣	**المبحث الرابع: فنون أخرى**	٨٢
٣٤	المطلب الأول : فن الرثاء	٨٢-٨٩
٣٥	المطلب الثاني : فن الأخوانيات	٨٩-٩٣
٣٦	المطلب الثالث	
٣٧	فن المدح	٩٣-٩٧
٣٨	فن الفخر	٩٨-١٠٠
٣٩	فن الحكمة	١٠١-١٠٤
الفصل الثالث : الدراسة الفنية لشعر عبد الصمد بن المعذل		
٤٠	**المبحث الأول : بناء القصيدة**	١٠٧
٤١	تمهيد	١٠٧
٤٢	المطلب الأول : خاتمة القصيدة	١٠٨-١١٤
٤٣	المطلب الثاني : وحدة القصيدة	١١٥-١٢١
٤٤	**المبحث الثاني : الصور الفنية**	١٢٣-١٦٨
٤٥	تمهيد حول مفهوم الصور الفنية	١٢٣-١٢٦
٤٦	المطلب الأول : التشبيه ودوره في تشكيل الصورة الفنية	١٢٧-١٣٦
٤٧	المطلب الثاني : الاستعارة ودورها في تشكيل الصورة الفنية	١٣٧-١٤٣
٤٨	المطلب الثالث: الكناية ودورها في تشكيل الصورة الفنية	١٤٤-١٤٧
٤٩	المطلب الرابع : البديع	١٤٨-١٤٩
٥٠	رد العجز على الصدر	١٤٩-١٥٢
٥١	الجناس	١٥٢-١٥٥
٥٢	الطباق	١٥٥-١٥٩
٥٣	التصريع	١٥٩-١٦١

٥٤	التضمين	١٦١-١٦٥
٥٦	المقابلة	١٦٦-١٦٧
٥٧	حسن التقسيم	١٦٧
٥٨	**المبحث الثالث: الموسيقى الشعرية**	١٧٠
٥٩	المطلب الأول: البحور الشعرية	١٧٠-١٩٢
٦١	المطلب الثاني	١٩٣
٦٢	القافية : أنواع القوافي	١٩٣-٢٠٢
٦٣	عيوب القوافي	٢٠٢-٢٠٤
٦٤	أخطاء القوافي	٢٠٤
٦٥	**المبحث الرابع : المعجم الشعري**	٢٠٤
٦٦	ألفاظ الوصف	٢٠٤-٢٠٧
٦٧	ألفاظ الغزل	٢٠٨-٢١٢
٦٨	ألفاظ الهجاء	٢١٣-٢١٤
٦٩	ألفاظ الرثاء	٢١٥
٧٠	ألفاظ الشكوى	٢١٦
٧١	ألفاظ الاعتذار	٢١٧
٧٢	الألفاظ المعربة	٢١٧-٢١٨
٧٣	ألفاظ الأماكن	٢١٨-٢٢٠
٧٤	الألفاظ الإسلامية	٢٢٠
٧٥	**الخاتمة**	٢٢٣
٧٦	**ثبت المصادر والمراجع**	٢٢٧

مقدمة البحث

أهمية الموضوع:

كانت أول معرفة لي بشعر عبد الصمد بن المعذَّل خلال قصيدته في وصف الحُمَّى (هجرت الهوى أيما هجرة ...) حين تناولها القاضي الجرجاني في كتابه [الوساطة بين المتنبي وخصومه] في معرض حديثه عن قصيدة المتنبي في الموضوع نفسه (ملومكما يجل عن الملام ...). ومنذ ذلك التاريخ جعلتُ أبحث عن ديوان شاعرنا ابن المعذَّل إلى أن حالفني الحظ في الحصول عليه محققاً، وعندئذٍ قوي عزمي على دراسة شخصيته وإبراز فنونه الشعرية، خدمةً لتراثنا الأدبي المتميز عبر القرون.

تكمن أهمية دراسة شعر ابن المعذَّل في أنه لم يطرقه الأقدمون بالدرس والتحليل إلاّ قليلاً من خلال ترجمتهم له، رغم أنَّ المرزباني ألَّف كتاباً سمّاه [أخبار عبد الصمد بن المعذَّل] ذكره ابن النديم في الفهرست، غير أنّه مفقود. أمّا الدارسون المحدثون فقد ذكروه مترجمين له مكررين ما ذكره الأقدمون عنه، ومما تقدم يتضح أن عناية الأقدمين والمحدثين بشاعرنا لم تتجاوز الترجمة له وبعضاً من أخباره، ولهذا ففي هذه الدراسة إبراز لجوانب مهمة من حياة وشعر ابن المعذَّل.

وجدير بالذكر أنَّ الباحثين لم يتناولوا ابن المعذَّل بدراسة مستقلة، بل اكتفى بعضهم بتعليقات عامة عن شعره في نذرٍ يسيرٍ من مؤلفاتهم، وعلى صفحات الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت).

منهج البحث:

نهض البحث بدراسة شخصية عبد الصمد بن المعذَّل وفنونه الشعرية مشتملاً على تمهيد بعنوان [الحياة الأدبية قبل عصر ابن المعذَّل] وثلاثة فصول مستخدمة المنهج التاريخي ومستعينة بالمناهج الأخرى عند الحاجة. تناولتُ في الفصل الأول عصر ابن المعذَّل وحياته، ولمّا كان الحديث من الطول بمكان عن العصر العباسي الأول وهو عصر ابن المعذَّل، لذا كان الحديث عن الحياة الثقافية وخاصةً في البصرة موطن شاعرنا، أما حياته فتناولتُ فيها مولده ونشأته وأسرته إلى وفاته، ذاكرة أخباره في ثنايا ذلك.

الفصل الثاني أفردتُه لدراسة فنونه الشعرية، وقد اشتمل على أربعة مباحث، المبحث الأول: فن الوصف، المبحث الثاني: فن الهجاء، المبحث الثالث: فن الغزل والمبحث الرابع: فنون أخرى [المطلب الأول: فن الرثاء، المطلب الثاني: فن الإخوانيات، المطلب الثالث: المدح، الفخر، الحكمة].

الفصل الثالث: الدراسة الفنية. واشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: بناء القصيدة، مشتملاً على مطلبين: المطلب الأول: خاتمة القصيدة والمطلب الثاني: وحدة القصيدة، لأنّ شاعرنا ابن المعذَّل لم ينهج نهج القدماء ولا منهج المحدثين في عصره بالتقديم لقصائده بل كان يباشر موضوعه، ولذلك لا مقدمات ولا تخلصات عنده.

المبحث الثاني: أفردتُه للصور الفنية، وقسمتُه إلى أربعة مطالب: المطلب الأول: التشبيه ودوره في تشكيل الصورة الفنية، المطلب الثاني: الاستعارة ودورها في تشكيل الصورة الفنية، المطلب الثالث: الكناية ودورها في تشكيل الصورة الفنية، المطلب الرابع: البديع وعناصره اللفظية والمعنوية.

المبحث الثالث: الموسيقى الشعرية، وقسمته إلى مطلبين: المطلب الأول: البحور الشعرية، المطلب الثاني: القافية.

المبحث الرابع: تناولتُ فيه المعجم الشعري، وعنيتُ فيه برصد أكثر الألفاظ دوراناً على لسانه.

ثم ختمتُ البحث بخاتمة أوجزتُ فيها أهم نتائجه، ثم ثبت للمصادر والمراجع التي وردت في هوامشه.

Abstract

Here is a brief summary of the results of the study of Abdel Samad Bin Al Muazal and his poetic arts.

He was Abasian poet, one of Al Basara remarkable poets and a famous funny man. His fame was extinguished by the rise of Abu Tamam.

He tried different poetic arts among them description and he was best in it, specially describing date trees and fever. Besides, he described fields, animals, drinking sessions, fever, grey hair, youth, ship, cold and image.

He was good in satire, specially his friends, without grudge or tribal fanaticism.

He did much of sensuous flirtation especially of bondwomen and males.

He lamented Saeed Bin Salam, Amro Bin Saeed and a man called Abu Salamah.

He called for maintaining cordiality among friends and he also admonished them.

He also praised Saeed Bin Salam, Ibrahim Bin Rabah and his son.

He was proud of himself and his attributes and tried a little wisdom poetry.

His character represents the urban, unethical and vastates character.

His pomes weren't written in a traditional ways, therefore we tackled the construction of his poems in two fields; the conclusion and the poem unity.

The conclusion is of two types; good**:** confirming the end of speech and another one is open.

He was the best in pomes topics. His artistic images concerned with resemblance and he took his pictures from the surrounding environment in accordance with characterising and incarnation.

The rhymes were open, limited or broken.

The major words that repeat themselves in his lexicon were satire, description, wooing and lamentation.

He was of middle class poet among others at his time, he wasn't a great one and doesn't go down as one of the weak.

تمهيد

الحياة الأدبية قبل عصر ابن المعذَّل

ليس من اليسير دراسة الأدب دراسة منهجية دون أن نعرف ما حوله من جوانب الحياة التي يتأثر بها ويؤثر فيها تأثر الشخصية بالواقع الذي يعيش فيه ، ولمَّا كان الناس أبناء واقعهم تحتم علي دراسة الأدب ليفهم شخصية المبدع وأدبه ألا يفصل دراسة العصر الذي نشأ فيه الشاعر وتأثر بما حوله، فيبدو أدبه مرآة للجو السياسي الذي أحاط به، والحياة الاجتماعية التي تربي فيها، والحالة الفكرية الأدبية التي تثقف منها واستنشق عبيرها إلي غير هذه الظروف المحيطة التي يتردد ذكرها في أدب الفنان مصوراً لا متأثر بها معبراً عن رؤيته الخاصة[١].

الحياة الأدبية قبل عصر ابن المعذَّل هي بداية العصر العباسي الأول ويمتاز الأدب في هذا العصر بظهور آثار الحياة العقلية فيه، وبصدق تمثيله للحياة الاجتماعية وبكثرة الحكم وإخبار الزهاد فيه ، وبتأليف الكتب الجامعة في الأدب ، وأظهر ما يتحلي فيه إبداع التصوير واتساع الخيال والمبالغة الشديدة والإكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية[٢].

وفي هذا العصر نبعت الفنون الإسلامية وازدهرت الآداب وترجمت الثقافات الأجنبية ، وقامت المدارس في كل مكان ، تثقف العقول وتهذب النفوس وتحض علي المعرفة ، ويجلس في حلقاتها المسلمون علي اختلاف عناصرهم وألوانهم وبيئاتهم .

وفيه عاش أئمة العلم والأدب والفكر يؤدون رسالتهم ويبنون لأمتهم مكانها الرفيع في عالم الفكر الإنساني ويؤثلون للحضارة مجدها الزاهي ويدفعون للفكر منارته السامقة[٣].

---

[١] د. علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي طبع دار المعارف – مصر الطبعة الأولي ص ٧، ١٩٨١م.

[٢] إبراهيم رفيدة : الأدب العربي وتاريخه (في العصر الأموي والعباسي الأول) الطبعة ١ ،القاهرة مكتبة القاهرة، ص ٧٨،١٩٦٦م.

[٣] د. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي – الجزء الثالث الخلافة العباسية ، العصر العباسي الأول الطبعة الأولي، ١٩٩٦م مكتبة النهضة المصرية ص ٤.

وهكذا يمتاز العصر العباسي الأول بغلبة العناصر الفارسية نحواً من مائة عام، ثم بغلبة العناصر التركية مائة عام أخرى كي يمتاز بتجمع الثقافات وظهورها في الثقافة العربية، وبحرية الفكر ونفوذ المعتزلة وسلطانهم وبازدهار النهضة العلمية والأدبية وظهور الأئمة الفحول في العلوم والآداب وتشجيع الخلفاء والأمراء والوزراء للعلم والأدب. كما يمتاز بنهضة النشر والشعر نهضة ليس لها مثيل في تاريخ لغة العرب[١].

وتحيز المال في جانب الحكام والأمراء جعل الأدب يستمر في اتجاهه القديم إلي ناحيتهم، ويسير في ركابهم يعلي من شأنهم ويتغني بذكرهم ، وغلب ذلك علي أكثر أدب العصر وبخاصة نتاج أولئك الذين اتصلت أسبابهم بالقصور وذاقوا في رحابها حلاوة النعيم. وبعد ذلك العصر استمر الأدب في النمو الازدهار علي الرغم من انقسام الخلافة وضعفها ويرجع هذا الازدهار إلي تنافس الدول والأمارات الإسلامية في تشجيع الأدباء والشعراء، وتمثلهم لبغداد وخلافة بغداد في العمل علي إحاطة عروشهم بالمفكرين وأعلام الشعر والأدب[٢].

وانغماس الأدباء في الحضارة ومشاركتهم في لهوها الخليع، ومجونها السافر مكن لهم من تصويرها في جميع جوانبها ، فوصفوها في مظاهرها الرائعة وفي مباذلها الوضيعة ، وملأ شعرهم بالتحريض علي متع الحياة وتحسين الخلاعة والمجون في صراحة مكشوفة وعري فاضح وابتذال مهين ، وهكذا انتقل من الصحاري المجدية والخيام المطنبة إلى الرياض والغياض والقصور والزهور[٣].

كذلك كان الشعراء أبلغ من تأثر بذلك كله، وأول من استجاب إلي هذه الحياة الجديدة، لأن نفوسهم أعلق بالترف وألصق بالمدنية وهم كذلك أقرب إلي الخلفاء ،ولهذا رأينا الشعر يحلق في كل أفق ويغرد فوق كل فنن فهو ينادم علي الشراب ويعاقر كؤوس الأحباب.

---

[١] إبراهيم رفيدة : الأدب العربي وتاريخه ص ٤

[٢] د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، طبع دار المعارف مصر ، الطبعة الرابعة عشر ص ١٤٦

[٣] إبراهيم رفيدة : ص٧٩

وهكذا يتطور الشعر بتطور الأمة العربية ويتدرج مع الحياة الإنسانية ، فيكون في الجاهلية أنغام صبي ،وحماسة فتوة، وعواطف أثرة، وفي الإسلام أناشيد جهاد وثورات عصبية، وأطماع حياة ثم يستعيد شبابه ويكتمل في صدر الدولة العباسية فيظهر في شعر بشار، وأبي نواس وأضرابهما ، عبث شباب وأغاني طرب ومظاهر ترف[١] .

وظهر في هذا العصر تياران في الشعر لكل منهما خصائصه ومميزاته:- تيار الشعر البدوي بما يشتمل عليه من خصائص فكرية وفنية ، وتيار الشعر الحضري بما يتميز به من سمات وخصائص[٢].

---

[١] إبراهيم رفيدة ص ٨١

[٢] نفسه ص ٨٣.

الفصـــــــل الأول

عصـــــر وحيـــاة عبد الصمد بن المعذَّل

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: عصر عبد الصمد بن المعذَّل

المبحث الثاني: حياة عبد الصمد بن المعذَّل

المبحث الأول

عصر عبد الصمد بن المعذَّل

عبد الصمد بن المعذَّل شاعر عباسي من شعراء العصر العباسي الأول، أدرك عدداً من الخلفاء العباسين في مقدمتهم الأمين والمأمون والمعتصم بالله والواثق بالله والمتوكل بالله، وكان هذا العصر ذاخراً بالأحداث السياسية العنيفة التي أورثت القلق والاضطراب ، كما أنه كان غنياً بالعلم والأدب والفن ، فهو قد ضم النقيضين إذ كان أوان النماء للدولة العباسية جاء بعيد التمهيد وقبيل النضج والذبول ففيه نما وأزدهر كل ما بذره مؤسسو الدولة من أسباب الخير والشر وعناصر الصلاح والفساد[١].

ولعل من أبرز أحداث هذا العصر هو الخلاف الحاد بين الأخوين الأمين والمأمون فلم يكد ينتقل الرشيد إلي جوار ربه حتى نشب النزاع بين الأخوين وانتهي بمقتل الأمين والسبب في ذلك أن الرشيد قد قسم الإمبراطورية سنة (١٧٥هـ) بين الأمين والمأمون ، فأوصي للأمين بالملك غرب الإمبراطورية حيث يسود العنصر العربي ويكثر أنصار الأمين ، وأوصي للمأمون بالملك علي شرقي الإمبراطورية حيث يكثر العنصر الفارسي وأنصار المأمون ، ويبدو أن القسمة علي هذا الشكل كانت راجعة إلي أن أم الأمين كانت عربية بينما أم المأمون كانت فارسية. وبعد مقتل الأمين عادت وحدة الإمبراطورية تحت سلطة المأمون[٢].

وعصر المأمون من أزهى عصور الدولة العباسية فقد كان حر الفكر شغوفاً بالمعرفة ، ولم يكد يستقر في بغداد حتى جعل من مجلسه ندوة علمية كبيرة يتحاور فيها ويتناظر الفقهاء والمتكلمون والعلماء من كل صنف[٣].

وخلف المأمون أخوه المعتصم سنة ٢١٨هـ وفتح أبواب الجيش التركي للأتراك ليقاوم بهم النفوذ الفارسي ولكن لما كثر الجند الأتراك في بغداد كثر شغبهم فيها فبني

---

[١] العقاد : ابن الرومي حياته من شعره الطبعة الرابعة القاهرة ص ١١

[٢] عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ط السادسة سنة ١٩٩٢م ص ٣٦ أنظر هذا الخلاف في الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري): تاريخ الرسل والملوك الجزء السابع – القاهرة المطبعة الحسينية ١٣٣٦ ص ٢ ، والمسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت ٤٣٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة مصر ص ٣٠٢

[٣] د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول طبع دار المعارف مصر، الطبعة الرابعة عشر ص ٣٨

لهم المعتصم مدينة سامّرا (علي أربعين كيلومتر شمال بغداد) لتكون لهم معسكراً . ويحسن أن نذكر أن أم المعتصم كانت تركية ، من أجل ذلك أصبحت سامرا في فترة من الزمن عاصمة للخلافة العباسية وقد حدث في خلافة المعتصم حدثان هامان : القضاء علي فتنة بابك الخُرمّي وقطع دابر الفتن السياسية الدينية ، ثم فتح عمورية (في آسيا الصغري) وخضد شوكة الروم وخلف المعتصم اثنان من أولاده : الواثق سنة (٢٢٧هـ) والمتوكل سنة (٢٣٢هـ)[١].

من الطبيعي أن يكون العصر العباسي الأول أنسب العصور ملاءمة للنهضة الثقافية ، فقد بدأ الاستقرار فيه وانتظم ميزان الأمة الاقتصادي ، وكانت النهضة العلمية في العصر الأول تتمثل في ثلاثة جوانب ، الجانب الأول هو حركة التصنيف ومن أشهر المصنفين في هذا العصر الإمام مالك الذي ألف الموطأ وابن اسحق الذي كتب السيرة والإمام أبو حنيفة، والجانب الثاني هو تنظيم العلوم الإسلامية ، فقد شهد هذا العصر ميلاد علم تفسير القرآن وفصله عن علم الحديث ، وعاش في هذا العصر أئمة الفقه الأربعة : الإمام أبو حنيفة (١٥٠هـ) والإمام مالك (١٧٩هـ) والإمام الشافعي (٢٠٤هـ) والإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، وحفل هذا العصر أيضاً بأئمة النحو وظهرت في علوم اللغة مدرستان علميتان هما : مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة فقد عاش في هذا العصر من أئمة النحاة البصريين عيسي بن عمر الثقفي (١٤٩هـ) وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) والخليل بن أحمد (١٧٥هـ) والأخفش (١٧٧هـ) وسيبويه (١٨٠ للهجرة) ويونس بن حبيب (١٨٢هـ) ومن الأئمة الكوفيين أبو جعفر الرؤاسي ، والكسائي ، والفراء (٢٠٨هـ) كما قويت في العصر العباسي الأول فكرة استقلال علم السيرة عن الحديث، ووجدت من ينفذها تنفيذاً علمياً دقيقاً وهو محمد بن اسحق (١٥٢هـ) وكتابه في السيرة من أقدمها في هذا الموضوع، واختصره بن هشام (٢١٨هـ) في كتابه المعروف بسيرة ابن هشام، ومن أشهر من صنف في التاريخ في هذا العصر العلامة محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) فقد ألف كتاب التاريخ الكبير الذي اعتمد عليه الطبري كثيراً حتى حوادث ١٧٩ . أما الجانب الثالث هو الترجمة من اللغات الأجنبية ففي عام ١٤٥ للهجرة وضع المنصور حجر

---

[١] عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ص٣٦.

الأساس للعاصمة الجديدة بغداد وجمع حوله صفوة العلماء من مختلف النواحي وشجع على ترجمة كتب العلوم والآداب من اللغات الأخرى إلي اللغة العربية واستجاب له كثير من الباحثين من أبرزهم ابن المقفع الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة وأنشئ في هذا العصر بيت الحكمة وهو أول مجمع علمي ومعه مرصد ومكتبة جامعة وهيئة للترجمة وصل إلى أوج نشاطه العلمي في التصنيف والترجمة في عهد المأمون الذي ولاه عناية فائقة ، ووهبه كثيراً من ماله ووقته وكان يشرف على بيت الحكمة قيم يدير شئونه، ويختار من بين العلماء المتمكنين من اللغات وضم بيت الحكمة إلي جانب المترجمين النساخين والخازنين الذين يتولون تخزين الكتب والمجلدين وغيرهم من العاملين[1].

ولمَّا كان شاعرنا ابن المعذَّل شاعراً بصرياً حضرياً فمن الأهمية بمكان أن نذكر شيئاً يسيراً عن حياة البصرة، فقد امتازت في هذا العصر بسوق باديتها المعروف باسم المربد وكان منهلاً لشباب البصرة يغدون عليه ويروحون للقاء الفصحاء من الأعراب والتحدث إليهم تمريناً لألسنتهم وتربية لأذواقهم ومحاولة لإكتساب السليقة العربية المصفاة من شوائب العجمة.

وكانت المساجد ساحات العلم الكبرى فلم تكن بيوتاً للعبادة فحسب بل كانت أيضاً معاهد لتعليم الشباب وكان للبصرة وتبعتها الكوفة، البدء الطولي في العناية بعلوم النحو واللغة فكانت مدرسة البصرة ونحاتها من أمثال أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة وابن سلام الجمحي وغيرهم[2].

كان الشاعر العباسي يحول إلي نفسه نماذج الشعر القديم بكل خصائصها وكل شاراتها، يعينه في ذلك اللغويون فقد وضعوا للشعراء أقيسة اللغة في الاشتقاق والتصريف والنحو وموسيقي الشعر وعروضه وبذلك وضعوا في أيديهم جميع الآلات

---

[1] الدكتور أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي – الجزء الثالث – الخلافة العباسية ، العصر العباسي الأول – ا لطبعة الحادية عشر ١٩٩٦م – مكتبة النهضة المصرية ص ١-٤ (بتصرف) (موقع علي الانترنت)

[2] شوقي ضيف – العصر العباسي الأول – ص ١١٩-١٢٠ (بتصرف) وأنظر أحمد أمين ضحي الإسلام – الجزء الثاني ص ٤٩ -٧٢ ، الطبعة السادسة القاهرة – ١٩٦١م

التي تعينهم لا على التثقيف بالعربية والتدرب عليها فحسب بل أيضاً علي أن يتقنوا التعبير بها والتصرف فيها حسب حاجاتهم الوجدانية والعقلية والحضارية[١].

ولعلنا لا نغلوا إذا قلنا إن اللغويين هيَّأوا للشاعر العباسي من العلم بالشعر القديم ما لم يكن يتهيأ لأصحابه أنفسهم فقد جمعوه له وكشفوا مادته من جميع أطرافها وأخذت تزدهر من جديد وهو ازدهار نفذ منه العباسيون إلى أسلوب لهم حديث عرف باسم أسلوب المولدين قام على عتاد من القديم وعدة من الذوق الحضري الجديد، أسلوب يحافظ على مادة اللغة ومقوماته التصريفية والنحوية ويلائم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة بحيث تنفي عن ألفاظ العامة المبتذلة كما تنفي عنه ألفاظ البدو الوحشية وبشار في طليعة من أرسوا هذا الأسلوب المولد الجديد[٢].

وموضوعات الشعر القديمة تتجدد تجدداً واسعاً في معانيها فقد أخذت تعرض بصورة أدق وأعمق وأخذت تدخل عليها إضافات كثيرة ، ولم يقف الشاعر العباسي عند ذلك فقد أخذ ينمي بعض جوانب هذا الشعر حتى لتخرج منه فروع جديدة كثيرة[٣].

ودخل في الأدب العربي فنون وأغراض ومعان لم يألفها الأدب العربي من قبل كالغزل بالمذكر والخمريات والتوفر على الأوصاف الحضرية وإهمال العصبية البدوية. ثم (دالت دولة الجمل والطلل) وقام على أنقاضها (دولة الرياض والحسان) وزالت من الشعر المطبوع بالطابع الجديد آثار التقليد للأقدمين والاحترام لهم وحل مكانها النفور من حياتهم وأغراضهم لا منهم وبدأ الابتكار ثم مات التستر والكناية وظهر مكانهما التصريح وقلة المبالاة[٤].

وهنالك فن استحدثه الشعراء العباسيون ولم تكن له أي أصول قديمة وهو فن الشعر التعليمي الذي دفع إليه رقي الحياة العقلية في العصر ، فإذا نفر من الشعراء ينظمون بعض القصص أو بعض المعارف أو بعض السير والأخبار ومن أوائل

---

[١] شوقي ضيف العصر العباسي الأول ص ١٤٥
[٢] نفسه ص ١٤٦
[٣] نفسه ص ١٨١
[٤] عمر فروخ تاريخ الأدب العربي ص ٤٠

من يلقانا من ذلك تحدث صفوان الأنصاري في أشعاره عن فضل الأرض وما تحمل من كنوز ومعادن كريمة[1].

ولعل في كل ما قدمنا ما يصور النشاط العقلي والفني للشاعر العباسي وكيف كان يحرص علي التحديد فهو يشتق من الشعر القديم موضوعات جديدة لمقطوعاته وقصائده ولا يكتفي بها بل ما زال يكتشف موضوعات أخرى ، تلهمه بها بيئته الحضارية وحياته العقلية الراقية ، ولم يلبث أن اهتدي إلي الشعر التعليمي فسجل فيه كثيراً من القصص والتاريخ والدين والعلم والحكمة[2].

والحديث عن العصر العباسي الأول لا تحيط به هذه الصفات القليلة ولكن حسبنا أن نقدم صورة موجزة للأحداث المهمة في الفترة التي عاش فيها شاعرنا ابن المعذَّل.

([1]) العصر العباسي الأول ص ١٩٠

([2]) نفسه ص ١٩٢

المبحث الثاني

حياة عبد الصمد بن المعذَّل

أ/ اسمه ونسبه:

عبد الصمد بن المعذَّل بن غيلان بن الحكم بن البختري بن المختار بن ذريخ بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشير بن حُمران بن حِدرِجان بن عساس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أقصي ابن عبد القيس ابن أقصي بن دعمي بمن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وقيل ربيعة بن ليث بن حمران[١].

ب/ أسرته:

تتكون أسرة عبد الصمد بن المعذَّل من آل الجارود وآل المعذَّل من عبد القيس بن ربيعة وكلاهما سكن البصرة وكلتا الأسرتين تلتقي عند الجد عمرو بن وديعه بن لكيز بن عبد القيس ولكن آل الجارود ينحدرون من أنمار بن عمرو بن وديعة وآل المعذَّل ينحدرون من عجل بن عمرو بن وديعة[٢]، وكان أبو عبد الصمد (المعذَّل) شاعراً وأديباً وكان يكني أبا عمرو وكان له من الولد أحد عشر ابناً وكلهم أديب شاعر وهو من أهل الكوفة وقدم البصرة مع عيسى ابن جعفر بن المنصور وأقام بها هو وولده[٣]. والمعذَّل هو الرجل الذي يُعذَّل لإفراطه في الجود.[٤]

وكان عبد الصمد يكنى بأبي القاسم[٥]. فشاعرنا عبد الصمد إنحدر من أب عربي وهو المعذَّل بن غيلان ومن أم جارية لم نعرف عنها شيئاً إذ لم تذكر المصادر القديمة لها خبراً غير أن أبا الفرج قال في ترجمة عبد الصمد أن أمه (يقال لها أم ولد يقال لها الزرقاء)[٦].

---

[١] أبو الفرج الاصفهاني : الأغاني المجلد الثالث عشر ، دار الثقافة بيروت ١٩٥٨، ص ٢٢٨.

[٢] ابن حزم الأندلسي : أبو محمد بن علي بن محمد بن سعيد جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف مصر ١٩٧١م ، الطبعة الثالثة ص ٢٨٠.

[٣] المرزباني : محمد بن عمران معجم الشعراء تحقيق عبد الستار فراج – القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٠٤ ومعه المعارف لان قتيبية أبي محمد عبد الله بن مسلم حققه وقدم له دكتور ثروت عكاشة الطبعة الثانية دار المعارف بلا تاريخ ص ٣٣٨.

[٤] ابن منظور: لسان العرب، المجلد العاشر، طبعة جديدة منقحة، ط١، دار صادر بيروت ٢٠٠٢م.

[٥] الميمني : عبد العزيز الميمني : فهارس سمط الآلئ علي غرار مبتكر مفيد أسماء الشعراء مع سرد القوافي مرتبة مع ذكر أسماء الشعراء والتراجم الواردة والأمثال السائرة عليكرة – الهند (بلا تاريخ) ص ٢٢٦.

[٦] الأغاني ١٣ : ص ٢٢٨.

وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة وكان في اللغة والبيان والأدب والحلاوة غاية[١]. وكان له جاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه فلذلك كان يحسده ويهجوه . وأغلب الظن أن أم عبد الصمد غير أم أحمد أخيه[٢]، والتنافر الذي كان بينهما لم يكن سببه اختلاف مذهبيهما في الحياة فقط وإنما كانت أسبابه ممتدة منذ طفولتهما ولما نشأ اتخذ كل منهما سبيله في الحياة وظل العداء الأخوي مستحكماً[٣].

ج/ مولده:

لم تذكر مصادر الأدب القديمة تاريخ مولد عبد الصمد إلا أن أبا البقاء البدري المتوفي سنة (٨٨٧هـ) ذكر أن عبد الصمد ولد سنة (١٩٩هـ)[٤]، غير أن الأخبار التي تردد فيها ذكره تنفي هذا التاريخ وتدفعنا إلي الاعتقاد بأن مولده أبعد من هذا التاريخ وذكر بن رشيق في عمدته أن ابن المعذَّل أدرك أبا نواس المتوفي سنة ١٩٩هـ[٥]، ومما يؤكد هذا أن الخطيب البغدادي روى في تاريخ بغداد قائلاً : أخبرنا علي بن أبي البصري حدثنا محمد بن الخزاز.. حدثنا ابن أبي الذيال المحدث بسر من رأي قال: حضرت وليمة حضرها الجاحظ فسمعته يقول: حضرت وليمة حضرها أبو نواس وعبد الصمد بن المعذَّل وفيها أبدي بن المعذَّل إعجابه بأبي نواس[٦].

---

[١] الحصري القيرواني : (أبو اسحق إبراهيم الحصري القيرواني) زهر الآداب وثمر الألباب مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك الجزء الثالث دار الجيل بيروت بلا تاريخ ص ٧٠٦.

[٢] ابن المعتز : طبقات الشعراء تحقيق عبد الستار أحمد فراج – الطبعة الثالثة دار المعارف مصر بلا تاريخ ص٣٨٦.

[٣] زهر الآداب وثمر الألباب ص ٧٠٩.

[٤] أبو البقاء البدري : سحر العيون – طبع علي الحجر بمصر ١٢٧٦هـ ص ٢٨١.

[٥] القيرواني : ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل الطبعة الرابعة ص٨٣.

[٦] البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب – تاريخ بغداد الطبعة الأولي ١٩٣١م ج ٩ ص ٧٤.

أما مكان مولده فأول من صرح به من القدماء هو أبو الفرج الأصفهاني إذ قال في ترجمته هو شاعر فصيح اللسان من شعراء الدولة العباسية بصري المولد والمنشأ[١]. والذين ترجموا لعبد الصمد بعد أبي الفرج نقلوا عبارته[٢]. وهذا هو الصحيح فبعد الصمد ولد في البصرة وتأثر ببيئتها ومن ثم كان شاعرها المعروف.

د/ نشأته وتعليمه:

وما أن كبر ابن المعذَّل حتى وكل أبوه تأديبه لأحد مشاهير عصره في النحو وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الملقب بالأخفش وهو مؤدب ولد المعذَّل[٣]، ومن الملاحظ أن عبد الصمد نشأ في بيت حسن الحال ويرجع ذلك إلي الصلة الوثيقة التي كانت بين والده وعيسي بن جعفر والي البصرة، وعادة الأثرياء في تأديب أولادهم تعين مؤدباً خاصاً لهم، أما أولاد الفقراء فقد كانوا يرسلون إلي الكتاتيب[٤]، فالأخفش إذن معلم عبد الصمد في النحو وهو معلم العروض في الغالب لأن الأخفش كان عالماً بالعروض وقد زاد فيه بحر الخبب (المتدارك)[٥] وهو إن أخذ هذين العلمين علي الأخفش فقد أخذ رواية الأدب علي غيره وهو الأصمعي لأنه اتصل به وسمع منه وأخذ عنه وهو ذكر أن الأصمعي معجباً به ويعلمه في اللغة فقال[٦]:

لَـــنْ تَلْبســـوا مَنْطقـــي بمشـــكلةٍ إلاَّ عَـــنْ الأصـــمعيِّ أو خَلَـــفْ

---

[١] الأغاني ج ١٣ ص ٢٢٨.

[٢] جاءت عبارة أبي الفرج في الإعلام : خير الدين الزركلي (قاموس تراجم) الجزء الرابع دار الملايين لبنان – الطبعة الرابعة عشرة – فبراير ١٩٩٩م ص ١١ وسحر العيون ص ٨٣ وزهر الآداب ونشر الألباب ص ٧٠٦.

[٣] الثعالبي : أبي منصور بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النسيابوري قدم له حسن الأمين خاص الخاص ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ص ١١٨ ومعجم الشعراء المرزباني ص٣٠٥.

[٤] الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (البيان والتبين) ج ا ص٢٥٠ ، تحقيق عبد السلام هارون لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٠م.

[٥] أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ، تاريخ أبي الفداء المطبعة الحسينة القاهرة – بلا تاريخ ج ٣ ص٣١ وذكره شوقي ضيف في كتابه العصر العباسي الأول طبع دار المعارف مصر الطبعة الرابعة عشر ص ٣٦٩.

[٦] طبقات الشعراء ابن المعتز ص ٣٦٨.

وكان عبد الصمد ذا إلمام لا بأس به في النحو والرواية والأخبار وقد حفظ القرآن في صباه علي ما كانت عليه أساليب التعليم في عصره والأخفش على ما نرى مؤدبه وهو الذي قام بتحفيظهإياه. وكان يحضر المسجد الجامع الذي يمثل أكبر معهد للعلوم في البصرة وكانت حلقات الدرس منتشرة فيه ولكل حلقة شيخها[١]، ومن المناسب هنا أن نذكر بعض المواقف التي تبين لنا حفظه للقرآن، كان عبد الصمد وأخوه أحمد يسكنان داراً واحدة ينزل أحمد أعلاها وعبد الصمد أسفلها فدعا عبد الصمد ذات ليلة جماعة من ندمانه وأخذ في القصف واللذات حتى منعوا أحمد الورد ونغَّصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الآية (٤٥) سورة النحل، فرفع عبد الصمد رأسه وقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية (٣٣) سورة الأنفال[٢]. وهذا الخبر فيه دلالتان أحداهما سرعة بديهته في الجواب والأخرى حفظه للقرآن.

وكان أبوه المعذَّل يحضر مجالس أمير البصرة وهي مجالس للشعر والأدب إلي جانب كونها مجالس للهو والطرب فحضور الفتي مع أبيه مما يفيده اطلاعاً وتجربة ثم إن عبد الصمد حدث عن أبيه[٣]، وهذا دال على أن أباه كان يحدثه ويروي له الأخبار.

هـ/ حياته:

أغلب حياة عبد الصمد يكتنفها الغموض إلا ما أفصح عنه شعره وأخبار رويت له وهذا قليل أما زواجه وحياته، فإنه كان متزوجاً في حدود الأربع والعشرين من عمره ولم يكن حسن الحال في تلك الفترة وكره أن يتقرب لذوي السلطان ففضل أن يتحمل العسر ليصون كرامته فرفع صوته متعففاً في وجه من دفع به إلي سؤال المعروف من القاضي يحيي ابن أكثم[٤] وذكر أبو العباس المبرد أن زوجه هي التي دفعت به إلى ذلك[٥].

---

[١] الجاحظ : البيان والتبين – الجزء الأول ص٢٤٣ ، وأنظر ضحى الإسلام ص٤٩.

[٢] فهارس سمط اللآلي علي غرار مبتكر مفيد ص٣٢٥.

[٣] وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ) أخبار القضاة ج ا مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٤٧ ص١٢٨.

[٤] يحي بن أكثم بن صيفي وكان مقرباً عند المأمون ولي قضاء البصرة سنة ٢٠٥هـ توفي سنة ٢٤٢هـ (أخبار القضاء ٢/ ١٦٣ – ١٦٦).

[٥] المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥) الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف بيروت الجزء الأول ص٢٣٣.

يقول ابن المعذَّل[١]:

تُكلِّفُنـــــي إذْلالَ نفســـــي لِعزِّهـــــا وهــانَ عليهــا أنْ أُهــان لِتُكْرَمــا
تقـولُ سَـلِ المعـروف يَحْيـى بـن أَكْـثمِ فقلـتُ سليهِ رَبَّ يحيـى بـن أَكْثمـا

وكان عبد الصمد يقيم مجالس الطرب واللهو في بيته آناً فيحضر إليه ندمانه وأصدقاؤه أو هو يحضرها في بيوتهم آناً آخر ومن أصحابه الذين كان يكثر الجلوس معهم كما ذكر صاحب الأغاني حمدان بن أبان[٢]، وأبو قلابة الجرمي[٣]، وعبد الله بن أبي عيينة المهلبي[٤]، والسدري[٥]، وغيرهم من شعراء البصرة وكانت له معهم كثير من المعابثات والمناوشات الشعرية[٦]، ويتضح من ذلك كله ولعه الشديد بالكأس وهو في كل الأحوال عربيد إذا سكر ولذلك قال فيه أخوه أحمد: (ما عسيتُ أن أقول فيمن أُلْقِحَ بين قدر وتَنُّور ونشأ بين زق وطُنبور)[٧].

ومهما يكن فعبد الصمد بن المعذَّل إنسان له عواطفه ومشاعره وله نزواته وتساميه فهو يحب ويكره ويرضي ويغضب ويتمرد وهو شاعر أورثته رقة العاطفة ورقة الشعور وحدة الطبع وسرعة التأثر. وأنه قضي حياته في البصرة وتأثر ببيئتها وعاش وسط مجتمع كان التمرد من طبعه والتناقض واضحاً فيه فلا نستغرب من شاعرنا أن يحيا حياة متمردة غارقة في التماجن وكان اتجاهه الشعري يدل علي قلق

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٦٩.

[٢] حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي شاعر مكثر من أهل البصرة وكان أبوه شاعراً ، أيضاً وكان جده (عفير) من الموالي ، انتقل والده أبان إلي بغداد واتصل بالبرامكة فأكثر من مدحهم وخص بالفضل بن يحيي ونظم لهم (كليلة ودمنة) وكان حمدان صديقاً لعبد الصمد بن المعذَّل (الأعلام ، ج ا ص٢٧).

[٣] أبو قلابة هو حبيش بن عبد الرحمن يكنى بأبي قلابة كان أحد الرواة الفهمة وكانت بينه وبين الأصمعي مماظة لأجل المذهب، وكان أبو قلابة صديقاً لعبد الصمد بن المعذَّل وبينهما مجالسة وله معه أخبار (معجم الأدباء ٥٤/٣).

[٤] عبد الله بن عيينة المهلبي هو من سلالة المهلب بن أبي صفرة مولده ومنشؤه وحياته في البصرة ، إذ لم يفارقها إلا لماماً ، وكان جده يولي الري لأبي جعفر المنصور ثم قبض عليه وحبسه وغرمه، وكان أخوه داوود شاعراً ومن الغريب أنهم جميعاً كانوا هجائين ، أما عبد الله فقصد أبن طاهر ومدحه ، ثم هجاه هجاءً مراً (العصر العباسي الأول شوقي ضيف ص ٣٦١).

[٥] السدري : هو أبو نبقة محمد بن هشام كان مولي لبني عوال فأشتري المتوكل ولاءه بثلاثين ألف درهم وكان يصحب عبد الصمد بن المعذَّل وأدباء البصرة له ترجمة في (معجم الشعراء ص ٣٧٥) .

[٦] الأغاني ١٣ ص ٢٤٦.

[٧] زهر الآداب ص ٧٠٩ الزق : أراد الخمر، الطنبور من الآلات اللهو ، يعني أنه ردي اللقحة سيء التنشئة ، فلا يخرج إلا نكداً.

في الفكر وضجر في النفس، وهو قد تمرد علي الحياة بمجونه وثار علي الأحياء بهجائه وابتعد عن كل ما يدفعه إلي النفاق في الحياة وكان صريحاً، وبهذا نفسر ابتعاده عن التزلف والاتصال بالقصور إلا ما وافق هواه أو لاءم رأيه .

وكان شاعرنا سريع البديهة حاضر الجواب وهذا يدل علي ذكائه ويقظة خاطره ولذا نري سخطه وسخريته بوضوح في شعره وكان كثير العتاب للأصدقاء سريع الهجاء للجلساء بل لأقرب الناس إليه وهو أخوه أحمد ومع هذا فإبن المعذَّل ظريف اللسان طيب المجلس كما ذكر الثعالبي في كتابه خاص الخاص (إنه شاعر البصرة وظريفها)[١] وكان كريماً في حالات يسره وعسره وقد جمع إلي كرم يده وسرعة خاطره ظرف اللسان.

و/ وفاته:

إن تاريخ وفاة عبد الصمد بن المعذَّل غامض غموض سنة مولده وقد ذكر ابن شاكر المتوفي سنة ٧٦٤هـ أنه توفي في حدود الأربعين ومائتين للهجرة[٢]، وكذلك قول الصفدي[٣] وأبي البقاء البدري[٤]، وانه توفى في هذه السنة مقتولاً بسبب هجو وقع منه .

إذن توفى عبد الصمد مقتولاً سنة ٢٤٠هـ بسبب هجائه إبراهيم التيمي قاضي البصرة[٥]، وأن أخاه أحمد بن المعذَّل توفي في هذه السنة أيضاً[٦].

ز/ مكانته الشعرية:

حظي شاعرنا ابن المعذَّل بعناية النقاد القدامى والمحدثين معاً ذاكرين قصائد ومقطوعات من شعره مقرظين إياها مما يدل علي تقدمه في صنعة الشعر.

---

[١] الثعالبي خاص الخاص ص ١١٨.

[٢] الكتبي:محمد بن شاكر بن أحمد عيون التواريخ دارالكتب المصرية١٤٩٧حوادث سنة٢٤٠هـ ص٢٤ –٣١ فوات الوفيات١/ ٥٧٥

[٣] الصفدي : صلاح الدين خليل بن أبيك ، الوافي بالوفيات ج١٥ ص ٢٠٧.

[٤] سحر العيون ص ٢٨٢.

[٥] وكيع أخبار القضاة ٨٠/٢.

[٦] ابن العمادالحنبلي:عبدالحي بن أحمد بن محمد(ت١٠٨٩هـ)شذرات الذهب في أخبارذهب،١٣٥٠هـ ج ص٩٥(سنةأربعين ومائتين)

آراء النقاد الأقدمين:

ألف المرزباني[١] في ابن المعذَّل كتاباً سماه (أخبار عبد الصمد بن المعذَّل) نحو مائتي ورقة ذكره ابن النديم في جملة مؤلفاته[٢] وذكر هذا الكتاب أيضاً زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع)[٣].

وقال الأصفهاني في كتابة الأغاني (أن عبد الصمد بن المعذَّل شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية بصري المولد والمنشأ ، وكان هجاءً خبيث اللسان شديد العارضة)[٤] وعين ابن رشيق في كتابه العمدة طبقة ابن المعذَّل ومنزلته في الشعر بقوله:- (وأما طبقة حبيب والبحتري وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متداركة قد تلاحقوا وغطوا علي سواهم حتى نسي معهم بقية من أدرك أبا نواس كابن المعذَّل وهو من فحول المحدثين وصدروهم المعدودين)[٥].

ويقول أيضاً : (والمشهورون بجودة القطع من المولدين بشار بن برد والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك وأبو نواس وأبو علي البصير وعلي بن الجهم وابن المعذَّل والجماز)[٦].

وترجم له عبد الرحيم بن أحمد العباسي في كتابه معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص بقوله: (كان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة العباسية وكان هجاءً خبيث اللسان شديد العارضة وكان أخوه أحمد شاعراً أيضاً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة ودين وتقدم عند المعتزلة وكان يحسده ويهجوه)[٧].

---

[١] هو أبو عبد الله (أو عبيد الله) محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ له مؤلفات كثيرة منها (معجم الشعراء والموشح).

[٢] ابن النديم : محمد بن اسحق (ت ٣٨٥) الفهرست – الاستقامة القاهرة ص ١٩٦.

[٣] زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ج،ط،، مطبعة السعادة مصر ص ١٢٠ وورد ذكر كتاب المزرباني في معجم الأدباء (إرشاد الأديب إلي معرفة الأديب) ياقوت الحموي ج ٧ – طبعة مرجليوث القاهرة ، مطبعة هندية ١٩٠٨م – ١٩١٦م ص ٥٠.

[٤] الأغاني ١٣ ص٢٢٨.

[٥] العمدة ٨٣/١.

[٦] نفسه ص ٨٣.

[٧] معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي المتوفى في عام ٩٦٣هـ ، حققه وعلق علي حواشيه ووضع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد الجزء الأول / عالم الكتب بيروت ص ٣٨٢.

وقال عنه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: (كان عبد الصمد شديد الإقدام ردي السريرة فيما بينه وبين الناس خبيث النية ، يرصد صديقه بالمكروه تقديراً أن يعاديه فيسوءه بأمر يعرفه ، ولا يكاد يسلم لأحد ، كان مشهوراً في ذلك الأمر يلبس عليه ويحمل علي معرفة به عجباً بظرف لسانه وطيب مجلسه وأيضاً لقبح مسبته وشائن معرّته)[١]. وابن المعذَّل لم يكن من الشعراء المغمورين فهو شاعر البصرة وظريفها كما قال الثعالبي[٢]، وكتب عنه شهاب الدين العمري في كتابه (مسالك الأبصار في مسالك الأمصار) فقال: "أكثر من الشعر حتى تبذل وجرد لسانه وما علم انه يخذل وراج بما لمروته أخمل، كان جيد الطبع منقادة خبيث اللسان حادة قد اتخذ من الهجاء جادة..."[٣].

وقال عنه ابن المعتز: (كان عبد الصمد بن المعذَّل من الزهو والكبر وذهابه بنفسه في أمر لا ينادي وليده وكان بذئ اللسان هجاءً يؤذي الناس حتى أقاربه وإخوانه ، وجيرانه ، وكان من أشهر الناس وأفصحهم لساناً وأبينهم كلاماً ، وكان الناس يتقون لسانه ويجانبونه ويبغضونه ، وكانوا يودون أخاه أحمد ، وكان ذلك مما يزيده غيظاً ويحمله علي أن يقع في كل من يصاحب أخاه أحمد ، وكان جيّد الشعر مليح المعاني صاحب نظر)[٤].

---

[١] زهر الآداب وثمر الألباب الجزء الثالث ص ٧١١.

[٢] خاص الخاص : الثعالبي ص ١١٨.

[٣] العمري : – شهاب الدين أحمد بن يحي (ت ٧٤٩هـ) مسالك الأنصار في مسالك الأمصار في ممالك الأمصار ، دار الكتب المصرية ٥٥٩ معارف عامة ج ٣-٢ ص ٢٧٥ – ١٧٩.

[٤] طبقات الشعراء ص ٣٦٩.

آراء النقاد المحدثين:

ومن المحدثين الذين درسوا شيئاً من شعر ابن المعذَّل عمر فرَّوخ ، إذ ترجم له قائلاً : (كان عبد الصمد بن المعذَّل خبيث اللسان ، وخبيث القلب ، فيما يبدو، متكبراً شديد العداوة ، وكان شاعراً فصيحاً ظريفاً سريع القول في الشعر، شديد العارضة، ينظم رجزاً وقصيداً ، مشهوراً بجودة المقطعات وفي شعره شيء من المتانة وكثير من المرح حتى في مواقفه الجدية في المديح)[١].

وقال عنه عبد العزيز الميمني (كان عبد الصمد بن المعذَّل شاعراً سكيراً خميراً) [٢]، وأحسن الترجمات الحديثة هي الترجمة التي كتبها الأستاذ علي الخاقاني في كتابه " شعراء البصرة" فهو وإن اعتمد على كتاب الأغاني اعتماداً كبيراً قد أعطي من عنده حكماً فيما قرأ للشاعر من أحبار وأشعار حيث قال: " وابن المعذَّل له أخبار كثيرة تصوره إنساناً قد تحلل من أكثر الاعتبارات وأطلق لسانه وعواطفه حسبما يريد لا كما يريد الناس)[٣].

وترجم له الأستاذ شوقي ضيف في كتابه العصر العباسي الأول بقوله : (ومما لا شك فيه أنه كان شاعراً بارعاً خصب القريحة وأنه كان يحرص علي الألفاظ المألوفة ولكن مع المتانة والرصانة)[٤].

ولعلو صوته وانتشار شعره وسمو طبقته كان شاعر البصرة ، فلما استدعي المتوكل أبا عثمان المازني [٥]،ومثل بين يديه طلب إليه أن ينشده شعراً فأخذ ينشد له ما يروى من أشعار العرب ويردد المتوكل : ليس هذا بشيء ، ثم قال له من شاعركم اليوم بالبصرة؟ فأجاب المازني عبد الصمد بن المعذَّل، قال فأنشدني له ، فأنشده أبياتاً قالها في قاضي البصرة ابن رياح[٦] منها:[٧]

أيـــــا قاضـــــيةَ البَصْـــــر ة قُـــــومي فارقصـــــي خَطْـــــرهْ

وَمـــــــرِّي برواســـــــيك فمـــــــاذا البَـــــــرْدُ والفَتْـــــــرهْ

---

[١] عمرو فروخ : تريخ الأدب العربي ص ٢٧٦.

[٢] فهارس سمط الآلي ص ٣٢٥.

[٣] ديوان عبد الصمد بن المعذَّل حققه وقوله الدكتور زهير غازي زاهد دار صادر بيروت الطبعة الأولي ١٩٩٨م ص ٦٦ - ٩٧

[٤] العصر العباسي الأول : الدكتور شوقي ضيف طبع دار المعارف مصر الطبعة الرابعة عشر ص ٣٦٩.

[٥] أبو عثمان بكر بن حمد المازني كبير نحاة البصرة بعد سيبويه توفى سنة (٢٤٩هـ) (تاريخ بغداد : البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ت " ٤٦٣" الطبعة الأولي ١٩٣١م الجزء السابع ص ٩٣ ومعجم الأدباء ٣٨٠/٢ – ٣٩٠).

[٦] هو قاضي البصرة بعد الحسن بن عبد الله العنبري ولي القضاء فيها سنة ٢٢٣هـ في أيام الواثق (أخبار القضاة ١٧٥/٢).

[٧] معجم الأدباء ٣٨٦/٢.

فاستحسنها المتوكل وأستطيبها وأمر له بجائزة وكنت (قول المازني) أتعمد أن أحفظ أمثالها وأنشده إذا وصلت إليه فيصلني[١].

فضلت لأبن المعذَّل قصائد ومقطوعات أدت إلي شهرته فأرجوزته التي قالها في وصف النخيل وأولها :

حـــــدائقٌ مُلْتَفـــــة الجنـــــانِ

رســـتْ بشـــاطئٍ تَـــرِع ريَّـــانِ

قال أبو هلال العسكري : (ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الأرجوزة) [٢]، ورائيته في وصف الرياض والبساتين ومطلعها:

معـانٍ مـن العَـيْشِ الغَريـرِ ومَعْمَـرُ ومبـدي أنيـقٍ بالعُـذَيْبِ ومَحْضَـرُ

جعلها أبو هلال العسكري من بديع ما قاله محدث[٣]، وقصيدته التي قال فيها:-

لمَّـــا رَأَيْـــتُ البَـــدْرَ فـــي أُفـــقِ السَّـــماءِ وَقْـــد تَعلَّـــي

ورأيـــتُ قَـــرْنَ الشَّـــمْسِ فـــي أُفـــقِ الغُـــروب وَقَـــد تَـــدلَّي

استحسنها ابن المعتز وقال فيها: وهذا معنى ما سبقه إليه أحد تشبيه الوجه مقبلاً بالبدر وتشبيه القفا مولياً بالشمس ليلة المقابلة[٤].

ورائيته التي قالها في وصف الحُمَّى ومطلعها:-

هَجَـــرتُ الهَـــوى أيَّمـــا هَجْـــرَه وعِفْـــتُ الغـــواني والخَمْـــرَهْ

قال فيها الثعالبي : (ولم يزل شعر بن المعذَّل أمير ما قيل في الحُمَّى حتى جاءت ميمية أبي الطيب فأربت عليه)[٥]، وذكر في مكان آخر : (ويقال أن أبلغ ما قيل في وصف الحُمَّى قول عبد الصمد بن المعذَّل في قصيدة ثم يرويها)[٦].

وقال القاضي الجرجاني فيها: وقد أحسن عبد الصمد بن المعذَّل في قصيدته الرائية التي وصف فيها الحُمَّى .. (وكان أبا الطيب قصد تنكب معانيه فلم يلم بشيء منه)[٧].

---

[١] الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن الأشبيلي (ت ٣٧٩هـ) طبقات النحويين واللغويين ، الطبعة الأولي ١٩٥٤م ص٩٥، ٩٧.

[٢] العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ) ديوان المعاني ، الجزء الثاني ، مطبعة الفوري القاهرة ١٣٥٢هـ ص ٤٠.

[٣] نفسه ص ١٥

[٤] طبقات الشعراء ص ٣٦٨.

[٥] ثمار القلوب ص ٢٧٣

[٦] المصدر السابق ٢٧٣

[٧] القاضي الجرجاني : أبو الحسن علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٦هـ) : الوساطة بين المتنبي وخصومه مطبعة العرفان ، صيدا ص ١٠٢ – ١٠٣.

وفيما قدمنا من أقوال وآراء النقاد الأقدمين والمحدثين حول شاعرنا ابن المعذَّل أنه كان ذا منزلة عالية في صنعة الشعر لولا حدة لسانه وظهور أبي تمام في زمانه لكان له من التقدم والصدارة بين شعراء عصره الذي كان مفعماً بفحول الشعراء أمثال بشار بن برد وأبي نواس ومسلم بن الوليد وأضرابهم.

ح/ مصادر دراسة بن المعذَّل:

يمكن تقسيم مصادر البحث إلي ثلاثة مجموعات:

أولاً: كتب التراجم والدراسات الأدبية التي وردت فيها ترجمة الشاعر.

ثانياً : كتب الأخبار التي ذكرت أخبار تلقي الضوء علي علاقاته بالشعراء الآخرين أو أنها تلقي ضوءً علي جوانب من حياته أو أنها ذكرت ورايات عنه مباشرة.

ثالثاً : كتب النقد الأدبي التي وردت فيها أحكام نقدية في شعر ابن المعذَّل وقد يكون بين هذه المجموعة عدد من كتب الأدب العام.

أولاً : كتب التراجم:

أول هذه التراجم وهي ذات قيمة أدبية ، كتبت في عصره وهو القرن الثالث كتبها ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) في كتابه (طبقات الشعراء) [١]،هذه الترجمة تلقي ضوءً علي سيرة ابن المعذَّل وكرهه الاتصال بالخلفاء وتوضح لنا علاقته بأخيه أحمد.

وفي القرن الرابع كتبت فيه ترجمتان:

أحدهما : كتبها أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) في كتابه (الأغاني)[٢]، وهي أطول ترجمة لشاعرنا ومعظم من ترجم لأبن المعذَّل بعد هذا القرن اعتمد عليها فهي غزيرة الأخبار عن جوانب مختلفة من حياة الشاعر.

والثانية :كتبها المرزباني (ت ٣٨٤هـ) في كتابه " معجم الشعراء" [٣]، وهي مقتضبة ذكرها في ترجمة أبيه المعذَّل ومما ذكره نستفيد شيئاً عن مؤدب الشاعر في صغره وهو سعيد بن مسعدة الأخفش.

---

[١] طبقات الشعراء ص ٣٦٨

[٢] الأغاني ١٣ ص ٢٢٨

[٣] معجم الشعراء ص ٣٠٤

وفي القرن الخامس كتب الحصري (ت ٤٥٣هـ) ترجمة موجزة له في كتابه (زهر الآداب وثمر الألباب)[١] ، لكن المعلومات التي جاءت فيها مفيدة وإن تردد فيها ما رأيناه في الأغاني من أن ابن المعذَّل شديد الإقدام علي الأعراض .

وفي القرن الثامن كتبت فيه ثلاث ترجمات:

الترجمة الأولي :

كتبها شهاب الدين أحمد بن يحي العمري (ت ٧٤٩هـ) في كتابه (مسالك الأبصار في مسالك الأمصار)[٢] ، وكتبها بأسلوب يقيده السجع فيبدو متكلفاً ، ولم نره أتي بجديد وإنما هو ردد جملة صفات الذم التي ذكرها من تقدمه بأسلوب آخر وزاد عليها.

الترجمة الثانية:

كتبها ابن شاكر الكتبى (ت ٧٦٤هـ) في "عيون التواريخ" [٣]، وقد اعتمد في أغلبها علي ما جاء في كتاب الأغاني ، لكن ابن شاكر حدد فيها تاريخ وفاة عبد الصمد وهو سنة ٢٤٠هـ وهذه الترجمة اختصرها في كتابه الآخر (فوات الوفيات)[٤]، ولم يزد عليها.

الترجمة الثالثة:

كتبها الصفدي (ت ٧٦٤هـ) في كتابه (الوافي بالوفيات)[٥]، وهذه الترجمة لا تخرج عن حدود ما ذكره ابن شاكر الكتبي من معلومات وما ذكره في كتابه الآخر (الغيث المسجم في شرح لأمية العجم) [٦] لا يتعدي ذلك.

ولم نجد في القرن التاسع سوي ترجمة واحدة مختصرة كتبها أبو البقاء البدري (ت ٨٨٧هـ) في كتابه (سحر العيون)[٧] ، وقد ذكر فيها أن ابن المعذَّل ولد سنة تسع وتسعين ومائة للهجرة ولم يذكر المصدر الذي اعتمده ولا ذكر دليلاً علي ذلك.

---

[١] زهر الآداب وثمر الألباب ص ٧٠٦ ـ ٧٠٩

[٢] مسالك الأبصار في مسالك الأمصار ص ٢٧٥ ـ٧٠٩

[٣] الكتبي : محمد بن شاكر ، عيون التواريخ، دار الكتب المصرية ١٤٩٧م حوادث ٢٤٠ ص ٥٢٤ – ٥٣١.

[٤] فوات الوفيات ص ٥٧٥ – ٥٧٦.

[٥] الصفدي :- الوافي بالوفيات ج ١٥ قسم ح ص ٢٥٧.

[٦] الصفدي :- صلاح الدين خليل بن أيبك : الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، المطبعة الآزهرية ، ١٣٠٥هـ ج ١ ص٣٩٠.

[٧] سحر العيون : ٢٧٧ – ٢٨٢.

وفي القرن العاشر نجد له ترجمة كتبها عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ) في كتابه " معاهد التنصيص" [١]، وقد اعتمد فيها على ما جاء في الأغاني وزهر الآداب ولم نر فيها جديداً علي ذلك.

وأما ما كتب في الشاعر حديثاً فهو ليس شيئاً لأنه معتمد على الأغاني في الأغلب دون تحليل.

وأحسن الترجمات الحديثة هي الترجمة التي كتبها الأستاذ علي الخاقاني في كتابه شعراء البصرة فهو وإن اعتمد على كتاب الأغاني اعتماداً كبيراً قد أعطي من عنده حكماً فيما قرأ للشاعر من أخبار وأشعار[٢].

وترجم له أبو علي الإسكندري في كتابه (المنتخل) [٣]، ناقلاً من الأغاني أخباره ومن سحر العيون لأبي البقاء البدرى سنة مولده ووفاته وترجم له بطرس البستاني في (أدباء العرب) [٤]،معتمداً علي (فوات الوفيات) لابن شاكر وقد نقل الترجمة منه أيضاً.

وذكره الدكتور أحمد زكي في كتابه (الحياة الأدبية في البصرة) [٥]،واعتمد علي الأغاني في نقل بعض أخباره ونماذج من شعره وذكره الدكتور شارل بلات في كتابه (الجاحظ)[٦]، وهو الآخر قد اعتمد علي الأغاني اعتماداً كبيراً فذكر منزلته ووصفه وصفاً لا بأس به يدل علي قراءة جيدة لإشعاره.

وذكره فايد العمروسي في كتابه (الجواري المغنيات)[٧]، حيث ترجم للجارية (متيم الهاشمية) [٨]، وذكر قصة شاعرنا معها.

وهكذا لا نخرج بشيء مهم من الترجمات الحديثة لأنها لم تورد إلا أحكاماً وأوصافاً وردت في ترجمات الأقدمين له وإن جيء بشيء جديد فهو يسير ليس له شأن كبير في الدراسات التحليلية في الأدب.

---

[١] معاهد التنصيص ج ١٣٢/١ ، ٣٨٢.
[٢] ديوان بن المعذّل ص ٦٦
[٣] أحمد بن علي : المنتخل في تراجم شعراء المنتخل المطبعة التجارية بالإسكندرية ص ٣٣١.
[٤] بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، طبع دار هارون عبود – لبنان ١٩٧٩م ص ٣٩٥
[٥] أحمد كمال ذكي : الحياة الأدبية في البصرة ، دار الفكر بدمشق ١٩٦١م ص ٣٩٠ – ٤٢٦،٤٢٧
[٦] بلات : شارل : الجاحظ ترجمة إبراهيم الكيلاني ١٩٦١م ص ٢٣٦،٢٣٧.
[٧] العمروسي فايد : الجواري المغنيات ، دار المعارف ص ٢٠٠ ، ٢٠١.
[٨] متيم الهاشمية جارية لعلي بن هشام وهو رجل من أهل البصرة كان مفتوناً باقتناء الجواري وكانت له مجالس غنائية وكان المغنون يقصدون داره لسماع الغناء من متيم وأستاذتها بذل وكان عبد الصمد بن المعذّل يتعشق (متيم).

ثانياً كتب الأخبار:

هذه المجموعة من الكتب تفيد في معرفة حياة الشاعر الثقافية وصلاته بعدد من شعراء عصره **ونذكر المهم منها:**

الكامل للمبرد (ت ٢٨٥هـ) وفيه عدة أخبار رواها المبرد عن الشاعر تكشف عن جانب من حياته الثقافية وصلاته بعدد من علماء عصره.

أخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ) ويفيد هذا الكتاب في ذكر صلات شاعرنا بعدد من قضاة عصره وهجائه لبعضهم وسخره منهم.

كتاب أخبار أبي تمام: الأوراق ، أدب الكتاب، للصولي (ت ٣٣٥هـ) وهذه الكتب تفيد في معرفة صلات شاعرنا بعدد من شعراء عصره.

كتاب التمثيل والمحاضرة ، ثمار القلوب ، خاص الخاص للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تفيدنا هذه الكتب في رواية جملة من أشعار الشاعر وقد تكررت الأخبار والأشعار فيها ويظهر أن الثعالبي اعتمد علي جملة محدودة من شعر ابن المعذَّل وكرر روايتها في كتبه.

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي يلقي ضوءً على منزلة الشاعر الأدبية ثم روي خبر اجتماع ابن المعذَّل وأبي نواس في وليمة .

ومعجم الأدباء لياقوت الحموي فيه أخبار تلقي ضوء علي صلات الشاعر بعدد من شعراء عصره كأبي قلابة وقعنب بن المحرز وغيرهما.

ثالثاً: كتب النقد الأدبي أو التي وردت فيها أحكام نقدية:

وهذه كلها تعيننا علي معرفة آراء النقاد والأدباء في شعر الشاعر ، وأين هو من شعراء عصره؟ فبعضها ذكر أنه شاعر البصرة وظريفها في عصره (خاص الخاص للثعالبي ص١١٨) .

ومنها ما فضل له أبياتاً أو مقاطع فجعلها من جيد ما قال محدث (طبقات بن المعتز ص ٣٦٨) وديوان المعاني ٤٠/٢، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وثمار القلوب للثعالبي ص ٢٧٣ ، وقد فضل الأخير قصيدته في الحُمَّى.

ومنها ما ذكر عيوب أبيات من شعره وهذا يلقي ضوءاً على منزلة الشاعر وعناية مجالس الأدب في رواية شعره فأشعاره كانت تروى فتتعرض لنقد اللغويين كما في (الموشح ص ٣٤٦ للمرزباني).

ومنها ما وازن بين شعره وشعر غيره كما في كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ١٠٢ – ١٠٣) للجرجاني.

ومنها ما عين طبقة الشاعر ومنزلته في الشعر كما في كتاب العمدة لابن رشيق. وقد بينت آراء النقاد والأدباء في ابن المعذَّل في موضوع (مكانته الشعرية).

ديوان ابن المعذَّل:

جُمع ديوانه مرة واحدة، وقام بجمعه وتحقيقه الدكتور زهير غازي زاهد، وهذه الطبعة التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا.

والذي جُمع من شعره سبعمائة وثلاثة وخمسون بيتاً موزعة في مائة وثمانٍ وخمسين قصيدة ومقطَّعة.

الفصل الثاني

فنون عبد الصمد بن المعذَّل الشعرية

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : فن الوصف

المبحث الثاني : فن الهجاء

المبحث الثالث : فن الغزل

المبحث الرابع : فنون أخرى

المبحث الأول

فن الوصف

المطلب الأول

وصف الطبيعة :

يلازم الوصف طبيعة النفس البشرية، خاصة في طور البداوة حيث تستبد بها نزعة التقليد، فالبدائي ينسج مظاهر الطبيعة ببعض الرسوم والإشارات على جدران الكهوف والمفاوز ولا يعتم أن يرتقي محاولاً أن يصور وينقل بالألفاظ، مستعيضاً بها عن الخطوط والإشارات، ولعل هذه النزعة ترافق مرحلة تعرفه على الكون واكتشاف نواميسه، إذ لا يعود يكتفي بأن يشخص أمام الظواهر بل يقابل بينهما ويستنتج منها مستخلصاً الشبه بين المظاهر المختلفة في وجه من الوجوه[١] .

لا شك أن الشاعر يستمد موضوعاته من طبيعة بيئته التي يتأثر بها ويؤثر فيها، محاولاً أبداً أن يعبر عن تأثيره وتأثره أضف إلى ذلك أن البدائي بطبيعة نفسيته تميل به نزعة التقليد إلى نقل ما يراه، حتى كأن شعره لوحات منقولة بدقة وبراعة عن البيئة التي يعايشها[٢] .

ويرجع ابن رشيق القيرواني الشعر إلاّ أقله إلى باب الوصف، ويقول لا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه، مشتمل عليه، وليس به لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن الحقيقة وأن ذلك مجاز وتمثيل[٣] .

وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع كما قال النابغة الجعدي يصف ذئباً افترس جوذرا :

---

[١] إيليا حاوي: فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، طبع منشورات دار الشرق الجديد، الطبعة الأولى ١٩٥٩م١/٥..

[٢] نفسه ص ٢٢-٢٣.

[٣] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٢٩٤/٢ .

فأنت ترى كيف تامّ هذا الوصف بنفسه ومثل الموصوف في قلب سامعه، قال قدامة [الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها، ثم بأظهرها فيه، وأولاها به، حتى يحكيه ويمثله للحُسن بنعته][1] .

[1] ابن رشيق القيرواني : العمدة، ٢/٢٩٤-٢٩٥ .

فأنت ترى كيف تامّ هذا الوصف بنفسه ومثل الموصوف في قلب سامعه، قال قدامة [الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها، ثم بأظهرها فيه، وأولاها به، حتى يحكيه ويمثله للحُسن بنعته][1] .

وقال بعض المتأخرين [أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً] وأصل الوصف الكشف والإظهار يقال : قد وصف الثوبُ الجسم إذا نمَّ عليه ولم يستره ومنه قول ابن الرومي :

إَذا وَصَفنَ مَا فَوْقَ مَجْرى وِشَاحِها غَلائِلُهـــا رَدَّتْ شَـــهادتها الأزُرْ

ألاَّ أن من الشعراء والبلغاء من إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه وطلب الغاية القصوى التي لا يعدوها شيء، إن مدحاً فمدحاً، وإن ذماً فذماً .

والناس يتفاضلون في الأوصاف كما يتفاضلون في سائر الأصناف فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها، وإن غلبت عليه الإجادة في بعضها كامرئ القيس قديماً، وأبي نواس في عصره، والبحتري وابن الرومي في وقتهما وابن المعتز، فإن هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين في الأوصاف وليس بالمحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها والقفار ومياهها وحمر الوحش والبقر والظلمان[2] والوعول، ما بالأعراب وأهل البادية لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات وعلمهم أن الشاعر إنما يتكلفها تكلفاً ليجري على سنن الشعراء قديماً[3] .

أولاً : وصف الرياض والبساتين :

وصف الشعراء قديماً وحديثاً الرياض والبساتين بين مكثر ومقل، فالنفس البشرية توَّاقة بطبعها لرؤية مظاهر الحسن في الطبيعة، والشاعر أكثر توقاً لذلك فكم وجد في الماء وخضرة الطبيعة ملاذاً يخفف به صعوبات الحياة .

---

[1] ابن رشيق القيرواني : العمدة، ٢/٢٩٤-٢٩٥ .
[2] الظلمان : جمع ظليم (ذكر النعام).
[3] العمدة : ٢/٢٩٥ .

كان ابن المعذَّل يحسن تصوير ما يصفه وهو إحسان جعله يبرع في تصوير الطبيعة، ويظهر أنه كان يشغف بمناظرها شغفاً شديداً على نحو ما نرى في تصويره لبستانه وكان بستاناً غاصاً بالأشجار والرياحين وكان يخلو بنفسه به وينادمه حين لا يجيئه ندمانه، فبستانه هذا كان نديمه المفضل وفيه من أسباب البهجة والجمال ما ترتاح إليه النفس، وأنه كان ينسيه همه وأحزانه، وفيه ينظر إلى الظباء وهي حانية إلى صغارها، ومن حوله زهور الأقاحي متفتحة كأنها أسنان غانية مبتسمة، مشبهاً نرجسه بعين فتاة ناظرة إلى وجه عاشقها، ولذلك نقول إن الطبيعة هي خير ملجأ للنفس الضجرة القلقة واسمعه يقول[١]

إذا لـــم يَزُرْنـــيَ ندْمانيـــهْ ... خلـــوتُ فنادمـــتُ بُســـتانيهْ
فنادمتُـــه خَضِـــراً مُونقـــاً ... يهـــيِّجُ لـــي ذِكْـــرَ أشـــجانيهْ
يقـــرِّبُ مُفْرحـــة المســـتلذ ... ويبعـــدُ همِّـــي وأَحزانيـــهْ
أرَى فيـــه مِثْـــلَ مـــداري الظِّبـــاء ... تظـــلُّ لأطلائهـــا حَانيـــهْ[٢]
وَنَـــوُر أقـــاحٍ شَـــتيتُ النبـــاتِ ... كمـــا ابتســـمتْ عجبـــاً غَانيـــهْ
وَنرْجِسُـــه مِثْـــلُ عـــينِ الفَتـــاةِ ... إلـــى وَجْـــهِ عَاشِـــقها رَانيـــهْ[٣]

وقوله:[٤]

أمـا تـرى الشـمسَ قـد لانـتْ عريكتهـا ... وقـد تورّقـتِ الأشـجارُ والقضُـبُ
والنَّـرْجِسُ الغـضُّ قَـدْ حانـتْ مُقاطفـه ... كـأنهنَّ عيـونٌ مـا لهـا هُـدُبُ
كَأَنَّـــه فضّـــةٌ تَعْلـــو زُمـــرَّدةً ... خضـراء يضـحك منهـا نـاظرٌ ذهـبُ

وصـف شـاعرنا ابـن المعـذَّل الشـمس بأنهـا انخفضـت حرارتهـا، وتورقـت الأشـجار، وإزدادت جمـالاً بتورقهـا، واصـفاً النـرجس الـذي قـد حـان وقـت قطفـه كأنـه عيون جميلة مالها هدب وتألق في وصفه حينما وصفه بأنه فضة تعلو أحجاراً كريمة خضراء يضحك منها ناظر ذهب، وهي بذلك تبعث السرور في النفس .

ومن بديع ما قيل في الرياض والبساتين قول ابن المعذَّل[٥]:

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٨٣ .
[٢] مداري : جمع مدري أي القرن، الظباء جمع ظبي وهو الغزال، الأطلاء : جمع طلو وهو ولد الظبي .
[٣] رانية : ناظرة دائمة النظر في سكون .
[٤] ديوان ابن المعذَّل، ص ٨٦ .
[٥] نفسه، ص ١١٩-١٢٠ .

معـانٍ مـن العَـيْشِ الغَريـرِ ومَعْمَـرُ ومبـدى أنيـقٍ بالعُـذَيْبِ ومحْضَـرُ [٦]
نَمَـا الـروض منـه فـي عَـذاةٍ مريعـةٍ لهـا كوكـبٌ يستأنق العـينَ أزْهَـرُ [٧]
تــرى لامــعَ الأنــوارِ فيهــا كأنَّــه إذا اعترضـتْه العـينُ وشْـيٌ مُـدثَّرُ [١]
تَسَــابقَ فيــهِ الأُقْحــوانُ وحَنْــوةٌ وسَــاماهما رَنْــدٌ نَضِــيرٌ وعَبْهَــرُ [٢]
يَمُــجُّ ثراهــا فيــه عَفْــراءُ جَعْــدةٌ كــأنّ نــداها مــاءُ وَرْدٍ وعَنْبــرُ [٣]

وصـف الشـاعر بسـتاناً [بالعُـذَيْب] ●والعُـذَيْب هـو مـاء بـين القادسـية والمغيثـة، وهـذا البسـتان يجمـع خصـالاً حميـدة جمـة، وهـو مـأهول بالسـكان، وكثيـر المـاء والكـلأ، وروضـه نما في أرض طيبـة، ولـه نباتـات جميلـة طويلـة تسر العيون، وتبدو أزهاره لامعة كأنها نقوش زاهيـة، كمـا صـور لنـا تسـابق الأقحـوان ونبـات الحنـوة [الريحـان] فـي النمـو تصويراً جميلاً، ويكثر في ذلك المكان نبات الرند والياسمين، والرند هو نبات صحراوي طيب الرائحة يشبه الآس، ووصف أرضه بأنها بكر ندية كأن نداها ماء ورد وعنبر .

مـازال شـاعرنا يحـدثنا عـن وصـف العُـذَيْب، وقـد أبـدع فـي تصـوير ذلـك المكـان فوصف رائحته العطرة الذكية التي تفوح في كل مكان، وتكثر فيه النباتات والأشجار مثل الشِّيح والقَيْصوم والشث وهو نبات طيب الرائحة، وأشجار الطّبّاق والبان والعرعر، ووصف لنا نضارة الرمان وروعة التفاح على الأغصان وقد دنا وقت قطفه، ويبدو أن الشاعر لا يريد أن يسمي أشجاراً بعينها بقدر ما يريد أن يقول إن بستانه يجمع أنواع النباتات الجميلة والنادرة وقال : إذا زرت هذا المكان يوماً فإنك تطرب بتغريد الطيور وتتمتع بالنظر إلى الظباء الجميلة ذات العيون الحوراء وهي تتطلع إليك بحذر قائلاً:[٤]

أَعَـادَ نَسِـيمُ الـريحِ أَنْفـاسَ نَشْـرِهِ وخايَـلَ فيــه أحمــرَ اللَّــوْنِ أصــفرُ [٥]
بَـدأ الشِّـيحُ والقَيْصـومُ عِنْـدَ فُروعِـه وشــثٌّ وطُبَــاقٌ وبــانٌ وعَرْعَــرُ [٦]

---

[٦] المعمر : المنزل الكثير الناس والماء والكلأ، العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة (والمغيثة منزل في طريق مكة بعد العذيب وكان لبني نبهان) وقد أكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم (معجم البلدان ٦٢٦/٣ : ياقوت الحموي : طبعة وستنفلد، ليبنيغ ١٨٦٦-١٨٧٠م) .

[٧] العذاة : الأرض الطيبة، الكوكب ما طال من النبات .

(١) الوشي المدنر : النقوش الزاهية .

(٢) الحنوة : نبات سهلي أو آذريون البر وريحانه، الرند : نبات صحراوي طيب الرائحة يشبه الآس، العبهر : الياسمين .

(٣) العفراء الجعدة : الأرض البكر الندية

(٤) ديوان ابن المعذَّل، ص ١٢٠ .

(٥) خايل : فاخر .

(٦) الشيح : نبات طيب الرائحة : القيصوم " نبت صحراوي زهره مر يستخدم في العقاقير الطبية، الشث : نبات طيب الرائحة يدبغ به، الطباق : شجر منابته جبال مكة يستخدم في العقاقير، البان : شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف، العرعر : شجر يشبه السرو لا ساق له ينبت في الجبال .

ونَاضِـــرُ رُمَّـــانٍ يَـــرفٌ شَـــكِيرهُ يَكـادُ إذا مـا ذَرَّتْ الشـمسُ يَقْطـرُ[1]
ويَـــانِعُ ثُفَّـــاحٍ كـــأنّ جَنيَّـــهُ نُجُـومٌ علـى أَغْصـانه الخُضْـرِ تزهـرُ
إذا زُرْتَـــه يومـــاً تَغَـــرَّدَ طـــائرٌ ورانـاك ظبـيٌ بـين غُصـنينِ أحـورُ

ويقول أبو هلال العسكري في هذه القصيدة [إنها ذات روعة وجمال وهي من بديع ما قاله محدث][1] وهي نظرة عارفة بالفن دقيقة في الحكم .

قال عبد الصمد في نخل باعه[2]:

فـــارَقَتني ذخيـــرةٌ مـــن عَقـــارٍ ذكَّرتَنـــــي تفـــــرّقَ الأحبـــــابِ
وسـواء بَيْـعُ الرِّقـاب مـن المـالِ إذا بعتهـــا وضـــربُ الرِّقَـــابِ

يتحسر شاعرنا في هذه الأبيات على بيع نخله لأنه وثيق الصلة بذكريات الماضي حتى قرنه بالألم الممض الممثل في ضرب الرقاب .

أودع ابن المعذَّل إبداعه وإجادته في أرجوزته التي قالها في وصف النخيل:[3]

حـــــدائقٌ مُلْتَفـــــةُ الجنـــــانِ
رســـتْ بشـــاطئ تَـــرِع ريَّـــانِ[4]
تَمْتَـــارُ بالأَعْجـــازِ للأذقـــانِ[5]
لا تَرْهَـــبُ المُحْـــلَ مـــن الأَزْمـــانِ
ولا تـــوفِّي خَتْـــل الـــذؤبانِ[6]
ولا تَـــرى ناشـــدةَ الرعيـــانِ
ولا تخـــاف عَـــرَّة الأَوطـــانِ[7]
سُـــحْمُ الـــرؤوس كُمْـــتُ الأبـــدانِ[8]

---

(1) الشكير : صغار النبت، ذرت الشمس : طلعت .

[1] ديوان المعاني، ص ١٥ .

[2] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٥ .

[3] نفسه، ص ١٨٨ .

[4] ترع ريان : أي يكثر فيه الماء .

[5] تمتار بالأعجاز إلى الأذقان : أي يأخذ الغذاء بامتداد أعجازها في الأرض إلى أعاليها .

[6] الختل : المكايدة .

[7] العرة : العيب والخلة القبيحة أو هو الجرب .

[8] سحم : جمع أسحم وهو الأسود. الكمت : جمع كميت وهو ما بين الأسود والأحمر من الألوان .

لهـــا بيـــوم البـــارحِ الحَنَّـــانِ[٩]
مثــل تنــاجي الخــرد الحســان [١٠]

وصف الشاعر حدائق النخل بأنها ملتفة جميلة خضراء، ترسو على شاطئ يكثر فيه الماء وهذه الأشجار تأخذ غذاءها بامتداد أعجازها في الأرض إلى أعاليها، وهي لا ترهب القحط والجدب، ولا توقَّى مكايدة الذؤبان ولا ترى ناشدة الرعيان كما أنها لا تخاف العيب والجرب والخلة القبيحة، وتمتاز رؤوسها بالسواد، وشكلها يجمع ما بين الأسود والأحمر من الألوان، فإذا مرت بها رياح حارة مصوّتة فصوتها مثل تناجي الشابة الحيية .

وقال أبو هلال العسكري في هذه الأرجوزة (لا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الأرجوزة، وهي أرجوزة دقيقة الوصف جيدة الفن...)[١].

وهكذا بدا لنا شاعرنا ابن المعذَّل متفاعلاً مع الطبيعة، ذاكراً رياضها وبساتينها وماءها بالعُذَيْب، واصفاً الشمس لدن الغروب، مقدماً لوحة وصف عن النخل هي من الجودة والبراعة بمكان، وقد أشاد بها أبو الهلال العسكري طويلاً.

ثانياً : وصف الحيوان :

وصف الشعراء الحيوان متفاوتين في درجات وصفهم بين مكثر ومقل، وكان الشاعر الجاهلي لا يدع حيواناً أو مشهداً دون أن يصوره، فذكر الفرس والأوابد والحمر الوحشية، والعقاب والذئب، فضلاً عن الصقر والقطاة، كما أنه تعدى الوصف للحيات والأفاعي[٢].

كان الحيوان الجاهلي رفيق السفر وشريكاً في الكفاح ضد مؤثرات الطبيعة وعواملها، وقد أنس خلال عشرته الطويلة بطباعه كما خبر مميزاته فجعل يصف الحيوانات ويذكرها في شعره بالدقة العلمية الخارجية التي عرف بها ولعل الفرس

---

[٩] البارح الحنان : الريح الحارة المصوّتة .

[١٠] الخرد : جمع خريدة وهي الشابة الحيية.

([١]) ديوان المعاني ٢ ص٤٢.

([٢]) محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، طبع المكتبة التجارية مصر، عام ١٩٤٩م، ص ٢٤٤ .

والناقة، كانتا من أهم تلك الموضوعات، لالتصاقها بواقع الجاهلي، ولاضطراره في تنازع عيشه وبقائه كما أنه ألم بذكر العقاب والظليم وما أشبه[1].

وكلما تأخرت العصور نجد أن وصف الحيوان يقل نسبياً عما كان عليه في العصور المتقدمة، أما في العصر العباسي الأول أهتم الخلفاء بالصيد اهتماماً كبيراً وكانوا يخرجون إليه في مواكب حافلة، ومعهم البزاة والصقور والكلاب وتبعهم في هذا الصنيع الوزراء وعلية القوم وقد نظم الشعراء في هذه المتعة الرياضية أراجيز كثيرة سموها الطرديات، وأكثر من النظم فيها أبو نواس وأحسن غاية الإحسان في وصف الكلاب لأنه كان قد لعب بها زماناً وعرف منها ما لاتعرفه الأعراب] وسبقه في هذا الموضوع بعض شعراء العصر الأموي مثل الشمردل وأبي نخيلة ولكنه هو الذي مد طنبه وفتح أبوابه لا من حيث كثرة ما نظمه فيه فحسب، بل أيضاً من حيث دقة وصفه لأدواته وجوارحه[1].

وعلى هذا النحو نفذ الشاعر العباسي من وصف الشاعر القديم للصحراء وحيوانها الأليف والوحشي إلى وصف بيئته بجميع مظاهرها وعناصرها فأكثروا من وصف الحيوان والطير والحشرات، واشتهر بذلك خلف الأحمر، وجهم بن خلف، وفي كتاب الحيوان للجاحظ من ذلك مادة وافرة[2].

للحيوان نصيب يسير عند شاعرنا ابن المعذَّل ووصفه في أربعة مواضع هي : وصف [الصقر والعقرب والفهد والحية] .

وصف ابن المعذَّل الصقر بأنه من جوارح الطيور بادئاً بذكر العازب وهو المكان البعيد، واصفاً البرد الذي ترك النبات جعداً، مسهباً في وصف الصقر حين ينقض علىُ بغاث الطير مشبهاً له بالحسام بقوله [3]:

وعـــازبٍ بَـــاكَرهُ القُـــرُّ الفُـــرطْ تَخايـلَ النبـتُ بـه الجَعْـدُ القَطِـطْ
نـــوّارُهُ مثـــل الـــذُبال قَـــدْ سَـــلَط كأنَّمـــا الوشـــي عليـــه قـــد بُسِـــطْ
أقنـى رَحيـب الشِّـبر مَحْبُـوك سَبِطْ مـا يَلْـقَ بالمِخْلـب مـن مِسْـك يُعِـطْ

---

(1) إيليا حاوي : فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ٣٧/١ .

[1] د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ص ١٨٨-١٨٩ .

[2] العصر العباسي الأول، ص ١٨٥ .

[3] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٣١ .

حتَّـــى إذا حُـــدَّ مَقَـــاطٌ فَنَشـــطْ وخُـــرِّطَ المـــوت عليهـــا إذا خُـــرِطْ
ومـــرَّ يهـــوي كالحُســـام الممـــتعطْ قَـــذَفْنَ ذَرْقـــاً كعثـــانين الشُـــمُطْ

●

وقال ابن المعذَّل في وصف العقرب:[1]

يــا رُبَّ ذي إفــكٍ كَثيــرٍ خُدَعــهْ
مســتجهلِ الحِلْــمِ خبيــثٍ مِرْتَعــهْ
يَسْري إلى عِرْضِ الصَّديقِ قَذُعـهْ
صُـبَّتْ عليـه حِـينَ جَمَّـتْ بِدعُـهْ
ذاتَ ذنــابي ملتــف مــن تَلْســعُهْ
تُخْفِضُــه طَــوْراً وطَــوْراً ترفعــهْ
تُسْـرعُ فيــه الحَتْـفُ حِـينَ تَرْفعُـهْ
حتَّــى دنــتْ منــه لحَتْـفٍ تزمعــهْ
فاضــتْ تَجُــمَّ ســمها وَتَجْمعــهْ
فشــرعتْ أمَّ الحِمــام اصــبعهْ
أَنحــتْ عليــه كالشِّــهاب تَلْذعُــهْ
فكــلُّ خِــلٍّ ظــاهر تفجعــهْ
يَـزْدادُ مـن بَغْـتِ الحِمـام جَزَعُـهْ

●

يصف الشاعر في هذه الأبيات العقرب ولسعتها المميتة متحدثاً عن سمها الذعاف حين تلدغ الشخص، فمن لدغته جعلته بين الحياة والموت، وقربت له موته ذاكراً سرعة لدغها وهو من الوصف الطريف، وقبل ذلك تناول ابن المعذَّل صفات الشخص الذي لدغته هذه العقرب المذكورة، فهو كثير الكذب والخداع يشتم الصديق بفحش ظاهر .

وصف ابن المعذَّل الفهد بادئاً بالحديث عن الشمس إذ كانت مختفية في أذيال الظلام وكأن بقية الظلام قد سترتها، واصفاً الخيل في غدوه إلى الصيد، متحدثاً عن سرعة حيوان الصيد وكثرة صيده، وكأن موت الوحش والظباء في رقبتها مستفيضاً في الحديث عن جو الصيد، مشبهاً الفهد تشبيهات عدة

([1]) الديوان : ص ١٣٦-١٣٧ .

حين يصيد الفريسة في شراسته ومعاداته ونهمه وشدة انقضاضه عليها كسرعة السهم بقوله: [1]

قَـدْ أَغْتـدي والشَّـمْسُ فـي أَرْواقِهـا [2]
لــم تــأذنْ السُّــدْفةُ فــي إشــراقِهَا[3]
وصُــحْبتي الأمُجـادُ فــي أعْراقِهـا [4]
علــى عِتــاقِ الخَيْــلِ مِــنْ عِتاقِهــا
نِمــرٌ بِنَــاتُ القَفْــرِ مِــنْ أَرْزاقهــا
•تَغْدو منايا الوحش فـي أَطْواقهـا [5]
باتــتْ إلــى الصَّــيْدِ مــن اشــتياقها
وجَــذْبُها الأَعْنــاقَ مــن أَرْباقِهــا [6]
كأنَّهــا الحيــاتُ فــي إطراقهــا
أمــا رأيــتَ الــريحَ فــي انْخراقهــا[7]
وَلَمْعــةَ البــارِقِ فــي ائتلاقِهــا
وغَيْبــةَ الشُــؤبوبِ فــي انْبعاقِهــا [8]
•تَغْدو منايا الوحش في أَطْواقها [5]
باتــتْ إلــى الصَّــيْدِ مــن اشــتياقها

([1]) ديوان ابن المعذَّل، ص ١٤٦-١٤٨،١٤٧-١٤٩ .

([2]) أرواق : جمع روق وهو مقدمة الشيء ، ويأتي بمعنى الستر والمقصود هنا أن الشمس وقت اغتدائي ما زالت مختفية في أذيال الظلام وكأن بقية قد سترتها .

([3]) السدفة : الظلمة .

([4]) في أعراقها : جمع عرق أي الأصل .

([5]) هذه صورة جميلة في التعبير عن سرعة حيوان الصيد وكثرة صيده وكأن موت الوحش والظباء في بقبتها وقبله قال امرؤ القيس في وصف حصانه [كأن دماء الهاديات بنحره *** عصارة حناء بشيب مرجل] .

([6]) الأرباق : جمع ربقة وهو العروة في الحبل .

([7]) الانخراق : أي السرعة .

([8]) الشُؤبوب: الدفعة من المطر. انبعاقها : أي اندفاعها وانقضاضها .

([5]) هذه صورة جميلة في التعبير عن سرعة حيوان الصيد وكثرة صيده وكأن موت الوحش والظباء في بقبتها وقبله قال امرؤ القيس في وصف حصانه [كأن دماء الهاديات بنحره *** عصارة حناء بشيب مرجل] .

وجَــذْبُها الأَعْنــاقَ مــن أَرْباقِهــا [٢]
كأنَّهـــا الحيـــاتُ فـــي إِطراقهـــا
أمــا رأيــتَ الــريحَ فــي انْخراقهــا[٣]
وَلَمْعـــةَ البـــارِقِ فـــي ائتلاقِهـــا
وغَيْبــةَ الشُــؤبوبِ فــي انْبعاقِهــا [٤]
تَغْـدو منايـا الـوحش فـي أَطْواقهـا [١]
باتــتْ إلــى الصَّــيْدِ مــن اشــتياقها
وجَــذْبُها الأَعْنــاقَ مــن أَرْباقِهــا [٢]
كأنَّهـــا الحيـــاتُ فـــي إِطراقهـــا
أمــا رأيــتَ الــريحَ فــي انْخراقهــا[٣]
وَلَمْعـــةَ البـــارِقِ فـــي ائتلاقِهـــا
وغَيْبــةَ الشُــؤبوبِ فــي انْبعاقِهــا [٤]

ولمَّا كان ابن المعذَّل شاعراً حضرياً فإن اللافت للنظر وصفه الفهد وإجادته في هذا الوصف وهو من وحوش الحيوانات، ولعله أمعن فيه أثناء رحلات الصيد مع عِلْية القوم الذين كانوا يخرجون إليها زرافات ووحداناً، ولأبي نواس النصيب الأكبر في هذا المجال ولا سيما في طردياته .

وصف شاعرنا ابن المعذَّل الحية وسمها الزعاف الذي يأخذ روح اللديغ قبل أن يأخذ دمه مشبهاً ذلك السم بنبات الورس حين يعمه الظلام متحدثاً عن رأسها الذي يشبه الحبل المفتول وحذته التي تماثل رأس الرمح الحاد يقول [٥]:

([٢]) الأرباق : جمع ربقة وهو العروة في الحبل .

([٣]) الانخراق : أي السرعة .

([٤]) الشُؤبوب: الدفعة من المطر. انبعاقها : أي اندفاعها وانقضاضها .

([١]) هذه صورة جميلة في التعبير عن سرعة حيوان الصيد وكثرة صيده وكأن موت الوحش والظباء في بقبتها وقبله قال امرؤ القيس في وصف حصانه [كأن دماء الهاديات بنحره *** عصارة حناء بشيب مرجل] .

([٢]) الأرباق : جمع ربقة وهو العروة في الحبل .

([٣]) الانخراق : أي السرعة .

([٤]) الشُؤبوب: الدفعة من المطر. انبعاقها : أي اندفاعها وانقضاضها .

([٥]) ديوان ابن المعذَّل ص ١٧٨ .

كـــأنّ وَرْســـاً شـــبَّهُ بِعِظْلِـــمِ [1]
علـــى قَـــراه نضـــحاً بالعَنـــدمِ [2]
أرأسُ أهـــوى كالجـــديل المبـــرمِ [3]
ذو مِـــذْرَبٍ مثـــل السّـــنانِ اللَّهـــذمِ [4]
يســـتنبط المهجـــة مـــن قبـــل الـــدمِ

وهكذا فإن شاعرنا ابن المعذَّل وصف الطبيعة بشقيها المتحرك والساكن، فوصف العقرب والفهد والصقر والحية، ولم يترك شيئاً في طبيعة بيئته الحضرية ألا وأفاض فيه .

([1]) الورس : نبات كالسمسم يصيغ به ويتخذ منه الغمره [الزعفران]

([2]) العندم : نبات يصبغ به لونه أحمر، القرا : الظهر .

([3]) الأرأس : العظيم الرأس . الجديل : الحبل .

([4]) مذرب : اللسان

السنان اللهذم : أي رأس الرمح الحاد .

المطلب الثاني

موصوفات أخرى :

نظراً لقلة الأبيات عن هذه الموصوفات عند شاعرنا ابن المعذَّل ورأيت وضعها في مطلب واحد .

أولاً : مجلس الشّرب :

وصف الشعراء الخمر منذ العصر الجاهلي فقد كان أهل الجاهلية أصحاب لهو وشراب على حد تعبير الرواة والمؤرخين، في كلامهم عن الذين هجروا الخمرة منهم بعد إسلامهم[١] تحدث الشعر الخمري عن طقوس الخمر وصناعها من تجار وقرباء ويهود ونصارى، يأتون البادية بزقاق الخمر من نواحي الشام والعراق[٢] .

ويبدو من حديث الشعراء عن الخمر أنها من علامات الفتوة عندهم فيفاخرون بما بذلوا من المال لأجلها، فقد أنفق عنترة ثروته عليها ولم يجد غضاضة في ذلك واستهلك ماله مباهياً بكرمه[٣] :

فـــإذَا شَـــرِبتُ فـــإنّني مُسْـــتَهلِكٌ مـــالي وعِرْضِـــي وَافِـــر لَـــمْ يُكْلَـــمِ

وكانوا يؤدون أثمانها في الغالب نوقاً أو جياداً، أو ثياباً، لقلة الدراهم في أيديهم، قال الأعشى[٤] :

فَقُلْـــتُ لَـــهُ: هـــذِه هَاتهَـــا بأدْمَـــاء فـــي حبـــلٍ مُقْتَادُهَـــا[٥]

وقد يُسقى ضريح الميت خمراً إذا كان من عشاقها في الحياة، فقد ذكر الرواة أن فتيان [منفوحة] كانوا يأتون قبر الأعشى ويسكرون عنده ويريقون الأقداح على ثراه[٦] .

---

[١] بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، طبع دار مارون عبود – لبنان، سنة ١٩٧٩م ص ٧٣.

[٢] نفسه ص ٧٣ .

[٣] الزوزنى : شرح المعلقات السبع طبع دار الجيل بيروت– لبنان الطبعة الثالثة١٣٩٩هـ–١٩٧٩م .

[٤] أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ٧٤ .

[٥] أدماء: ناقة مشربه سواداً أو بياضاً، وقوله هذه يريد بها الخمر .

[٦] أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ٧٩ .

وإنما قيل لمشارب الرجل نديم من الندامة، لأن معاقر الكأس إذا سكر تكلم بما يندم عليه، فقيل لمن شاربه نادمه، لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له كما يقال جالسه فهو جليس له، والمعاقر المدمن كأنه لزم عقر الشيء أي فناءه[١] .

تهالك الشعراء العباسيون على وصف الخمر حتى أصبحت من أهم الموضوعات الجديدة في الشعر العباسي واشتهر فيها غير شاعر بخمرياته على نحو ما هو معروف عن أبي نواس، وتفنن الشعراء العباسيون في وصف نشوتها وآثارها في الجسد، والعقل ودنانها، وكئوسها ومجالسها وندمانها، وسقاتها وكانوا عادة من النصارى والمجوس واليهود وكانوا يزينون رؤوسهم بأكاليل الزهر كما يزينون قاعة الشراب بالرياحين، وفي ذلك يقول أبو نواس في خمريته التي كان يعجب بها الجاحظ إعجاباً شديداً [٢] .

---

[١] ابن عبد ربه : العقد الفريد، طبع المطبعة الأزهرية – مصر، ١٩٢٨م، ٣٢٠/٤.

[٢] العصر العباسي الأول: ص ٦٧ .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية لشعر ابن المعذَّل

المبحث الاول: بناء القصيدة

المبحث الثاني: الصورة الفنية

المبحث الثالث: الموسيقى الشعرية

المبحث الرابع: المعجم الشعري

المبحث الأول

بناء القصيدة

تمهيد:

لا وجود لمقدمة القصيدة عند شاعرنا ابن المعذَّل لأنه كان يباشر موضوعه دون أن يقدم له بالمقدمة التقليدية. ومن عملنا في شعره لم نظفر بأي ضرب من ضروب المقدمات. وهذه ظاهرة لافته بالنظر، ولعلَّ تفسيرها يكمن في أن ابن المعذَّل نهج منهج الشعراء المحدثين في عصره في بناء القصيدة، ثم إنه أكثر من المقطوعات القصار ولهذا بقى مكان مقدمة القصيدة شاغراً في هذا البحث .

ولما لم يلم شاعرنا ابن المعذَّل بمقدمة القصيدة فمن البديهي أن لا نجد تخلُّصاً عنده، لأن القصيدة عنده موضوع واحد . وهذا بدوره يقودنا للحديث عن وحدة القصيدة في شعره لاحقاً .

المطلب الأول

خاتمة القصيدة:

الإنتهاء قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً، لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان اول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه [١] .

وينبغي لكل بليغ أن يختم كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتم فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها فلا جرم إن وقع الاجتهاد في رشاقتها وحلاوتها وفي قوتها وجزالتها، وينبغي تضمينها معنى تاماً يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية، ولهذا قال عليه السلام : [ملاك العمل خواتمه] وفي حديث آخر : [ألا إنما الأعمال بخواتيمها]، وفي حديث آخر : [لا تعجبوا من أحد تدروا بم يختم له، فالخاتمة في كل شيء هي العمدة في محاسنه والغاية في كماله] .

أما المتقدمون من الشعراء كأمرئ القيس والنابغة، وطرفة وغيرهم من الشعراء الجاهليين ليس لهم فيه كل الإجادة وإنما الذي أجاد فيه المتأخرون، كأبي نواس والمتنبئ والبحتري وأبي تمام[٢] .

ويقول أبو هلال العسكري : وينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها، أدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها، كما فعل ابن الزبعري في آخر قصيدة يعتذر فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويستعطفه :

فَخُذِ الفَضِيلةَ عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ خَلَتْ وأَقْبَلْ تَضَرَّعَ مُسْتَضِيفٍ تَائِبِ

فجعل نفسه مستضيفاً، ومن حق المستضيف أن يضاف وإذا أضيف فمن حقه أن يضاف، وذكر تضرعه وتوبته مما سلف، وجعل العفو عنه مع هذه الأحوال فضيلة، فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو.[٣]

---

[١] ابن رشيق القيرواني : العمدة ٢٣٩/١ .

[٢] العلوي اليمنى : كتاب الطراز ١٨٣/٣-١٨٤ .

[٣] أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ٤٤٣-٤٤٤ .

وقول تأبط شراً في آخر قصيدته[1]:

لتقـــرعنَّ علـــيَّ السِّـــنَّ مِـــنْ نَـــدَمٍ إذا تَـذكَّرتَ يومـاً بَعْـضَ أَخْلاقِـي

فهذا البيت أجود بيت فيها لصفاء لفظه وحسن معناه.

ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة وفيها راغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة، كل ذلك رغبة في أخذ العفو واسقاط الكلفة، ألا ترى معلقة أمرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر:

كَـــأنَّ السِّـــباع فِيـــه غَرْقَـــى غُدَّيـــةً بأَرجائِـهِ القُصْـوى أنـابِيشُ عُنْصُـلِ

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهي أفضلها[2].

وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء لأنه من عمل أهل الضعف، إلا الملوك فإنهم يشتهون ذلك، ما لم يكن من جنس قول أبي الطيب يذكر الخيل لسيف الدولة:

فَـــلا هَجَمْـــتَ بِهَـــا إلاَّ عَلَـــى ظَفَـــرٍ ولا وصَـــلْتَ بِهَـــا إلـــى أَمَـــلِ[3]

ومن الخواتيم التي تضمنت الدعاء، قول ابي نواس يمدح المأمون :

فَبَقِيـــتَ للعِلْـــمِ الـــذي تُهـــدَى لَـــهُ وتَقَـــاعَسَ عَـــنْ يومِـــكَ الأيـــامُ

فانظر إلى حسنها كيف تضمنت الدعاء بالبقاء مع نهاية المدح والإعظام لحاله، وغاية حسن الخاتمة أن يعرف السامع إنقضاء القصيدة وكمالها، فهذه علامة حسنها ورونقها[4].

لشاعرنا ابن المعذَّل خواتيم قصائد يتوفر فيها بعض ما ذكرناه من شروط جودة الخاتمة كقوله[5]:

ســأجْزِيك شــكري مــا حَييــت فــإن أمــتْ أُبـقِّ ثنـاءً فيـكَ يَبْقـى إلـى الحَشـرِ
وأُوثِـــرُ حُزنـــي فيـــك دُونَ تجلّـــدِي وإســـبالَ دَمْـــعٍ لا بكـــيٍ ولا نـــذرِ

---

[1] أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ٤٤٤ .

[2] ابن رشيق القيرواني : العمدة ١/٢٤٠-٢٤١ .

[3] نفسه ١/٢٤١ .

[4] العلوي اليمني كتاب الطراز ٣/١٨٥-١٨٦ .

[5] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٥.

أعلن الشاعر أنه يظل ذاكرا لمرتبة عمرو بن سعيد شاكراً لصنائعه مادام حياً، فإن مات سيبقى ثناؤه حاضراً بين الناس، وأن عاطفة الحزن تملأ نفسه محاولاً إظهار الجلد والصبر، ومع ذلك فدمعه يتتابع غزيرا، الخاتمة محكمة الغفل توحي بانتهاء الكلام.

وخاتمة أخرى لابن المعذَّل تضمنت عتابه لصديقه عبد الله بن المسيَّب حيث قال:[1]

فمتى خُمِرتَ فأنتَ في سَعَةٍ ومتى هفوتَ فانت في عذرِ
تَركُ العتابِ إذا استحق أخٌ منك العتاب ذريعة الهجرِ

فكأنه يريد أن يقول لولا سكرك لما إغتفرتها لك ولكن لمَّا نطقت وأنت سكران قلت تلك جناية السكر ثم يرق وتبين صراحته في البيت الأخير والخاتمة جيِّدة توحى بانتهاء الكلام.

يقول الشاعر:[2]

هكذا فِعلُ الفتاةِ إذا هي في عُشَّاقِها محكتْ

وهي خاتمة تضمنت كثيراً من صفات الشتم والهجاء لهذه الفتاة ولذا فهي خاتمة تلم بشئ من الجودة.

وثمة خاتمة أخرى يرثي فيها شاعرنا ابن المعذَّل سعيد بن سلم ناعياً جوده ومكارمه الجمة مراراً فلو كان بإمكان الليالي والأيام النطق والإبانة لنطقت بمكارمه وآلائه ذاكراً أن شهر صفر الذي مات فيه سعيد قد غيَّب واغتال ذلك الندى فيقول:[3]

إنَّ الليالي والأيامَ لو نطقتْ أثنتْ بآلائِك الآصالُ والبكرُ
كان الندى في شُهورِ الحَولِ مُقْتَسَماً بين البريةِ فاغتال الندى صَفَرُ

هذه الخاتمة جيِّدة وأوحت بانتهاء الكلام .

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٦.

[2] نفسه ص ٨٩.

[3] نفسه ص ١١٦.

يقول ابن المعذَّل:[1]

فـــذلك الحـــبُّ لا إتيـــان مَعْصـــيةٍ لا خَيْـرَ فـي لَـذْةٍ مـن بَعْـدِها سَـقَرُ

الخاتمة جيِّدة وصف فيها شاعرنا نفسه بأنه ليس من أهل الحرام وأن لا خير في لذة يعقبها ذنب يؤدى به في سقر.

ويقول:[2]

وأَعْلَـــــمُ أنَّ بَنَـــــاتِ الرَّجـــــاءِ تُحِـــلُّ العَزِيـــزَ مَحـــلَّ الـــذَّليلِ

وأَنْ لَـــــيْس مُســـــتغنياً بـــــالكثير مَـــنْ لَـــيْس مُســـتغنياً بالقَليـــلِ

هذه الخاتمة عبَّر الشاعر فيها عمّا في النفس من شكوى ذاكراً أنَّ كثرة رجاء الناس والطمع تجعل المرء العزيز ذليلاً. فالغنى في قناعة النفس بالقليل لا بالكثير وهي خاتمة تجري مجرى المثل والحكمة وتوحي بانتهاء الكلام ولعلَّ أثرها باقٍ في النفس بما تقدمه من نصح وارشاد.

ويقول ابن المعذَّل:[3]

أيُّ مـــــاءٍ لحُـــــرٍّ وَجْهـــكَ يَبْقـــى بَـــيْنَ ذُلِّ الهـــوى وذُلِّ الســـؤالِ

هذه خاتمة تنم عن سخرية الشاعر بأبي تمام حيث هجاه بإراقة ماء وجهه في السؤال حتى بدا ذليلاً مهاناً من كثرة سؤاله لأهل العطاء أضف إلى أنها توحى بانتهاء الكلام، ورغم ما ذكره ابن المعذَّل يظل أبو تمام شاعراً أبيّ النفس، مدح خلفاء وأمراء زمانه ممن كانوا يستحقون المدح كالمعتصم وابن حُميد الطوسي وغيرهما.

ويقول:[4]

أَرانـــــي اللهُ مـــــا قَلْبـــــي يُزاولُـــــهُ وحَاطَـــــهُ وتَـــــولاّه وأَبْقَـــــاهُ

لا شـــئَ ممـــا نَـــرى إلاّ لَـــهُ شَـــبَهٌ ومـــا لَكُـــم آل إبـــراهيمَ أشْـــباهُ

فالخاتمة جيِّدة على ما فيها من غلو الوصف، فالشاعر يصف ممدوحه الحسن بن إبراهيم وهو يذكر كرم (آل إبراهيم) الذي لا مثيل له وهي خاتمة تضمنت أعلى فضائل المدح.

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١٢٣

[2] نفسه ص ١٥٧

[3] نفسه ص ١٦٢

[4] نفسه ص ١٩٣

لابن المعذَّل خواتيم قصائد يتوقع السامع منه أن يأتي بعدها بشيء فهي من قبيل الخاتمة المفتوحة كقوله في هجاء المبرد[١]:

لـــو نَكَـــزَ الفيـــلَ العظـــيمَ الأَربـــدا بنابـــهِ جرَّعـــه كـــأسَ الـــردى

وهي خاتمة تضمنت أبلغ أنواع الهجاء للمهجو إلا أن الكلام يفتقر إلى ما بعده.

وقوله[٢]:

جحـــــــدت أبـــــــاك نِسْـــــــبَتَهُ وتَرجُـــــو أن تفيـــــد أبـــــا

الخاتمة تضمنت كثيراً من صفات الشتم والهجاء تلصق أنف المهجو بالرغام سالبة إياه الحسب وأصالة النسب هي خاتمة يتوقع السامع منه أن يأتي بعدها بشيء فهي من قبيل الخاتمة المفتوحة.

قال ابن المعذَّل متغزلاً[٣]:

مـــا ضَـــرَّ مـــن رَقَّـــتْ مَحاسِـــنُه لـــو كَـــانَ رقَّ فـــؤادُهُ الفَـــظُّ

وصف محبوبته برقة المحاسن غير أن فؤادها فظ إذ لم تستجب له وهي خاتمة مفتوحة.

وقوله في رجل يعرف بالفرَّاش[٤]:

لا درَّ درُّكَ يـــا محمـــد مـــن فتـــىً شيْنِ المغيبِ وغيرِ زَيْنِ المحضرِ

هذه خاتمة تنم عن سخرية الشاعر من المهجو ثم يدعو عليه بأن لا يكثر خيره فهو شين في المحضر والمغيب ولكن هذا الكلام يفتقر لما بعده حتى يكتمل.

وقوله في وصف بستان[٥]:

كـــأنَّ ابتســـامَ البَـــرْقِ فـــي حُجراتِـــه مهنَّـدةٌ بِـيضٌ تُشـام وتُشْـهَرُ

شبَّه لمعان البرق وبياضه بالسيوف البيضاء التي تشهر في الظلام وهذا الوصف لا بد له من تمام حتى تكون الخاتمة قفلاً للكلام.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٠

[٢] نفسه ص ٨٧.

[٣] نفسه ص ١٣٣.

[٤] نفسه ص ١٠٨.

[٥] نفسه ص ١٢١.

قال ابن المعذَّل[1]:

فكـــــلُّ خِـــــلٍّ ظـــــاهر تفجعـــــهْ
يَـــزْدادُ مـــن بَغْـــتِ الحِمـــام جَزَعُـــهْ
واليـــــأس مِـــــنْ تيســـــيره تُوقعـــــهْ

وصف شخصاً لدغته العقرب فقربت له موته متحدثاً عن سرعة لدغها وهذا الوصف لم يوح بانتهاء الكلام وهو من قبيل الخاتمة المفتوحة.

وقال يرثي طفيلياً يكني أبا سلمة مات على المائدة[2]:

إذا تعمَّـــم فـــي شـــبليه ثـــم غـــدا فإنَّ حوزة من يأتيه مصطلمَهْ

ذكر أن البيت الذي يحل فيه هذا الرجل تحل فيه داهية تستأصل كل ما فيه، فبدأ الوصف مفتقراً لتمام.

وقوله في وصف النخل[3]:

رأيتَـــــــه مُخْتَلِـــــــفَ الألـــــــوانِ
مِـــــنْ قـــــانيءٍ أحْمَـــــر أُرْجُـــــواني
وفـــــــاقعٍ أصـــــــفرَ كـــــــالنيرانِ
مثـــــل الأكاليـــــلِ علـــــي الغـــــواني

ختم الشاعر قصيدته ذاكراً أن النخل لما اختلف ألوانه من حمرة قانئة أرجوانية وصفرة أشبه بصفرة النيران مشبهاً النخل بتاج تلبسه الغواني الحسان من النساء ولكن الوصف لم يكن مكتملاً فيتوقع السامع منه أن يأتي بشيء بعده:

وقوله[4]:

قـــد تركـــتُ المُلَحّنـــين إذا مـــا ذكـروه قـاموا علـي الأذنـابِ

وصف ابن المعذَّل شعراً تغنيه فتاة ذات دل يولع به ذوو الألباب والعقول ويمتد أثره إعجاباً إلي الملحنين فالوصف لا بد له من تمام حتى تكون الخاتمة قفلاً للكلام ولكنها بدت خاتمة مفتوحة.

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١٣٨.
[2] نفسه ص ١٧٣.
[3] نفسه ص ١١٠.
[4] نفسه ص ٨٢.

وهذه خاتمة من قصيدة مشهورة لابن المعذَّل في وصف الحُمَّى مطلعها[1]:

هجـــــرتُ الهـــــوى أيَّمـــــا هَجْـــــرَة وعِفْـــتُ الغـــواني والخَمْـــرَهْ

يقول في خاتمتها[2]:

وقـــــالوا شـــــفاؤك فـــــي حمْيـــــةٍ تَعـــودُ عليـــك بهـــا النضـــرهْ

كـــــأني فـــــي منزلـــــي مخْصِـــــباً ببلقعـــــةٍ جَدْبـــــةٍ قَفْـــــرهْ

الخاتمة مفتوحة وصف فيها الشاعر حاله، فلا شهية له لتناول الطعام كأن بيته بلقعاً مقفراً مجدباً، ولعل السامع أو القارئ يتوقع أن يسهب الشاعر في هذا الوصف ولكنه وقف عند هذا الحد فبدت الخاتمة بحاجة إلي معني يجعلها موحية بانتهاء الكلام.

وضح مما تقدم ذكره من مواضع خواتيم القصائد عند شاعرنا ابن المعذَّل إن الخواتيم المفتوحة عنده أكثر من الخواتيم التي توحي بانتهاء الكلام. ولعل هذا الإكثار من الخواتيم المفتوحة يرجع إلي كثرة شعر الوصف عنده، فهو يسهب في وصف الأشياء ويختم قصائده بخواتيم لا توحي بانتهاء الكلام.

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١١٠

[2] نفسه ص ١١١.

المطلب الثاني

وحدة القصيدة :

يقصد بالوحدة في القصيدة وحدة الموضوع أو وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع . وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر وهو ما يسمى بالوحدة العضوية [١].

وعلى الرغم من أن القدماء فتشوا عن الشاهد وعنوا بالبيت الواحد، إلا أنهم في كثير من الأحيان أدرك بعضهم أن القصيدة ينبغي أن تكون أبياتها متلاحمة أشد ما يكون التلاحم مترابطة أشد ما يكون الترابط يقول ابن طباطبا العلوي : [أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها إذا أسست تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه، بل يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة ألفاظ، ودقة معان وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً][٢] .

ويفهم من كلام ابن طباطبا أن القصيدة العربية ينبغي أن تكون متماسكة لا انفصال بين مقدمتها وموضوعها، وإنما هما متصلان أشد ما يكون الاتصال وهو اتصال يفضي عندهم إلى ما يشبه الوحدة العضوية التي يؤدي فيها كل جزء وظيفته ويتلاحم مع ما بعده فتكتمل صورة القصيدة ويختل نظامها وينهدم بنيانها إذا أسقطنا أي بيت منها .

وقال الحاتمي : [من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلاً به غير منفصل منه، فإن القصيدة مثلها

---

[١] د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ص ٣٧٣ .

[٢] ابن طباطبا العلوي : عيار الشعر ص ١٣١ .

مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض . فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالم جماله][1] .

هذا وقد تحدث الدكتور طه حسين عن الوحدة في القصيدة العربية القديمة فقال : [إن الشعر العربي القديم كغيره من الشعر قد استوفى حظه من هذه الوحدة المعنوية وجاءت القصيدة من قصائده ملتئمة الأجزاء وقد نسقت أحسن تنسيق وأجمله وأشده ملائمة للموسيقى التي تجمع بين جمال اللفظ والمعنى والوزن والقافية[2]] .

وعلل طه حسين أن الذين ينكرون الوحدة المعنوية في القصيدة العربية إنما يأتي هذا الإنكار لسببين هما :

الأول : أنهم لا يدرسون الشعر القديم كما ينبغي ولا يتعمقون في أسراره ومبانيه .

الثاني : أنهم يقبلون ما يقوله الرواة وما ينقلونه إليهم في غير تحفظ ولا احتياط ولا تحقيق .

وقد اتخذ طه حسين معلقة لبيد التي مطلعها :

عَفَتِ الدِّيارُ مَحلَّها ومُقامها بِمنىً تأبَّد غولُها فرِجَامُها

معياراً لحكمه على الوحدة المعنوية في القصيدة العربية القديمة [3] .

وعلى ضوء ما تقدم يمكننا أن نطبق مفهوم الوحدة في القصيدة على بعض قصائد شاعرنا ابن المعذَّل التي تتوفر فيها وحدة القصيدة .

قال ابن المعذَّل في قصيدته التي مطلعها:[4]

هريقاً دماً إنْ أُنفِذَتْ عبرة تجري أبي الصبر أنَّ الرزءَ جلَّ عَنِ الصبرِ

نظم الشاعر هذه القصيدة في رثاء عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي وهي قصيدة طويلة تقع في أربعين بيتاً معبراً عن حزنه عن فقد جلل وهي ذات وحدة شعورية متكاملة، سيطر عليها شعور الحزن .

---

[1] ابن رشيق القيرواني : العمدة ١١٧/٢ .

[2] د. طه حسين : حديث الأربعاء : طبع دار المعارف – مصر – الطبعة الثانية [بلا تاريخ] الجزء الأول ص ٣٢ .

[3] نفسه ٣١/١ .

[4] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٣ .

يقول ابن المعذَّل[1]:

يَــرَى غبنــاً يَوْمــاً يمــرُّ ولَيْلَــةً عليـه ولـم يكسـبْ طريقـاً مـن الشُّكرِ
تغـضَّ لــه الأبصــار عنــد اجتلائــه ولــيس بــه إلا الجلالــةُ مــن كِبْــرِ

لقد نعته أقطار البلاد متفجعة لمصرعه باكية إياه مبالغاً في أن بطن الأرض استبشرت بمقدم ضريحه أنساً بقربه تم خشع ظهرها فقال[2]:

تناعــاهُ أقطــارُ الــبلادِ تَفَجّعــاً لِمصْــرَعِهِ تَبْكيــهِ قُطْــراً إلــى قُطْــرِ
تباشَــرَ بَطْــنُ الأرضِ أُنســاً بقُربِــهِ وأَضـحتْ عليـه وَهْـي خاشـعةُ الظهـرِ

ويقول[3]:

وهَــوّنَ وجْــدِي أنّنِــي لا أرى امــرأً من الناس ألا وهو مُغضٍ على وَتْرِ
رَمَتْنَـا اللّيـالي فيـك يـا عمـرو بَعْـدَ مَـا حَمِـدْنَا بـك الـدنيا بقاصـمهِ الظهـرِ
سأجْزِيك شكري ما حَييت فإن أمتْ أُبـقِّ ثنـاءً فيـكَ يبْقـى إلـى الحَشـرِ

فشعور الحزن وألم الفراق لا يخفيان فقد سيطرا على القصيدة من بدئها إلى خاتمتها ولذا فهي قصيدة ذات وحدة شعورية .

وقصيدة أخرى لابن المعذَّل في الرثاء تتوفر فيها وحدة الموضوع مطلعها[4]:

مــا للسَّــماءِ عليــه لــيس تَنْفَطِــرُ وللكواكــــبِ لا تَهْــــوي فتنتشــــرُ

وهي في رثاء سعيد بن سلم وقد ألمت بوحدة الموضوع بدأها الشاعر بالحديث عن الحزن والألم لفقد سعيد مهولاً من شأن ذلك الفقد معدداً مآثره من الندى والحزم والجود ومكرمات أخرى متحدثاً عن حزن عميق عم الحي والقبائل لفقده معزياً نفسه قائلاً[5] :

وللــــبلادِ ألاَّ تَسْــــمُو زلازُلهــــا والراســـياتُ ألاَّ تَـــرْدي فتنقعـــرُ
إنَّ النــدى وأبــا عمــرو تضَــمَنهُ قبــرٌ ببغــداد يُستَسْــقى بــه المطــرُ
لله حــزْمٌ وجــودٌ ضــمَّه جــدث ومكرمــاتٌ طواهــا التُّــربُ والمــدرُ

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٤ .
[2] نفسه ص ١٠٤ .
[3] نفسه ص ١٠٥ .
[4] نفسه ص ١١٤ .
[5] نفسه ص ١١٤ .

يــا طالبــاً وزراً مــن ريــبِ حادثــةٍ أوْدى ســـعيدٌ فـــلا كَهْـــفٌ ولا وَزرُ
أبكـي عليـك عيـونَ الحـيِّ مـن يَمـنٍ ومــن ربيعــةَ مــا تَبكِــي لــه مضــرُ

ما يزال شاعرنا ابن المعذَّل يعدد مآثر سعيد بن سلم فكم كان ملجأ للأيتام وأباً للأرامل يقول[1]:

أبـــو الأرامِـــلِ والأيتـــامِ لـــيس لـــه إلاّ مراعـــاتَهم هـــمٌّ ولا وَطَـــرُ

وبفقد سعيد فقد الناس مأوى لهم فبكاه الشعث الغبر والأرامل من النساء كما بكى الناس تقواه زاعماً أن البر والبحر بكيا الفقيد فقال[2]:

وَلِيَبْكِـــكَ المرملـــونَ الشُّـــعثُ ضَـــمَّهُمُ مـن كـلِّ أوْبٍ إلـى أبياتـكَ السَّـفَرُ
وذاتُ هِـــدْمينِ تُزجـــى دَرْدقـــاً قَزَمـــاً مثـلَ الرئـالِ حباهـا البـؤسُ والكِبَـرُ
وَيَبكِـــكَ الـــدينُ والـــدنيا لِرَعْيِهمـــا والبَـرُّ والبَحْـرُ والإعسـارُ واليُسُـرُ

ألمت هذه القصيدة بوحدة الموضوع إذ لم تخرج عن رثاء الممدوح .

ومن القصائد التي توفرت فيها وحدة الموضوع أيضاً، قصيدته التي مطلعها[3]:

غَـــدَرَ الزمـــانُ وليتـــه لـــم يَغْـــدِرِ وحَـدَا بشـهر الصّـوم فِطْـر المُفْطـرِ

وهي من قصائد الهجاء الذي يجري مجرى الهزل، هجا ابن المعذَّل رجلاً ثقيلاً يعرف بالفراش متحدثاً عن حزنه لإنقضاء شهر رمضان ومجيء الفطر لأن الفراش كان يجد موائد دسمه في ذلك الشهر عند المنذرين عمر وود الفراش وابنه لو أن شهر الصوم يدوم شهوراً، ثم يبشره بأنه سيعود حيث قال[4]:

ودَّ ابـــن فـــرَّاش وفـــرَّاش معـــاً لـــو أن شـــهر الصـــوم مـــدة أشـــهرِ
يُـــزري علـــى الإســـلام قِلّـــةِ صـــبره وتـــراه بحمـــد عِـــدَّةَ المتنصِّـــرِ
لا تهلكـــنَّ علـــى الصـــيام صـــبابةً ســـيعودُ شـــهركَ قـــابلاً فاستبشـــرِ

توفرت في هذه القصيدة وحدة الموضوع، فلم تخرج عن صفة الهجاء من البداية إلى النهاية، مع سخرية لاذعة بالمهجو .

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١١٥ .
[2] نفسه ص ١١٥ .
[3] نفسه ص ١٠٧ .
[4] نفسه ص ١٠٨ .

وقصيدة أخرى لابن المعذَّل في الوصف تتوفر فيها وحدة الشعور مطلعها[1] :

معـانٍ مـن العَـيْشِ الغَريـرِ ومَعْمَـرُ ومبـدى أنيـقٍ بالعُـذَيْبِ ومحْضَـرُ

وصف الشاعر بستاناً [بالعذيب] وهو ماء بين القادسية والمغيثة وشاعرنا يحدثنا عنه واصفاً رائحته العطرة الذكية التي تفوح في كل مكان ووصف النباتات والأشجار التي توجد به ونضارة الرمان وروعة التفاح على الأغصان فقال[2]:

أَعَـادَ نَسِـيمُ الـريحِ أَنْفـاسَ نَشْـرِهِ وخايَـلَ فيـه أحمـرَ اللَّـوْنِ أصـفرُ
بَدأ الشِّيحُ والقَيْصـومُ عِنْدَ فُروعِـه وشـــثٌّ وطُبَـاقٌ وبـــانٌ وعَرْعَـرُ
ونَاضِـرُ رُمَّـانٍ يَـرِفُّ شَـكِيرهُ يَكـادُ إذا مـا ذَرَّتْ الشـمسُ يَقْطـرُ
ويَـانِعُ تُفَّـاحٍ كـأنّ جَنيَّـهُ نُجُـومٌ علـى أَغْصـانه الخُضْـرِ تزهـرُ

فالقصيدة كلها تتحدث عن موضوع واحد وهو وصف العذيب .

ومن أشهر قصائد ابن المعذَّل التي تلم بوحدة الموضوع قصيدته في وصف الحُمَّى، يقول فيها[3]:

هَجَـرتُ الهـوى أَيَّمـا هَجْـرَه وعِفْـتُ الغـواني والخَمْـرَهْ
لَـوَتْني عـن وَصـلها سَـكْرَةٌ بكـأس الضـنا أيَّمـا سـكْرَهْ
وبنـتُ المَنيَّـة تنتـابُني هُـدوّاً وتَطْرُقُنـي سُـحْرَهْ
إذا لـم تَـرُحْ أصـلاً فـي العشـى فَأقْصـى مَواعـدُها بُكْـرَهْ
لهـا قُـدْرَةٌ فـي جُسـوم الأنـامِ حَبَاهـا بهـا الله ذُو القُـدْرَهْ
فقـد سَـلَبتْ أعظمـي نَحْضَـهَا ولـم تَتـرِكْ مـن دمـي قَطْـره

وتسير القصيدة على هذا النمط غير خارجة عن إطار وصف الحُمَّى وما تسببه من آلام، فبيته ملئ بالطعام ولكنه لا يستطيع تناوله لآلام الحُمَّى المبرحة، يقول[4]:

---

[1] ديوان المعذَّل ص ١١٩ .
[2] نفسه ص ١٢٠ .
[3] نفسه ص ١١٠ .
[4] نفسه ص ١١١ .

وقـــالوا شـــفاؤك فـــي حمْيَـــةٍ تعـــودُ عليـــك بهـــا النَضْـــرهْ
كـــأني فـــي منزلـــي مخْصِـــباً ببلقعـــــةٍ جَدْبـــــةٍ قَفْـــــرهْ

وهكذا توفرت في القصيدة وحدة الموضوع حيث خصها الشاعر بوصف الحُمَّى وما كان يعانيه منها .

وقصيدة وصف فيها ابن المعذَّل النخل قائلاً[1]:

حـــــــدائقٌ مُلْتَفـــــــةُ الجنـــــــانِ
رســـــتْ بشـــــاطئ تَـــــرِع ريَّـــــانِ
تَمْتَـــــــارُ بالأَعْجـــــــازِ للأذقـــــــانِ
ولا تَرْهَـــــبُ المُحْـــــلَ مـــــن الأَزْمـــــانِ
ولا تـــــــوفِّي خَتْـــــــل الـــــــذؤبانِ
ولا تَـــــــرى ناشـــــــدةَ الرعيـــــــانِ
ولا تخـــــــاف عَـــــــرَّة الأَوطـــــــانِ

وتمضي القصيدة في موضوع واحد غير خارجة عن وصف النخل وجماله إلى أن يقول في خاتمتها:[2]

كأنَّـــــه فـــــي ناضِـــــر الأغصـــــانِ
زُمَـــــــرَّدٌ لاحَ علـــــــى تيجـــــــانِ

ومن القصائد التي ألمت بوحدة الموضوع قصيدته التي قالها في وصف الصقر مطلعها[3] :

وعـــازبٍ بَـــاكَرهُ القُـــرُّ الفُـــرطْ تَخايـــلَ النبـــتُ بـــه الجَعْـــدُ القَطِـــطْ

وصف شاعرنا ابن المعذَّل الصقر وهو من جوارح الطيور بادئاً بذكر العاذب وهو المكان البعيد .

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١٨٨ .
[2] نفسه ص ١٨٩ .
[3] نفسه ص ١٣١ .

لا يزال شاعرنا ابن المعذَّل يصف الصقر قائلاً[1]:

أقنـي رَحيـب الشّـبر مَحْبُـوك سَـبْطْ ... مـا يَلْـقَ بالمِخْلـب مـن مِسْـك يُعِـطْ
حتَّـــى إذا حُـــدَّ مَقَـــاطٌ فَنَشـــطْ ... وخُـــرِّطَ المـــوت عليهـــا إذ خُـــرِطْ
ومـــرَّ يهـــوي كالحُســـام الممـــتعطْ ... قَـــذَفْنَ ذَرقـــاً كعثـــانين الشُـــمُطْ

وصف الصقر حين ينقض على بغاث الطير مشبهاً له بالحسام، فالقصيدة كلها لا تخرج عن صفات وصف الطير .

ومما ذكرناه من مواضع وحدة القصيدة في بعض قصائده، فالوحدة عنده شعورية تارة وموضوعية تارة أخرى، متناولاً فيهما قصائد الرثاء وقصائد الوصف.

ومما يقوي ويعضد ما قلناه قول ابن رشيق القيرواني واصفاً شعر ابن المعذَّل بإجادته في المقطوعات القصار، يقول: (والمشهورون بجودة القطع من المولدين بشار بن برد والعباس بن الأحنف وأبو نواس وأبو علي البصير وعلي بن الجهم وابن المعذَّل والجمَّاز).[2]

---

[1] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٣١ .

[2] العمدة ١/ ١٦٣ .

المبحث الثاني

الصورة الفنية

تمهيد : حول مفهوم الصورة الفنية:

الصورة الفنية سمة بارزة من سمات العمل الأدبي ، وإحدي المكونات الأصلية للقصيدة، ولا يخلو عمل شعري من التصوير، وقد اتسع مفهوم الصورة ليحوي ما هو أبعد من الوسائل البلاغية المعروفة ، فكان في كل تعبير أدبي تصوير فني ينبعث من مقدرة الشاعر علي تركيب عباراته وتنسيق كلماته وعلي قدرته في استنباط الإيحاء الفني الكامل في باطن الألفاظ ،وفي علاقتها بعضها مع البعض ، فيكسو التعبير جمالاً فنياً.

والصورة تعبر عن تجربة الشاعر الفنية التي يرمز بها للواقع كما يتخيله، وقد لا تسعفه الألفاظ في اللغة العادية، فيري نفسه مدفوعاً بثورة خياله إلي تشكيل علاقات لغوية خاصة يؤلفها بخياله المبدع ليعبر عن رؤية خاصة به[١].

الصورة الفنية إدراك أسطوري تتعقد فيه الصلة بين الإنسان والطبيعة، ويريد الشاعر أن يجعل من الطبيعة ذاتاً ، وأن يجعل من الذات طبيعة خارجة ، فالصورة منهج فوق المنطق لبيان حقائق الأشياء[٢].

ويتعاون في تشكيل الصورة حواس الشاعر وملكاته ومقدرته في الربط بين الأشياء المتنافرة في الواقع لإثارة العواطف، والملكات التخيلية، وقد ربط الشاعر بين الأمور المتباعدة بالتشبيه، وقد يعقد الصلة بين الإنسان والطبيعة بالاستعارة فيجعل من الطبيعة ذاتاً ،ومن الذات طبيعة خارجة ، فتجمع الصورة بين التشبيه والاستعارة ، وغيرهما من وسائل الأداء المجازي والتصوير البلاغي[٣].

وتميل دراسة أخرى إلى انتهاج الاتجاه الجمالي في التشكيل، فالفن إدراك جمالي للواقع ولأن العمل الفني تشكيل جمالي لموقف من هذا الواقع ، فالمشكل الذي يواجه الفنان مشكل تشكيل والفنان عمله حر ، ولا يمكن أن يكون إلاَ حراً، لأنه

---

[١] د. علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ، طبع دار المعارف مصر ، الطبعة الأولي سنة ١٩٨١م ص ٢٤١ – ٢٤٢.

[٢] مصطفي ناصف : الصورة الفنية الأدبية ، طبع مكتبة مصر – القاهرة ، الطبعة الأولي ١٩٥٨م ص ٣ – ٨.

[٣] علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ص ٢٤٢.

يتخطى حتماً، وبالضرورة الأطر الاجتماعية للعمل الذي لا يتحلى بصفة الخلق من حيث الجمالية[١].

وثمة إتجاه آخر يجمع بين المنهج الحسي والمنهج العقلي في إدراك الفنان لصورته ، فالفنان لا يدرك الحقيقة إدراكاً حسياً ولا يدركها إدراكاً عقلياً، إنما هو يدركها بصورة محسوسة فالعنصر الحسي يحرك طاقة الخيال لدي الفنان ، وبعمل الخيال يدرك الحقيقة لا كموضوع ولا كفكرة ، وإنما يدركها في صورة، فالصورة إدراك خاص للحقيقة ، يدركها الفنان المدرك بأداة إدراكه من الخيال[٢].

وتحمل الصورة الفنية طابع الشاعر الخاص ، أصالة الفنان في تصويرها لمشاعره وأفكاره ، وتأثرها بموضوعها في اختيار الكلمات المشكلة وصور البيان الملائمة للموضوع فالصورة وسيلة ينقل بها الكاتب أفكاره ، ويصيغ بها خياله فيما يسوق من عبارات وجمل ،لأن الأسلوب مجال ظهور شخصية الكاتب وفيه يتجلى طابعه الخاص، والكاتب في أسلوبه يخضع لمقتضيات الجنس الأدبي الذي هو سبيله[٣].

والصناعة الفنية تحكي الطبيعة ، وتروم اللحاق بها ، والقرب منها على سقوطها دونها .. وإنما حاكتها ، وأتبعت رسمها ، وقصت أثرها لإنحطاط رتبتها عنها، فالطبيعة بمثابة نموذج أتم يحاول الفن أن يحاكيه[٤].

وتؤكد دراسة أخرى قيام الصورة علي أساس حسي ، فمدركات الحس هي المادة الخام التي يبني بها الشاعر تجاربه ، ولا يعني الانحصار في إطار حاسة بعينها ، ولا تعني محاكاة الإحساس بشكل عام ، فهذا يجعلها أشبه بالمحاكاة

---

[١] د. عبد المنعم تليمة : مدخل إلي علم الجمال الأدبي ، طبع دار الثقافة – القاهرة ١٩٧٨ م ص ٦٤.

[٢] د. لطفي عبد البديع : التركيب اللغوي للأدب ، طبع دار النهضة المصرية – القاهرة الطبعة الأولي ١٩٧٠م. ص١٩٢.

[٣] د. محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، طبع دار النهضة مصر – القاهرة ١٩٧٧م ص ٢٧٩.

[٤] د. محمد غنيمي هلال : دراسات ونماذج من مذاهب الشعر، ونقده ، طبع دار نهضة مصر – القاهرة (بلا تاريخ) ص ٤٢.

الروتينية ، إنما هي محتوى لفكر يتركز فيه الانتباه علي خاصية حاسة ما ، فالصورة ليست نسخة مادية أو انعكاساً حرفياً لشيء من الأشياء[١].

وتُعرَّف الصورة أيضاً بأنها تجربة نفسية يعيشها المرء وتكشف عن باطنه الخبيء وتضعف كلما انحصرت في نطاق الحواس مثل تشبيه الخد الوردي بالتفاح، لا دلالة له سوى الاستعاضة الحسية التي يستعان فيها بأداة التشبيه بينما أقوى الصور هي الصور التخيلية المتناقضة المتواردة على معان يصعب التعبير عنها وتربط ما بين الأشياء البعيدة ربطاً يحدث هزة في العقل والحس معاً[٢].

وقد ذكر د. الربيعي مجموعة من تعريفات نقاد الغرب للصورة في مجال نقده للشعر منها ما يؤكده (جونسون) وهي (جمع المتعة إلي الحقيقة حيث يدعى الخيال لمساعدة المنطق وجوهر الابتكار) ويذكر (جون ستيوارت مل): "أنها الكلمات التي تحل العاطفة نفسها فيها بطريقة تلقائية" ، ويقصد بها (ماكولاي): "فن استخدام الكلمات بطريقة تلقي فيها خداعاً على الخيال، والفن الذي يصنع بالكلمات ما يصنعه الرسام بالألوان" ، ويسميها (كارليل): " الفكر الموسيقي"، ويراها (ادجارألان بو) (خلقاً موقعاً للجمال)، ويركز (راسلين) علي دور العاطفة فيها: حيث تقوم بإرساء ركائز نبيلة للعواطف النبيلة عن طريق الخيال[٣].

ولعل أقرب التعريفات الفنية للصورة ما ذهب إلي أن الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكانياتها في الدلالة والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني .. والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني له أو يرسم بها صوره الشعرية ، ولذلك

---

[١] د. جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، طبع دار الثقافة – القاهرة ١٩٧٤م، ص ٣٧٣.

[٢] د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، طبع دار نهضة مصر (بلا تاريخ)، ص٤٣٣ – ٤٣٤.

[٣] د. محمود الربيعي : في نقد الشعر ، طبع دار المعارف مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧م، ص ٩.

يتصل الحديث عن الصورة الشعرية ببناء العبارة وببعض ما عرف عن المعجم الشعري ، وإن تناولت دراسة الصورة عناصر متكاملة غير مفردة[١].

فالصورة أداة الشاعر الفنية يعبر بها عن تجربته ويرسم مشاهد حياته وواقعه، قوامه الكلمات وما يحدثه بينها من علاقات يبتكر بها دلالات جديدة غير مباشرة ، يبني بها عالماً متميزاً جديداً ، يجمع فيها بين عناصر متباعدة في إطار من الانسجام والوحدة وصور المعنى تصويراً جمالياً ويخاطب المشاعر التي لا تعرف قيداً أو حداً، أكثر مما يخاطب الفكر ، وتدع للخيال حرية التخيل حول الصور المشكلة ، بحيث تظهر فيها شخصية الشاعر واضحة مميزة[٢].

---

[١] د. عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، طبع مكتبة الشباب – مصر، ١٩٧٨م، ص٤٣٥.

[٢] د. علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ص ٢٤٩.

المطلب الأول

التشبيه ودوره في تشكيل الصورة الفنية:

يبذل الشاعر من جهده الفني قدراً عظيماً لتحقيق العلاقة بين عناصر الواقع والفن ، وقد تكون هذه العلاقة كامنة غير ظاهرة، فيتوسل بالتشبيه الذي غالباً ما يعتمد علي المدركات الحسية في تشكيله ليظهر علاقة جديدة بين طرفين يشتركان في أمور وصفات، تحقيقاً للمتعة والفائدة التي يهدف إليها الشاعر متوخياً التناسق بين طرفي صورته التشبيهية ومراعياً توافر التوافق الشكلي بينهما ، ليجعل بين الأشياء المتباعدة مناسبة واشتراكاً، فيرى الشاغر بحسه الفني أبعد ما يرى وأدق مما يلحظ، مستنداً على قدرته في إدراك المشابهات ومعرفة أوجه الاتفاق بين الأمور المتباعدة[١].

وأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلي حال الاتحاد. ويفسر عبد القاهر الجرجاني الصفات المشتركة بين طرفي التشبيه بأنهما على ضربين: أحدهما: أن يكون من جهة أمر بيِّن لا يحتاج فيه إلي تأول ، مثل تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ، كتشبيهات الشاعر الحسية المجردة، والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول، وهو الشبه الذي يحصل بضرب من التأويل والاشتراك في الصفة يقع مرة في نفسها وحقيقة جنسها ومرة في الحكم لها ومقتضى الحكم وربما انتزع وجه الشبه من شيء واحد، وربما انتزع من عدة أمور[٢].

والتشبيه يزيد المعني وضوحاً ويكسبه تأكيداً ، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه. وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيد ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان[٣].

---

[١] د. علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ص٢٥٩.

[٢] عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تصحيح وتعليق : محمد عبده ،طبع دار المعرفة ، بيروت – لبنان الطبعة الثانية (بلا تاريخ) ص ٧٠ – ٧٢.

[٣] أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين، ص ٢٤٣.

وقال بن قتيبة: (وليس كل شعر يختار ويحفظ علي جودة اللفظ والمعنى، لكنه قد يختار علي جهات وأسباب منها الإصابة في التشبيه)[١].

والشعراء متفاوتون في براعة الوصف والتشبيه، فمنهم من كان ذا فوق في هذا المجال وكان ابن سلام يقول: (كان علماؤنا يقولون أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس ، وأحسن أهل الإسلام ذو الرمة)[٢].

وقال السيوطي : (وقالت طائفة: الشعراء ثلاثة: جاهلي وإسلامي ومولد، فالجاهلي امرؤ القيس، والإسلامي ذو الرمة، والمولد بن المعتز) وهذا قول من يفضل البديع وخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر[٣].

شغل عنصر التشبيه حيزاً كبيراً في شعر ابن المعذَّل وهو من أكثر عناصر الصورة الشعرية في شعره، ولوصف الطبيعة نصيب كبير في صور التشبيه عنده، قال ابن المعذَّل في وصف النخل[٤]:

حتَّـــى إذا تَـــمَّ لـــه شَـــهْرانِ
وانْســـدلتْ عَثَاكِـــلُ القِنـــوانِ
كأنَّهـــا قُضُـــبٌ مـــن العِقْيـــانِ
فُصِّـــلن بالياقوتِ والمرْجَـــانِ
رأيتَـــه مُخْتَلِـــفَ الألـــوانِ
مِـــنْ قـــانيءٍ أحْمَـــر أُرْجُـــواني
وفـــاقعٍ أصـــفرَ كـــالنيرانِ
مثـــل الأكاليـــلِ علـــي الغـــواني

شبه شاعرنا النخل وقد مرَّ عليه شهران، وانسدلت عذوق البلح بقضب من الذهب وكأنها فصلت بالياقوت والمرجان، فزادتها بهاءً ورونقاً بأن غدت مختلفة الألوان، ثم توسع ابن المعذَّل في صورة التشبيه ذاكراً أن النخل لما اختلفت ألوانه من

---

[١] ابن قتيبة : الشعر والشعراء تحقيق : محمد عبد الغني حسن ، طبع دار المعارف ، مصر ط ١ ، ١٣٣٢هـ، الطبعة الأولى، ص١٠.

[٢] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٦ /١٠٩

[٣] السيوطي :المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، طبع دار إحياء الكتب العربية في القاهرة (بلا تاريخ) ص ٢/ ٣٠١.

[٤] ديوان ابن المعذَّل ص ١٩٠

حمرة قانئة أرجوانية وصفرة أشبه بصفرة النيران، مشبهاً النخل بتاج تلبسه الغواني الحسان من النساء، والصورة جيِّدة أبدع شاعرنا في رسم إطارها بحس فني راقٍ.

ويقول[١]:

فـــارَقتني ذخيـــرةٌ مـــن عَقَـــار ذكَّرتنـــــي تفـــــرّق الأحبـــــابِ

وســـواء بَيْـــعُ الرِّقـــاب مـــن المـــا لِ إذا بعتهـــا وضـــربُ الرِّقـــابِ

صورة البيت الثاني ترتبط بالأول ارتباطاً وثيقاً، ولعل ابن المعذَّل في هذه الأبيات يتحسر علي بيع نخله، لأنه وثيق الصلة بذكريات الماضي حتى شبهه بالألم الممض الممثل في ضرب الرقاب.

شبه ابن المعذَّل النرجس بعيون جميلة، وشبهه أيضاً بالفضة التي تعلو أحجاراً كريمة خضراء يضحك منها الناظر فقال[٢]:

والنَّـرْجِسُ الغـضُّ قَـدْ حانـتْ مُقاطفـه كـأنهنَّ عيـونٌ مـا لهـا هُـدُبُ

كَأنَّـــه فضّـــةٌ تَعْلـــو زُمـــرَّدةً خضـراء يضـحك منهـا نـاظرٌ ذهـبُ

نلاحظ أن أثر البيئة واضح في صوره التعبيرية فالماء والريحان والورد، كلها مألوفة في البصرة ونراها تتردد في شعره كثيراً قائلاً[٣]:

سالت مسايل عارضْيه بنفسجاً في وَردِهِ

فكأنَّـه مِـنْ حُسْـنِهِ عَبَـثَ الربيـعُ بخـدِّهِ

فصورة البيت الثاني ترتبط بالبيت الأول ارتباطاً وثيقاً ثم نراه في (سالت مسايل عارضية) جعل العذار حين ظهوره كأنه يسيل بنفسجاً في خده الذي هو كالورد، وشبه هذه الصورة (بعبث الربيع بخده).

ولشدة ولع الشاعر بالورد وتغنيه بجماله فهو أحب الحُمرة في الخد وإن كانت من خجل، لأنها تشبه الورد قال[٤]:

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٥.

[٢] نفسه ص ٨٦.

[٣] نفسه ص ٩٨.

[٤] نفسه ص ١٦٥.

أَشْـــتَهي فـــي المُقْلَـــةِ القـــبَلا لا كثيـــراً يُشْـــبهُ الحَـــوَلا
واحمـــرارَ الخـــدِّ مِـــنْ خَجَـــلٍ إنَّنـــي أسْتَحْسِـــنُ الخَجَـــلا

وقال أيضاً مشبهاً خدود المحبوبة بالورد:[١]

عَشـــيَّةً حيَّـــاني بـــوَرْدٍ كأنَّـــه خُـدودٌ أُضـيفتْ بَعْضُـهنَّ إلـي بَعْـضِ

وشبه ابن المعذَّل ندى الأرض بماء الورد في قوله[٢]:

يَمُـــجُّ ثراهـــا فيـــه عَفْـــراءُ جَعْـــدةٌ كـــأنَّ نـــداها مـــاءُ وَرْدٍ وعَنْبـــرُ

ونراه يذكر القماش ويشبه به، وهذا ليس غريباً على بيئة البصرة التجارية وذلك في قوله[٣]:

تـــري لامـــعَ الأنـــوار كأنَّـــه إذا اعترضـــتْه العـــينُ وَشْـــيٌ مُـــدنَّرُ

شبَّه أنوار الروض وزهوره بالقماش الملون.

التشبيه بالقمر والضوء صفة جمالية عند العرب لأنهم رأوا صورة القمر جميلة بديعة في الليالي المقمرة بعدما عانوا من الظلمة الحالكة في الليالي التي يغيب القمر فيها ، وابن المعذَّل يأخذ هذه الصورة الجمالية فيشبه وجه المحبوبة مقبلاً بالبدر والقفا موليا بالشمس، وهي صورة مترابطة الأجزاء والمعاني يقول[٤]:

لمَّـــا رَأَيْـــتُ البَـــدْرَ فـــي أُفـــقِ السَّـــماءِ وَقْـــد تَعلَّـــى
ورأيـــتُ قَـــرْنَ الشَّـــمْسِ فـــي أُفـــقِ الغُـــروب وَقَـــد تَـــدلَّى
شـــبَّهتُ ذاك وهـــذه وأرى شَـــبيههما أجـــلاَّ
وجـــهُ الحبيـــب إذا بـــدا وقفـــا الحبيـــب إذا تـــولَّى

وفي صورة أخرى شبه ابن المعذَّل لمعان البرق وبياضه بالسيوف البيضاء اللامعة حيث قال[٥]:

كـأنَّ ابتسـامَ البَـرْقِ فـي حُجراتـهِ مهنَّـدةٌ بِـيضٌ تُشـام وتُشْـهَرُ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٢٨.
[٢] نفسه ص١٢٠.
[٣] نفسه ص ١١٩.
[٤] نفسه ص ١٥٣.
[٥] نفسه ص١٢١.

ولوصف الحيوان نصيب يسير في صورة التشبيه عند شاعرنا ابن المعذَّل، واصفاً سرعة حيوان الصيد وكثرة صيده، وكأن موت الوحش والظباء في رقبتها فقال[١]:

نِمْــرٌ بَنَــاتُ القَفْــرِ مــنْ أرْزاقِهــا
تَغْــدو منايــا الــوحش فــي أَطواقِهــا

وقال[٢]:

أمــا رأيــتَ الــريحَ فــي انْخراقهــا
وَلَمْعــةَ البــارِقِ فــي ائتلاقِهــا
وغَيْبــةَ الشُــؤبوبِ فــي انْبعاقِهــا
وطَيْــرةَ الأَقْــداح فــي انْمراقِهــا
تَهْــوي هَــويّ الطَيْــر فــي إرشــاقِها

وصف ابن المعذَّل جو الصيد مشبهاً النمر تشبيهات عدة حين يصيد الفريسة في شراسته ومعاداته ونهمه وشدة انقضاضه عليها كسرعة السهم ، والمعروف أن النمر من أخبث السباع حتى قيل إن الملوك قديماً كانت تلبس جلد النمر إذا أرادت أن تقتل شخصاً أو تأمر بذلك وكانوا يقولون (لبس له جلد نمر).

وفي قوله[٣]:

تَقُــدُّ مــا تَخْــبِطُ باعتلاقِهــا
قَــدَّ التِّجــارِ العُصْــب مــن شِــقاقها

ذكر شاعرنا التجار وقد القماش في وصفه سرعة الفهد في الصيد، فهذا الحيوان قوي شديد يقطع ما يطأه كما يشق التجار القماش بقوة وعنف.

وفي صورة أخرى شبه ابن المعذَّل سم الحية بنبات الورس حين يعمه الظلام، متحدثاً عن رأسها الذي يشبه الحبل المفتول وحدته التي تماثل رأس الرمح الحاد، قائلاً[٤]:

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٤٧
[٢] نفسه ص ١٤٩ – ١٥٠
[٣] نفسه ص١٤٨
[٤] نفسه، ص ١٧٨

كـــأنَّ وَرْســـاً شـــبَّهُ بِعِظْلِـــمِ
علـــى قَـــراه نضـــحاً بالعَنـــدمِ
أرأسُ أهـــوى كالجـــديلِ المبـــرمِ
ذو مِـــذْرَبٍ مثـــل السِّـــنانِ اللَّهـــذمِ
يســـتنبط المهجـــة مـــن قبـــل الـــدمِ

يمضي شاعرنا ابن المعذَّل في تشكيل صوره التشبيهية مشبهاً الحُمَّى بقدومها عقب كل نهار كصاحب الدين حين يلح في أخذ دينه فقال[١]:

بِنْـــتُ المَنيَّـــةِ بـــي مُوكَّلـــةٌ عَقِـــب النَّهـــارِ كمُقْـــتضٍ قَرْضـــاً

وقال أيضاً في وصف الحُمَّى[٢]:

كـــأنَّ لهـــا ضَـــرْماً فـــي الحشـــى وفـــي كـــلِّ عُضْـــو لهـــا جَمْـــرهْ

شبه شاعرنا الحُمَّى لما ألمت به بأن لها ضراماً في أحشائه ولها في كل عضو من أعضائه جمرة لا تكاد تخبو نارها.

ووصف ابن المعذَّل السفينة وهي تمخر عباب البحر ، متحدثاً عن مقدمتها ووسطها حين تقاوم موج البحر المتلاطم مشبهاً لها برباط لها ذي أهداب حيث قال[٣]:

كـــــأنَّ همـــــاهم حَيزُومِهـــــا هـــديرُ القُـــروم بهـــا أفكَـــلُ
كـــــأنَّ تلاطـــــم آذيـــــه ربـــاط لهـــا هُـــدَبٌ مُخْمَـــلُ

هجا ابن المعذَّل أخاه أحمد قائلاً[٤]:

دون معـــــــــروفٍ كفِّـــــــــهِ لمـــــسُ بَعْـــــضِ الكواكـــــبِ

شبَّه الشاعر معروف أخيه أحمد بالكواكب من حيث البعد، أي لا تناله كف المرء، فالصورة توضح شح أخيه وبخله.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٢٩
[٢] نفسه ص ١١٠
[٣] نفسه ص ١٥٤
[٤] نفسه ص ٨٣

وفي القصيدة ذاتها، يتمني الشاعر جارة من محارب اتصفت بالبخل مثل نار الحباحب التي ضرب بها المثل في عدم الانتفاع بها ،وبخل صاحبها فقال[١]:

ليـــت لـــي مِنْـــك يـــا أخـــي جـــــارةً مِـــــنْ مُحـــــاربِ
نَارُهـــــا كـــــلَّ شَـــــتْوةٍ مِثْـــــلُ نَـــــارِ الحُبَاحِـــــبِ

وقال في هجاء سعيد بن أبي سلم[٢]:

لكـــلِّ أخـــي مـــدحٍ ثـــوابٌ يُعـــدُّه ولـــيس لمـــدحِ البـــاهليّ ثـــوابُ
مـــدحتُ ابـــنَ سَـــلْمٍ والمـــديحُ مهـــزَّةٌ فكـــانَ كصَـــفوانٍ عليـــه تـــرابُ

يقول الشاعر إن المدح لا بد له من ثواب وعطاء جزيل يعقبه ، مشبهاً مدحه للباهلي بصفوان عليه تراب، واقتباس هذه الصورة من القرآن الكريم واضح جداً كما في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ . . . فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً . . . ﴾ [٣].

وقال هاجياً[٤]:

إذا إفتـــرَّ أبـــرز قَلْـــحَ الأُصـــولِ كمـــا كَشَـــرَ العَيْـــرُ للنهقـــةِ

يهجو ابن المعذَّل شخصاً إذا ضحك افترَّ عن أسنان صفراء مشبهاً له بالعَيْر حين يكشر للنهاق، وصورة العير أو الحمار صورة مضحكة تجلب الهُزء والسخرية لمن يوصف بها، فهذا الفرزدق يهجو جريراً قائلاً[٥]:

يســـتيقظون إلـــى نُهـــاق حمـــارِهم وتنـــام أعيـــنهم عـــن الأوتـــارِ[٦]

وجاء في أمثال العرب (أحمق من أم الهِنْبِر)، قيل الهِنْبِر: الجحش وأُمُّه الأتان[٧]، وصورة الحمار الأليف ضد صورة حمار الوحش الذي يعرف بالمكرّم، ولا غرو أن لُقب (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أميَّة بالحمار يريدون حمار الوحش نظراً لما تحمله من تبعات الخلافة في آخر عصر بني أمية.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٤.

[٢] نفسه ص ٨٥.

[٣] سورة البقرة الآية رقم (٢٦٤).

[٤] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٩.

[٥] د. شوقي ضيف: العصر الإسلامي ، دار المعارف ،الطبعة العشرون (بلا تاريخ)، ص ٢٥٢.

[٦] الأوتار : جمع وتر وهو الثأر.

[٧] أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال : حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ،وعبد المجيد قطامش ، دار الجيل بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م ، ص٣٩٣/١.

وقال يهجو المبرد[١]:

فاقـــد لـــه حيَّـــةَ قُـــفٍّ أســـودا أنيابـــه عُـــوجٌ كأمثـــال المـــدى

يدعو عليه بأن تلسعه حية سوداء سمها قاتل وأنيابها عوجاء مشبهاً لها بإعوجاج المُدى (جمع مُدية: السِّكين).

ويقول[٢]:

مـــن فتـــاةٍ كأنَّهـــا خُـــوْطُ بـــانٍ مـــجَّ فيهـــا النعـــيمُ مـــاءَ الشـــبابِ

شبه ابن المعذَّل هذه الفتاة بغصن من شجر البان وهي مفعمة بماء الشباب ورُوائه، وصورة تشبيه المرأة بغصن من شجر البان كثيرة جدَّاً فوجه الشبه بين المشبه والمشبه به استواء القامة ولينها في كلٍّ.

وقوله[٣]:

إنَّ العيـــونَ إذا مكَّـــنَ مِـــنْ رَجُـــلٍ يَفْعَلْـنَ بالقَلْـب مـا لا يَفْعَـلُ الأَسَـلُ

شبه ما تفعله عيون المحبوبة بالقلب بما تفعله الرماح بل أشد من ذلك لتأثيرها الساحر في قلب المحب.

وصف ابن المعذَّل امرأة بدت في أثواب الحداد، ولكن ذلك لم يشنها مشهباً لها بالهلال قائلاً[٤]:

بَـــدَتْ بَـــيْنَ أثـــوابِ الحَـــدادِ كأنَّهـــا هـــلالٌ أتَـــى مِـــنْ غَمْـــرةٍ فتموَّهـــا

وقوله[٥]:

وكبَّـــرتُ عشـــراً ثـــم قلـــتُ لصـــاحبي مَتى نَزَلَ البدرُ المنيرُ إلـي الأرضِ

شبَّه الشاعر وجه محبوبته بالبدر من حيث الضياء.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٠.

[٢] نفسه ص ٨٢.

[٣] نفسه ص ١٥٥.

[٤] نفسه ص ١٩٦.

[٥] نفسه ص١٢٨.

رثى ابن المعذَّل سعيد بن سلم الباهلي بأن ابنه عمراً ومعه إخوته أحيوا مآثر والدهم سعيد، ولولاهم لطويت صحائف هذه المآثر ، حتى انتهى إلي أنهم (كنفاه) أي ناحيتاه مشبهاً لمقامه بينهم ببدر السماء حين حوته أنجم زهر بيضاء ناصعة، مشيراً إلي أن البدر هو سعيد بن سلم والأنجم أبناؤه وإخوته بجامع الظهور والرفعة في كل فقال[١]:

أحيـــاكَ عمـــرو ولـــولاه وإخوتُـــهُ عَفَـا النـوالُ فلـم يُسـمعْ لـه خَبَـرُ
ألهمْـــتَهُمْ طوعَـــهُ فانقـــاد رشـــدُهُمُ كـلٌّ يـراه بحيـثُ السَّـمْعُ والبَصَـرُ
كـــأنَّهم كنَفـــاه وَهْـــوَ بَيْـــنَهُمُ بَـدْرُ السَّـماء حَوَتْـهُ الأنجـمُ الزُّهُـرُ

ومن صور التشبيه أيضاً قول بن المعذَّل[٢]:

حانـــتْ مَنيَّتُـــه فأســـودَّ عارضُـــهُ كمـــا تســـوَّدَ بَعْـــدَ الميِّـــتِ الـــدَّارُ

شبَّه سواد عارض الميت بسواد الدار لما أظلمت نتيجة موت الممدوح ، فقد كان قبل يملأها نوراً وبشراً وعطاءً.

أعلن ابن المعذَّل حزنه على موت أبي سلمة واصفاً القصعة المملوءة مشبهاً لها في ارتفاعها بناقة ضخمة السنام، يقول[٣]:

كَمْ جَفْنـةٍ مِثْلِ جَوْفِ الحَوْضِ مُتْرَعـةٍ كَوْمَـــاءَ جـــاء طَبَّاخُهـــا رِذْمِـــه

ومن صور التشبيه عند ابن المعذَّل قوله يمدح إبراهيم ابن رياح[٤]:

قَـدْ تَرَكْـتَ الرِّيـاحَ يـا ابْـنَ رِيـاحٍ وهـي حَسْـرى إنْ هَـفَّ مِنْهـا نَسِـيمُ
نَهكـتْ مَالـكَ الحقـوقُ فأَضْـحى لـكَ مَـالٌ نِضـوٌ وفِعْـلٌ جَسِـيمُ

شبَّه شاعرنا ممدوحه بسرعة الرياح في الجود حتى أضحى ماله منهوكاً من كثرة ما دفعه في الحقوق.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١١٦.
[٢] نفسه ص ١١٦.
[٣] نفسه ص ١٧٢.
[٤] نفسه ص١٧٩.

وبعد، هذه النماذج من التشبيه عند شاعرنا ابن المعذَّل يمكننا أن نقول إن صورة التشبيه عنده جاءت ملونة بألوان شتى من صندوق أصباغه الحضري، راسماً لنا الإطار تلو الإطار لهذه الصور ، وهو لا ينفك يبدع في رسم صورة النخل في الحاضرة، والنرجس الغض عند قطافه ، والبدر في أفق السماء ، والشمس لدن الغروب، والحُمَّى لما أصابته بالآلام ، زد إلي صور ملأى بالسخرية والهزل في الهجاء ، وصوراً أخرى في الغزل والمدح، والتشبيه عنده يترواح بين الأداة وغير الأداة، ناقلاً من خلاله الشيء الكثير عن البيئة الحضرية ، ولهذا نعدُّ التشبيه عنده من أهم مرتكزات الصورة الفنية.

المطلب الثاني

الاستعارة ودورها في تشكيل الصورة الفنية :

يستخدم الشاعر كلماته استخداماً جديداً ينمي اللغة في معجمه ليصوغ الواقع من جديد ويدرك العلاقة بين أشياء مختلفة لم تكن بينها علاقة من قبل فيتخطي العلاقات المألوفة لينسج منها علاقات مبتكرة، و يتعدي التعبير المباشر إلي غير المباشر فتتنوع أدوات تصويره ، ومن بينها الاستعارة ، فهي من أهم عناصر تشكيل الصورة ، وهي مرحلة أنضج ، وعملية أدق من التشبيه ، ولا يوظفها الشاعر لترتيب العبارة، أو للقيام بدور ثانوي ، قد يستغني عنه إنما هي وسيلة ضرورية للإدراك الجمالي والتشكيل الفني[١].

والاستعارة من العملية الشعرية كالنحو من اللغة ، فكما أطردت اللغة قبل أن يعرف متكلموها القواعد ويفطنوا علي وجودها،لذلك صدر الشعراء عن الاستعارة بفطرتهم دون معرفة نظرية ولا وعي تحليلي لطرق استعمالها، ولهذا جاءت معظم الاستعارات القديمة صادقة لأن ملكة الشاعر انتزعتها من طبائع الأشياء أو على الأصح لأن الأشياء أملتها على الشعراء دون أن يصنعوا هم شيئاً[٢].

ويري العقاد في التشخيص ملكة خالقة تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً أو من دقة الشعور حيناً آخر . والشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرض والسماوات من الأجسام والمعاني فإذا هي حية كلها لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة.

والشعور الرقيق هو الذي يتأثر بكل مؤثر ويهتز لكل حاسة ولامه فيستبعد جد الاستبعاد أن تؤثر فيه الأشياء ذلك التأثير وتوقظه تلك اليقظة، وهي هامدة جامدة صفر من العاطفة ، خلو من الإرادة[٣].

---

[١] د. علي إبراهيم أبو زيد: الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ص ٢٨٩.

[٢] د. محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، طبع دار نهضة مصر – القاهؤة ، الطبعة الثانية ١٩٦٩م ، ص ٤٩.

[٣] العقاد :ابن الرومي حياته من شعره، طبع المكتبة التجارية – مصر الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٠م، ص٢٥٦.

يعد الخيال أيضاً لب المحاور الفنية في التصوير ، إذ يهب الشعر تلك الروح الخرافية وروح الأساطير التي تطل من عالم غريب ، ويبعث في النفس ضروباً من التطلع والتشوق والارتياح والإثارة ، ويعطي القدرة للشعر كي يبعث في النفس الراحة من عناء الحياة المادية ، أو يكشف لها طريق الهروب ، بل فيه شفاء لبعض أدواء التوتر الذهني[١].

وقد أكد ابن رشيق حتمية الخيال في الكلام، وضرورة توافره في صناعة الشعر الفنية حتي يكون الشاعر شاعراً (فيسمى الشاعر شاعراً لأنه شعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معني ولا اختراعه، أو استطراف لفظه وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني ، أو تقصي مما أطاله سواه من الألفاظ أو صرف معنى إلى وجه آخر كان اسم الشاعر مجازاً لا حقيقة ولم يكن له فضل الوزن)[٢].

ويتفق قدامه بن جعفر معه في الرأي ، فلا يقيس براعة الشاعر (بنبل الفكر أو صدق المضمون بل بما يحتويه من صنعة لأنه إنما يحكم عليه بصورته ، كما أن النجار لا يعاب صنعه برداءة الخشب في ذاته بل بصناعته فيه)[٣].

وكيف يبدو براعة الصنعة مع رداءة المادة المكونة للصورة واستغلال المعني البكر، وكلما كان المعني ناضجاً والفكر واضحاً، ظهرت براعة الشاعر في نقاء مخيلته، وصفاء ملكته التصويرية[٤].

بعد هذا كله ندلف إلى تعريف الاستعارة حيث يقول عبد القاهر الجرجاني في تعريفها: (أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم ، فيكون هناك كالعارية)[٥].

---

[١] د.محمد زغلول سلام: تاريخ النقد العربي إلي نهاية القرن الرابع الهجري طبع دار المعارف مصر ١٩٦٤م،ص٤١.

[٢] ابن رشيق القيرواني : العمدة ٩٦/٢.

[٣] قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص١١.

[٤] عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص ٢٢.

[٥] نفسه، أسرار البلاغة ص ٢٨.

ويقول عبد القاهر في موضع آخر: (فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلي اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً)[١].

وضرب آخر من الاستعارة هو ما كان نحو قوله:

إذْ أصْبَحتْ بيدِ الشَّمالِ زِمَامُها

هذا الضرب وإن كان الناس يضمونه إلى الأول حيث يذكرون الاستعارة فليسا سواء وذلك أنك في الأول تجعل للشيء الشيء ليس به وفي الثاني تجعل للشيء الشيء له تفسير هذا أنك إذا قلت : رأيت أسداً فقد أدعيت في إنسان أنه أسد وجعلته إياه ولا يكون الإنسان أسداً . وإذا قلت: (إذ أصبحت بيد الشمال زمامها) فقد أدعيت أن للشمال يداً ومعلوم أنه لا يكون للريح يد[٢].

ويعرفها أبو هلال العسكري : بأنها نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة ، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة ، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن الحقيقة ، من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولي منها استعمالاً[٣].

ومهما يكن من شيء حول مفهوم الاستعارة فإننا آثرنا إيراد هذه الآراء المختلفة حول مفهومها حتى تكون مقدمة مناسبة لموضوعنا وهو دور الاستعارة في تشكيل الصورة الفنية وتوسلها بالخيال عند شاعرنا ابن المعذَّل وقد شغلت حيزاً من شعره ليس بالقليل وإن لم تبلغ حيز التشبيه.

---

[١] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٥٣.

[٢] نفسه ص ٣٥، أنظر أيضاً أسرار البلاغة والخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، طبع دار الجيل ، بيوت – لبنان (بلا تاريخ) ، ص ١٧٦ – ١٧٧.

[٣] أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ٢٦٨.

قال ابن المعذَّل[1]:

فكأنَّمـــــا ضَـــــحِكتْ ســـــجو فُ اللَّيْـــلِ عـــن بَـــيْضِ الأداحـــي

فَضَـــحِكْنَ فـــي وَجْـــهِ الـــدُّجَى وَبَكَـــيْنَ فـــي وَجْـــهَ الصَّـــباحِ

وصف المستأنسات في ليلتهن بالبياض كأنما كسين ستر الليل بياضاً على سبيل الاستعارة وهو يريد من هذا المعني أنهن اشتهن طول الليل ليتمتعن بالحديث.

وصورة الورد قد شغلت جانباً كبيراً من إحساس الشاعر كما رأينا، من قبل في التشبيه، وشغف بلونه الرقيق وحمرته الشفافة، بل استحسن الخجل لأنه يصبغ الخدين بلون الورد ثم يهيم في الورد حتى يضفيه إلى الخجل في قوله[2]:

ومِـــرَاضٍ مُرْهفَـــاتٍ فَـــتَكنْ بـــي وحَاشَـــاكَ ولا مِثْـــلَ الكَحَـــلْ

وَأمَـــا والحُـــبِّ لـــولا شَـــوْكُها لا جْتَـــتَنْ أَلْحَاظُهـــا وَرْدَ الخَجَـــلْ

يصف ابن المعذَّل العيون الناعسة الوسنى وكيف أنها فتكت به ثم أقسم بالحب وهو قسم في البيت عظيم وقد رسم صورة جميلة جعل فيها للعيون شوكاً لولاه لاجتنت ألحاظها الحادة (ورد الخجل) وهي استعارة طريفة.

ومرة أخرى استعار شاعرنا (ورد القسامة) للنعيم وجمال الفتوة وهي بدت في خد المعشوق الجميل المشرق في قوله[3]:

وبـدت وردة القسـامةِ مـن خـدّيك فـــي مُشـــرقٍ نقـــيٍّ أســـيلِ

واستعار الورد أيضاً في قوله[4]:

قلـــتُ لَـــهُ إذْ مَـــرَّ بـــي فـــردا مـــولاي هـــل تقتلنـــي عَمْـــدا

فـــأطبق الـــورد علـــي نَـــرْجس فـــــــامتلأتْ وَجْنتـــــــه وردا

يخاطب المحبوبة إذا مرت به داعياً إياها مولاي طالباً إليها أن لا تقتله عمداً ذاكراً علامات الخجل على وجهها مستخدماً ألفاظ الورد والنرجس علي سبيل الاستعارة.

---

[1] ديوان بن المعذَّل ص ٩٥.

[2] نفسه ص ١٦٦.

[3] نفسه ص١٦٠.

[4] نفسه ص ١٠٠.

والماء قد روى تعابير الشاعر كما روى رياض البصرة وبساتينها، لذا يردده في شعره ، ويديره في صوره المختلفة، يقول[١]:

مـــا إن ذكرتُـــك فـــي قـــوم أُجالِســـهم إلاّ تجـــدَّد مـــن ذكـــراك بلـــوائي

ولا هممـــتُ بشـــرب المـــاءِ مـــن عَطَـــشٍ إلاّ وجـدتُ خيـالاً مِنْـك فـي المـاءِ

بدت المحبوبة حاضرة في ذهن ومخيلة شاعرنا، فما أن جالس قوماً إلا وقد تجددت بلواؤه من ذكراها ، وحين يهم بشرب الماء يجد خيالها في ذلكم الماء،وتبدو الصورة الاستعارية في ملاحقة خيال من يحب في كل حركاته وسكناته.

وفي صورة استعارية أخرى يجعل للروض أبصاراً يصيبها الرمد من كثرة المطر ، علي سبيل الاستعارة ، وللسماء مقلة تبكي بقوله[٢]:

والـروضُ لا تنجلـي أبصـارُه أبـداً إلاَّ إذا رَمَـــدتْ مـــن كثـــرةِ المطَـــرِ

إنَّ الســـماءَ إذا لـــم تبـــكِ مُقْلتُهـــا لـم تَضْـحكِ الأرضُ عَنْ شـيءٍ من الزَّهرِ

وصورة أخرى يقول فيها بن المعذَّل[٣]:

لَـــوَتْني عـــن وَصْـــلها سَـــكْرةً بكـــأس مـــن الضـــنا أَيَّمـــا ســـكْرَهْ

جعل الشاعر للضنا كأساً يسكر أيّما سُكر، وذلك في حديثه عن الحُمَّى، ولعله يريد ما ينتاب المحموم من رعشة في الجسد وعدم اتزان في السير، كأنه شرب شيئاً مسكراً جعله يترنح يمنة ويسرة.

أكثر ابن المعذَّل من الأتيان بالاستعارة التشخيصية فجعل للدهر جفون كما للناس قائلاً[٤]:

أَحْـزَانُ نَفْسـي عَنْهـا غَيْـرُ مُنْصـرِمة وأَدْمُعـي مـن جُفـون الـدَّهْرِ مُنْسَـجِمة

ويقول أيضاً [١]:

---

[١] ديوان بن المعذَّل ص ٧٥.

[٢] نفسه ص ١١٢ – ١١٣.

[٣] نفسه ص ١١٠.

[٤] نفسه ص ١٧٢.

[١] ديوان ابن المعذل ص ١٧٧.

فتـــىً تـــراه لابســـاً ظـــل نبـــوة ولا راكبـــاً إلاَّ ظهـــور العـــزائمِ
ولا ســـاحباً ذيـــلاً وباســـطاً يـــداً ولا قـــدماً إلاَّ علـــي فـــم لائـــمِ
غـذا اشـتكت وقـع المناسـم بلـدة تشـكّت إليـه الأرض وقـع المناسـمِ

جعل الشاعر للعزائم ظهور تمتطي ، والبلدة والأرض تشكوان وقع المناسم ، وهذه كلها صور استعارية.

جعل ابن المعذَّل الهوى شيئاً جارحاً علي سبيل الاستعارة كما في قوله[٢]:

وبمـا أغفلـه الواصـفُ مـن حُسْنِ صِـفاتكْ
لا تَـدَعْني والهـوى يجـرح قلبـي بحياتـكْ

وهذه صورة استعارية يجعل فيها ابن المعذَّل الرياح حسرى وهي استعارة أكثر الشعراء منها وإن لم يرتضها النقاد، يقول[٣]:

قَـدْ تَرَكْـتُ الرِّيـاحَ يـا ابْـنَ ريـاحٍ وهي حَسْرى إنْ هَفَّ مِنْها نَسِيمُ

وفي صورة استعارية أخرى جعل فيها عمرو بن سعيد بن سلم يقري أعداءه الحتف، فالحتف يقرى الأعداء كما يقرى الطعام للأضياف على سبيل الاستعارة التشخيصية، يقول[٤]:

وقـد كـان يَقـرِي الحَتْـفَ أعـداء سِـلْمهِ فأضحى قرى ما كان أعداءه يَقْرِي

قال ابن المعذَّل في رثاء سعيد بن سلم الباهلي[٥]:

أمســى لِفَقْـدَكَ ظَهْـرُ الأرض مُختشِـعاً بـادِي الكآبـةِ واختالـتْ بِـك الحُفَـرُ

بالغ الشاعر في وصف الحزن لفقد سعيد زاعماً أن ظهر الأرض خاشعاً بادي الكآبة والحزن على فقده.

---

[٢] نفسه ص ٩١.
[٣] نفسه ص ١٧٩.
[٤] نفسه ص ١٠٥.
[٥] نفسه ص١١٥.

ويقول في رثاء عمرو بن سعيد[١]:

جَـــرَتْ فوقَّـــه الأرواحُ امنـــاً لِجَرْيـــهِ وقد كُنَّ حَسْرى حين يَجْري كما تَجْري

جعل الأرواح تجري أمناً لجري عمرو بن سعيد وقد كانت حسرى، فالأرواح تارة تجري ، وتارة أخرى هي حسرى على سبيل الاستعارة التشخيصية.

وثمة صورة استعارية تحدث فيها عن هجاء أبي العباس المبرد متهكماً قائلاً[٢]:

لـــو نَكَـــزَ الفيـــلَ العظـــيمَ الأَربـــدا بنابـــهِ جرَّعـــه كـــأسَ الـــردى

لو صرع مهجوه الفيل القوى لجرعه كأس الردى، إذ جعل للردى كأساً علي سبيل الاستعارة.

ذم ابن المعذَّل قوماً بأن القرب منهم يجعل القلوب صدئه إذ ليس في مخالطتهم شيء يعود علي المرء بالفائدة ومعلوم أن الصدأ يكون في الحديد فوصف العقول به من باب الاستعارة والمراد أن العقول يغشاها ما تتسخ به ، كما يتسخ الحديد بالصدأ فيقول[٣]:

قَـــــــــوْمٌ إذا جَالسْـــــــــتَهُم صَـــــدِئَتْ بِقـــــرْبِهم العُقـــــولُ

وهكذا بدت الاستعارة عند شاعرنا ابن المعذَّل قليلة الكم ، ولعل صورة التشبيه استأثرت بالنصيب الأكبر من شعره ، والاستعارة عنده يغلب عليها عنصر التشخيص تارة والتجسيم تارة اخرى، فسجوف الليل تضحك ، وفي الماء خيال، وللردى كأس ، وفي العقول صدأ ونحو ذلك.

ويظهر من النماذج التي ذكرناها أن صورة الاستعارة عنده متفاوتة بين الطرافة والابتكار طوراً والسذاجة والسطحية طوراً آخر. ولكنها تبقى عنصراً أصيلاً من عناصر الصورة الفنية.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٣.

[٢] نفسه ص ١٠٠.

[٣] نفسه ص ١٦٨.

المطلب الثالث

الكناية ودورها في تشكيل الصورة الفنية:

الكناية من العناصر البارزة التي يتوسل بها الشاعر في تشكيله لصوره، وتقف جنباً إلى جنب مع العناصر الأخرى من تشبيه واستعارة، وتستقل الكناية أحياناً بتشكيلها للصورة دون الامتزاج مع عناصر أخرى، ففي الكناية بلاغة وجمال ، ودعوة للعقل إلي أن يستنبط ليستخرج ما يرمى إلى التعبير عنه[١].

والمراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه، ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة (وكثير رماد القدر) يعنون كثير القرى وفي المرأة (نؤوم الضحى) المراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها . فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا إليه بذكر معني آخر . وأن يكون إذا كان أفلا تري أن القامة إذا طالت طال النجاد..؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلي الضحى[٢].

وكان للإثبات بالكناية مزية لا تكون للتصريح ، فليس المعني إذا قلنا: (إن الكناية أبلغ من التصريح) أنك لما كنيت عن المعني زدته في ذاته، بل المعني إنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ أكثر بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه وهو أبلغ وأوجبته إيجاباً هو أشد وأدعيته دعوى أنت بها أنطق ، وبصحتها أوثق[٣].

والكناية فن من القول رقيق المسلك، لطيف المأخذ، وهو إنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذاهب الكناية والتعريض كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف، ودقائق تعجز الوصف، ورأيت هناك شعراً شاعراً وسحراً ساحراً وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق، والخطيب المصقع، وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحاً بذكرها،

---

[١] د. علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ص ٣١٥.

[٢] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٥٢.

[٣] نفسه ص ٥٦ – ٥٧.

مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كما ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إثبات الصفة للشيء تثبتها له إذ لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق، ما لا يقل قليله ولا يجهل موضوعية الفضيلة فيه[1].

وهم حين يرمون وصف الرجل ومدحه وإثبات معني من المعاني الشريفة له فيدعون التصريح بذلك ويكنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويلتبس به ويتواصلون في الجملة إلي ما أرادوا من الإثبات لا من الجهة الظاهرة المعروفة بل من طريق يخفي ومسلك يدق ومثاله قول زياد الأعجم:-

إنَّ السَّـــــمَاحَةَ والمُـــــروءةَ والنَّـــــدى فـي قُبـةٍ ضُـرِبَتْ عَلَـى ابـنِ الحَشْـرَجِ

أراد كما لا يخفي إثبات هذه المعاني والأوصاف خلالاً للممدوح وضرائب فيه فترك أن يصرح فيقول: إن السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشرج أو مقصورة عليه أو مختصة به. وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها ، وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها في القبة المضروبة عبارة عن كونها فيه وإشارة فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة ، وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة ، ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البيت لما كان إلا كلاماً غُفلاً، وحديثاً ساذجاً.

فهذه الصفة في طريق الإثبات هي نظير الصنعة في المعاني إذا جاءت كنايات عن معان أخر[2].

الكناية من عناصر تشكيل الصورة الشعرية عند شاعرنا ابن المعذَّل فهي أفق طوقت فيه خواطر الشاعر فلونته بألوان البيئة التي ألفتها وماجت في المألوفات الاجتماعية بخاصة في تعابير الذم ومعاني الهجاء وأساليب السخرية والتهكم والفكاهة .

قال ابن المعذَّل[1]:

---

[1] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٢٣٦ – ٢٣٧

[2] نفسه ص ٢٣٧ ، أنظر أيضاً : الخطيب القزويني الإيضاح ص ١٨٣ وما بعدها.

[1] ديوان بن المعذَّل ص ٩٧.

وكرامـــــــاً معـــــــذَّلين وبيضـــــــاً خلعــوا العــذر يســحبون البــرودا

(خلع العذار) كناية عن التمادي في اللهو والمجون إلي أخر الشوط دون ارعواء أو زاجر يزجر.

وكناية أخرى لابن المعذَّل يهجو فيها رجلاً ثقيلاً يعرف بالفرَّاش وهو هجاء يجري مجري الهزل حيث قال[٢]:

حتـــــى تُتـــــيخ بكـــــل متـــــزاور وتمــد بلعومــاً قمــوص الحِنْجَــرِ

(قموص الحنجر) هو القلق الكذاب، يقال فلان قموص الحنجر أي كذاب.

كانت البصرة عرضة للأمراض والأوبئة وقد وصف ابن المعذَّل الحُمَّى وكني عنها ببنت المنية في قصيدتين قال في الأولي[٣]:

وبِنْـــــــتُ المَنيَّـــــــة تنتـــــــابُني هُـــــدوَّاً وتَطْرُقُنـــــي سُـــــحْرهْ

وفي القصيدة الأخرى قال ابن المعذَّل[٤]:

بِنْـــــتُ المَنيَّـــــةِ بـــــي مُوكَّلـــــةٌ عَقِــبَ النَّهــارِ كمُقْــتضٍ قَرْضــاً

يظهر من قوله هذا أن الحُمَّى كانت شديدة تقضي علي حياة من تصيبه لذا كني عنها ببنت المنية.

وقال مفتخراً[٥]:

أجــرّ علـــى سَـــنامِ الأرض ذيلـــي وأعقـــد بُرْدَتـــيّ علـــى شِـــمامِ

أراد ابن المعذَّل في هذا البيت أنه ذو كبرياء وعزم وقوة حتى إنه يعقد بردتيه علي مثل الجبل علواً ورفعةً.

أراد ابن المعذَّل أن يكني عن كره أخيه له وازوراره عنه فقال (بعين حماة إلى كنة) وكره الحماة كنتها معروف في العائلة حتى يومنا هذا فقال[٦]:

ويَنْظُـــــرُ نَحـــــوي إذا زُرْتُـــــه بعـــينِ حمـــاةٍ إلـــي كَنَّـــهْ

قال ابن المعذَّل في رجل من أهل البصرة كانت سيرته سيئة وكانت امرأته أيضاً[١]:

---

[٢] نفسه ص ١٠٨.

[٣] نفسه ص١١٠.

[٤] نفسه ص ١٢٩.

[٥] نفسه ص ١٧٨

[٦] نفسه ص ١٨٥، الحماة : أم الزوج ، والكنه : زوج الأبن.

إنْ كنـــتِ قـــدْ صَـــفَّرتِ أذن الفتـــى فطالمـــــا صَـــــفَّرَ آذانـــــا

(صَفَّرتِ أذن الفتى) كناية عن الذل وعدم الإحساس بالعار وهو اصطلاح يظهر أنه كان شائعاً آنذاك.

المحيط الاجتماعي قد يفرض مفاهيمه في المدح أو الهجاء فحينئذ يكون الاستحسان بما يألفه المجتمع من مفاهيم وكذلك الاستهجان ففي قول ابن المعذَّل هاجياً[٢]:

أبـــوك أميـــرُ قريـــةِ نهـــر تَيْـــرَى ولســـتَ علـــى نســـائك بـــالأَميرِ

في البيت كناية عن موصوف وهو رجل لا يصون حريمه ، ومن ثم تلصق به السُّبَّة والعار.

وكالمعني السابق قوله هاجياً أيضاً[٣]:

أرى أخبـــــار دارك عنـــــك تخفـــــى فكيـــفَ وليـــتَ أخبـــار البريـــد؟

وفيه اتهم المهجو، وهو صاحب البريد بالبلاهة وكنى عن ذلك بـ (أري أخبار دارك عنك تخفى).

وقوله[٤]:

يـــا ابـــن الخلائـــف وابـــن كـــل مبـــاركٍ رأس الـــدعائم ســـابق الأغصـــانِ

قوله (رأس الدعائم، وسابق الأغصان) كناية عن صفة وهي الرفعة والعلو وهو من قبيلة تعد من أخير القبائل العربية.

وصفوة القول ، جاء ابن المعذَّل بصورة الكناية ساخراً من مهجويه مكنياً عن عدم الغيرة علي المحارم والإحساس بالعار واصفاً صاحب البريد بالبلاهة وعدم الإدراك ، والحُمَّى ببنت المنية ، مظهراً براعة في إيذاء المهجو ، وله في هذا المجال كنايات جمة يحول الحياء والأدب دون إثباتها في تضاعيف هذا البحث[٥].

---

[١] ديوان بن المعذَّل ص ١٨٢.

[٢] نفسه ص ١٠٩.

[٣] نفسه ص ٩٩،

[٤] نفسه ص ١٨٤.

[٥] نفسه ص ١٢٢ ، ١٦٠.

المطلب الرابع

البديع:

للشعر نواح عد ة للجمال أسرعها إلي نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها، ولا يتم الحديث عن موسيقي الألفاظ إلا بإشارة سريعة لما جاء في كتب أهل البديع عنها فقد قسموا البديع إلي نوعين : معنوي : وهو الذي تتعلق المهارة فيه بناحية المعني ، ولفظي: وهذا النوع من فن البديع وثيق الصلة بموسيقي الألفاظ ، فهو ليس في الحقيقة إلا تفنناً في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم وموسيقي ، وحتى يسترعي الآذان بألفاظه كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه، فهو مهارة في نظم الكلمات وبراعة في ترتيبها وتنسيقها ، مهما اختلفت أصنافه وتعددت طرقه يجمعها أمر واحد : وهو العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع، ومجيء هذا النوع من الشعر يزيد من موسيقاه، وذلك لأن الأصوات لا تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية، تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان يستمتع بها من له دراية بهذا الفن ويرى فيها المهارة والمقدرة الفنية[1].

ولمَّا كان حديثنا في هذا المطلب عن الموسيقى الداخلية في شعر ابن المعذَّل ودور جرسها اللفظي في تشكيل الصورة الموسيقية الداخلية عنده خليق بنا أن نذكر ما ألم به من ألوان البديع اللفظي من رد العجز على الصدر وجناس وطباق ومقابلة وتصريع وتقسيم وغير ذلك كي نرى دورها الموسيقي في إكمال الصورة الموسيقية في إطارها الداخلي.

يقول القاضي الجرجاني عن البديع : (وقد كان يقع ذلك في خلال قصائدها، ويتفق لها في البيت بعد البيت علي غير تعمد وقصد ، فلما أفضي الشعر إلي المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف تكفلوا الاحتذاء عليها فسموه البديع فمن محسن ومسيء ومحمود ومذموم ومقتصد ومفرط)[2].

---

[1] د. إبراهيم أنيس موسيقي الشعر ص ١٣.

[2] القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ص٣٤.

وقال صاحب الطراز: (البديع فن من التصرف في الكلام مختص بأنواع التراكيب ، ولا يكون واقعاً في المفردات ، وهو خلاصة علمَي المعاني والبيان ومصاص سكرهما ، وهو تابع للفصاحة والبلاغة ، فإذن هو صفو الصفو وخلاص الخلاص)[1].

ولذا سيكون الحديث في هذا المطلب عن البديع عند شاعرنا ابن المعذَّل وهو رد العجز علي الصدر – الجناس – الطباق – التصريع – التضمين – التكرار – المقابلة – حسن التقسيم.

أولاً: رد العجز علي الصدر:

لرد العجز علي الصدر موقع جليل من البلاغة .. وله من المنظوم خاصة محل خطير[2].

وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها كقوله تعالى: ﴿ . . . وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ . . . ﴾الأحزاب٣٧، وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾نوح١٠[3].

وفي الشعر أن يكون أحدهما (اللفظان) في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني . ومن أمثلته قول أبي تمام:-

ولـــم يَحْفَـــظْ مُضَـــاعَ المَجْـــدَ شـــيءٌ مـن الأشـياءِ كالمَـالِ المُضَـاعِ

وقول الآخر:-

إذا المَـــرءُ لَـــمْ يَحْـــزَنْ عَلَيْـــهِ لِسِـــانُهُ فَلَيْسَ عَلَى شيءٍ سِواه بحزَّانِ[4]

أكثر شاعرنا ابن المعذَّل من هذا اللون البديعي في شعره ومن الألفاظ التي دارت علي لسانه كثيراً في رد الأعجاز على الصدور الذكرى – الندى – الحب – العذر وغيرها.

---

[1] العلوي اليمني : كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز – طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (بلا تاريخ) ٣٤٧/٣.

[2] أنظر الصناعتين ص ٤٢٩.

[3] الإيضاح ص ٢٢٠.

[4] نفسه ص ٢٢١.

وقوله في الذكرى[١]:-

مـــا إن ذكرتُـــك فـــي قـــومٍ أُجالســـهم إلا تجـدَّد مـن ذكـراك بلـوائي

فرد قوله (ذكراك) علي قوله (ذكرتُك).

وقوله[٢]:-

حَاشـــــا لعبـــــدِ الله يَـــــذْكُرني مُسْـــتَعذِباً بنقيصـــتي ذِكْـــري

رد قوله (ذكري) علي قوله (يذكرني).

وقوله[٣]:

اللهُ يَعْلَـــمُ أنَّـــي لَسْـــتُ أذْكُـــرُه وكَيْـفَ يَـذْكَرُه مَـنْ لَـيْس يَنْسَـاهُ

رد قوله (يَذْكُرُه) علي قوله (أذْكُرُه).

وقوله في الندى[٤]:

كـان النـدي فـي شُـهورِ الحَـوْلَ مُقْتَسَـماً بين البريـةِ فاغتال الندي صَفَرُ

فرد قوله (الندى) علي قوله (الندى).

وقوله [٥]:

كِلينـــي للنَّـــدى والبـــأس إنّـــي بكـلِّ بســالةٍ ونَـدىً حَـريُّ

حيث رد قوله (ندىً) علي قوله (الندى).

وقوله في الحب[٦]:

أُحِـــبُّ بُنيّتـــي حُبَّـــاً أراه يزيـدُ علـى مَحَبَّـاتِ البنـاتِ

فرد قوله (مَحبَّات) علي قوله (حبّاً).

وقوله[٧]:

تبـــيّنُ عينـــي أنَّ قلبـــي يُحبُّـــه وفي العين تَبْيانٌ من الحُبِّ والبُغْضِ

رد قوله (الحب) علي قوله (يحبه).

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ٧٥.

[٢] نفسه ص ١٠٥.

[٣] نفسه ص ١٩٣.

[٤] نفسه ص ١١٦.

[٥] نفسه ص ١٩٧.

[٦] نفسه ص ٩٠.

[٧] نفسه ص ١٢٨

وقوله في العُذر[١]:

لـئن لـم تكـن عينـاك عـذرك لـم تكـن لدينا بمحمودٍ ولا ظاهر العُذْرِ

فرد قوله (العُذر) على قوله (عذرك).

وقوله[٢] :

لـــيس لـــي عُـــذْرٌ وعِنْـــدي بلْغـــةٌ إنَّمـا العُـذْرُ لمَـنْ لا يَسـتطيعُ

رد قوله (العُذْر) علي قوله (عُذْرٌ).

ووردت له ألفاظ غير متكررة في رد الأعجاز علي الصدور ومن ذلك قوله[٣]:

ولا هممـتُ بشُـرْبِ المـاءِ مـن عَطَـشٍ إلاّ وجدتُ خيالاً مِنْكِ في الماءِ

فرد قوله (الماء) على قوله (الماء).

وقوله[٤]:

فـــأطبَق الـــورد علـــى نَـــرْجس فـــامتلأتْ وَجْنتـــه وردا

رد قوله (وردا) على قوله (الورد).

وقوله[٥]:

وســـواء بَيْـــعُ الرِّقـــاب مـــن المـــالِ إذا بعتهـا وضـرْبُ الرِّقَـابِ

حيث رد قوله (الرِّقاب) علي قوله (الرِّقاب).

وقوله[٦]:

بَاكَرَتْـــهُ الحُمَّـــى وراحـــتْ عليـــه فكسـتْه حُمَّـى الـرواحِ بَهَـارا

رد قوله (حُمَّى) علي قوله (الحُمَّى).

وقوله[٧]:

دبَّ فـــي رأســـه خُمـــارٌ مـــن الجُـــو عِ سُـرى خمـرةِ الرحيـق الشَّـمول

رد قوله (خمرة) علي قوله (خمار).

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٧

[٢] نفسه ص ١٣٤.

[٣] نفسه ص ٧٥

[٤] نفسه ص١٠٠.

[٥] نفسه ص ٨٥

[٦] نفسه ص ١١٨.

[٧] نفسه ص ١٥٨.

وقوله[1]:

هـــــي عَـــــوْراءُ بـــــاليَمينِ وهـــــذا أعُــورُ باليَســار وافَــقَ شَــنَّا

رد قوله (أعْورُ) علي قوله (عَوْرَاُء).

وقوله[2]:

لقــد حاولــت تشــويهه كُنْــهَ جَهــدِها وَهلْ يَستطيعُ البدرُ أَنْ يتشوها

رد قوله (يتشوها) علي قوله (تشويهه).

ومما تقدم من أمثلة لهذا اللون البديعي (رد العجز علي الصدر) أنه يربط صدر البيت الشعري بعجزه ربطاً وثيقاً . فانظر إلي قوله: (ذكري ... يذكرني، محبَّات ... حباً، خمرة ... خمار، ورداً ... الورد، أعور ... عوراء، العذر ... عذرك) كيف أحدثت ربطاً لصدر البيت بعجزه أضف إلي ذلك ما أحدثته من موسيقي داخلية في البيت الشعري.

ثانياً : الجناس:

الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ، والتام منه أن يتفقافي أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها، فإن كان من نوع واحد كاسمين سُمِّي مماثلاً، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ الروم٥٥، وقول الشاعر:

حــــــرق الآجــــــال آجــــــال والهــــــوى للمــــــرءِ قتَّــــــالُ

الأول جمع إجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش، والثاني جمع أجل والمراد به منتهى الأعمار.

والتام أيضاً إن كان أحد لفظيه مركَّباً سُمَّي جناس التركيب، ثم إن كان المركَّب منها مركَّباً من كلمة وبعض كلمة سُمِّي مرخواً، كقول الحريري:

ولا تلــه عــن تــذكار ذنبــك وابكــهِ بــدميعٍ يحــاكي الوبــل حــال مصــابهِ

ومثِّــل لعينــك الحِمــام ووقعــه وروعــة ملقــاهُ ومطعــم صــابهِ

وإلاّ فإن اتفقا في الخطِّ سُمِّي متشابهاً، كقول أبي الفتح البستي:

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١٩١.

[2] نفسه ص ١٩٦.

إذا ملـــــك لـــــك يكـــــن ذاهبـــــه فدعـــــــه فدولتـــــــه ذاهبـــــــه

وإن اختلفا في هيآت الحروف فقط سُمِّي متشابهاً، كقول أبي الفتح أيضاً:

كلّكـــــم قـــــد أخـــــذَ الجـــــا مَ ولا جـــــــــامَ لنـــــــــا

مـــــا الـــــذي ضـــــرَّ مـــــدير الـــــ جـــــــامِ لـــــــو جاملنـــــــا[1]

وإن اختلفا في هيآت الحروف فقط سُمِّي محرَّفاً، وإنْ اختلفا في أعداد الحروف سُمِّي ناقصاً[2].

والجناس عند شاعرنا ابن المعذَّل قد نبه به في غير موضع من شعره ولكنه لم يقصده فيتكلف استخدامه ويرصع أسلوبه وإنما جاء به في شعره عفواً دون بذل جهد في استخدامه فيقول[3]:

وســـــواء بَيْـــــعُ الرِّقَـــــاب مـــــن المـــــالِ إذا بعتهـــــا وضـــــربُ الرِّقَـــــابِ

فجانس فيه بين رِقاب المال وضرب الرَّقاب، وهو جناس تام.

وقوله[4]:

ســـــــالت مســـــــايل عارضْيـــــــ ـــــيهِ بنفســـــجاً فـــــي وَرْدهِ

فالجناس بين كلمتين (سالت ومسايل) فالأولي فعل والثانية اسم، وهو جناس ناقص لاختلاف عدد الحروف.

وقوله[6]:

تَرخـــــي العـــــذارى لهـــــم العـــــذارا

الجناس في قوله (العذارى – العذارا) حيث اتفقا في عدد الحروف واختلفا في شكلهما.

وقوله[1]:

---

[1] الخطيب القزويني: الإضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، مختصر تلخيص المفتاح، دار الجيل–بيروت (بلا تاريخ) ص٢١٧.

[2] نفسه، ص٢١٨.

[3] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٥.

[4] نفسه ص ٩٨٠.

[6] نفسه، ص ١٢٢.

[1] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٧١.

إن الكـــــــــريمَ إذا رآك ظَلَمْتَـــــــــه ذَكَـر الظَلامـةَ بَعْـدَ نَـوْمِ النَّـوُّمِ

جانس فيه بين (ظلمته والظلامة) وبين (نوم والنوم)، وهو جناس ناقص لاختلاف الكلمات في عدد الحروف.

وقوله[٢]:

حَلَلْـــتَ مـــن العلـــمِ فـــي ذَرْوةٍ مَحـلَّ السـنام مـن الكاهـلِ

الجناس في الكلمتين (حللت – محلَّ) جناس ناقص لاختلاف الكلمتين في عدد الحروف.

وقوله[٣]:

كلَّفتنـــــي عُـــــذْرَةَ الباخِـــــل إذ طَـرَقَ الطـارقُ والنَّـاسُ هُجـوعُ

الجناس في (طرق – الطارق) وهو جناس ناقص لاختلاف الكلمتين في عدد الحروف.

وقوله[٤]:

لـئن حكـم السِّـدريُّ بالعَـدْل فـيكم لما أنصف السِّدريُّ في ثمر السَّدرِ

جانس الشاعر جناساً ناقصاً بين (السِّدريُّ) وهو لقب شخص وبين (السِّدْرِ) وهو شجر السِّدر.

وقوله[١]:

هـــي عَـــوْرَاءُ بـــاليَمينِ وهـــذا أَعْـورُ باليَسـار وافَـقَ شَـنَّا

الجناس في كلمتي (عوراء وأعور) حيث اتفقتا في عدد الحروف واختلفتا في شكلهما.

ومن عرضنا لما أتى به ابن المعذَّل من جناس يغلب عليه الجناس الناقص وقلما أتي به تاماً كما رأينا ولا يخفي علينا ما لهذا الجناس من دور في تشكيل

---

[٢] نفسه ص ١٦٨.

[٣] نفسه ١٣٤.

[٤] نفسه ص ١٠٧.

[١] نفسه، ص ١٩١.

موسيقي جرس الألفاظ في داخل البيت ، وكما ذكرنا أنه يأتي بالجناس عفو الخاطر ولا يظهر عليه اثر التكلف والصنعة.

ثالثاً: الطباق:

قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي: الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطية أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد[١].

الطباق في اللغة : الجمع بين الشيئين ، يقولون : طابق فلان بين ثوبين ، ثم استعمل في غير ذلك، فقيل : طابق البعير في سيره، إذا وضع رجله موضع يده، وهو راجع إلي الجمع بين الشيئين، قال الجعدي:

وَخَيْـــــلٍ تَطَـــــابَقُ بالـــــذَّراعَيْنِ طِبَاقَ الكِلابِ يَطْأَنَ الهِرَاسَا[٢]

وفي القرآن الكريم: ﴿ . . . سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً الملك﴾٣، أي بعضهن فوق بعض، كأنه شبه بالطبق يجعل فوق الإناء[٣].

ولنعرض لما أتى به ابن المعذَّل من طباق، يقول[٤]:

يَهْوى البَقَاءَ رَهْبةَ الفَنا

فالطباق بين قوله (البقاء .. الفناء) فجمع بين الشيء وضده وهو طباق إيجاب.

وقوله[١]:

ناديـــــتُ فتيانـــــاً تـــــري فـــــيهم للكـــأس إفســـاداً وإصـــلاحاً

طابق الشاعر بين (الإفساد – والإصلاح) وهما ضدان وهو طباق إيجاب.

وقوله[٢]:

أبلـــغ نجاحـــاً فتـــي الكتَّـــاب مأكلـــةً تمضـي بهـا الـريحُ إصـداراً وإيـراداً

---

[١] الصناعتين ص ٣٠٧.

[٢] أنظر : اللسان (مادة هرس) والهراس : شوك كأن الحسك ، ابن منظور (أبو الفضل جمال ادين محمد بن مكرم بن منظور) لسان العرب ج – ١٥ بيروت سنة ١٣٧هـ – ٩٥٦م.

[٣] الصناعتين ص ٣٠٧.

[٤] ديوان ابن المعذَّل، ص ٧٥.

[١] نفسه، ص ٩٥.

[٢] نفسه ص ٩٩.

طابق بين (الإصدار – الإيراد) طباق إيجاب.

وقوله[١]:

وأيُّ مَحَـــــلٍّ لا لكفّيْـــــهِ نِعْمـــــةٌ علـي أهلِـهِ مـن أرض بَـرٍّ ولا بَحْـرِ

ذكر (البر والبحر) وهما ضدان ، طباق إيجاب.

وقوله[٢]:

كِـــلا حَالَتيْـــهِ الجـــودُ أنَّـــي تَصـــرَّفَتْ بـه دوَلُ الأيـامِ فـي العُسْـرِ واليُسْـرِ

فالطباق في قوله (العسر واليسر) ويكرر شاعرنا المطابقة بين لفظي (البر والبحر، والعسر واليسر) في موضع ثانٍ كما في قوله[٣]:

وَيبكِـــكَ الـــدينُ والـــدنيا لِرَعيهِمـــا والبَـرُّ والبَحْـرُ والإعسـار واليُسُـرُ

وقوله[٤]:

الحِلـــمُ يُصـــمتهُ والعلـــمُ يُنطقُـــهُ وفـي تُقـى اللهِ مـا يـأتي ومـا يَـذرُ

فالمطابقة في (يصمته – ينطقه) وهما ضدان.

وقوله[٥]:

لـــي صَـــاحبٌ فـــي حَديثـــهِ البَركـــهْ يَزيـــدُ عِنْـــدَ السُّـــكُونِ والحَركـــهْ

الطباق في قوله (السكون والحركة).

وقوله[٦]:

لـــئن ســـائني أنْ نلتنـــي بمســـاءة لقـد سـرَّني أنَّـي خطـرت ببالـكِ

الطباق بين الإساءة والسرور في قوله (ساءني – سرني).

وقوله[٧]:

وانقـــاد للســـقم بعـــدَ صـــحّتِهِ حتَّـــى بَـــرى جســـمَه فأنحَلـــهُ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٠٣.

[٢] نفسه ص ص ١٠٤.

[٣] نفسه ص ١١٥.

[٤] نفسه ص ١١٥.

[٥] نفسه ص١٥١.

[٦] نفسه، ١٥٢.

[٧] نفسه ص ١٥٤.

جمع الشاعر بين (الصحة والمرض) مطابقاً بينهما طباق إيجاب.

وقوله[١]:

ولـــيس بالبطـــل الماشـــي إلـــي بطـــل فـالحرب تخمـد أحيانـاً وتشـتعلُ

جمع الشاعر بين (تخمد وتشتعل) فالطباق طباق إيجاب.

وقوله[٢]:

هـــــواي هـــــوى بـــــاطنٌ ظـــــاهر قـــديم حـــديث لطيـــف جليـــل

طابق ابن المعذَّل بين (الباطن – الظاهر) و(القديم – الحديث).

وقوله[٣]:

وريحـــــان النبـــــات يعـــــيش يومـــــاً ولـــيس يمـــوت ريحـــان المقـــالِ

المطابقة في (يعيش – يموت) وهو طباق إيجاب.

وقوله[٤]:

أضْـــحى ومـــا يُعـــرفُ مِثـــلٌ لـــه وقيـــلَ أســـخى العَـــرَبِ والعَجَـــمِ

الطباق بين (العرب والعجم).

وقوله[٥]:

وأَنْ لَـــــيْس مُســـــتغنياً بـــــالكثير مَـــنْ لَـــيْس مُســـتغنياً بالقَليـــلِ

جمع الشاعر بين (الكثرة والقلة)، فالطباق إيجابي.

وقوله[٦]:

ولا بَـــلاءٌ جَميـــلٌ جَـــرَّ لِـــي حَسَـــناً إلاَّ بـــهِ نلْـــتُ أُولاه وأُخْـــرَاه

طابق بين (أولاه – وأخراه).

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٥٥.

[٢] نفسه ص ١٦٣.

[٣] نفسه ص ١٦٤.

[٤] نفسه ص ١٧٥.

[٥] نفسه ص ١٩٣.

[٦] نفسه، ص ١٩٣.

وكل ما تقدم ذكره هو مواضع طباق الإيجاب عند شاعرنا ابن المعذَّل، وثمة ضرب آخر من الطباق ألم به شاعرنا في غير موضع من شعره وهو طباق السلب ومن ذلك قوله[١]:

متـــى تَلقَـــهُ لا تلـــقَ إلاَّ مُمنَّعـــاً حِمـاهْ، مَصُـونَ العِـرْضِ مُبْتَـذَلَ الـوَفْرِ

طابق بين قوله (تَلقَهُ – ولا تلقَ) وهو طباق سلب.

وقوله[٢]:

غَـــدَر الزمـــانُ وليتـــه لـــم يَغْـــدرِ وحَدَا بشهر الصّوم فِطْر المُفْطرِ

طابق بين (غَدَرَ – ولم يغدر)، وهو طباق سلب.

وقوله[٣]:

يُعطيـكَ فـوق المُنـى مـن فَضْـلِ نائِلِـهِ ولـيس يُعطيـك إلاَّ وهـو مُعتـذرُ

الطباق بين (يُعطيك ... وليس يُعطيك) وهو طباق سلب.

وقوله[٤]:

لمـــوتهُم أَطقـــتَ لَـــهُ انضـــماماً ولـولاك ذَاك لـم تُطِـق اتسـاعاً

طابق بين (أطقتَ ولم تطق).

وقوله[٥]:

البَحْـــر يَفْنـــى ولا تَفْنـــى مَكارِمُـــه والقَطْرُ يُحْصَى ولا تُحصى عَطاياهُ

الطباق في قوله (يَفْنى ولا تَفْنى) وقوله (يُحْصى و لا تُحْصى)، وهو طباق سلب.

وخلاصة القول فالطباق عند شاعرنا ابن المعذَّل ذو دور مهم في موسيقي البيت، أنظر إلي هذا الحشد من الأضداد من جهة الاسم والفعل، أو الإيجاب والسلب (العسر واليسر) (البحر والبر) (الإصدار والإيراد) ومن جهة الفعل

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٠٣.

[٢] نفسه ص ١٠٧.

[٣] نفسه ص ١١٥.

[٤] نفسه ص ١٣٥.

[٥] نفسه ص ١٩٣.

(يصمته وينطقه) و(تخمد وتشتعل) و (يفنى ولا تفنى) ولعل كل هذا يجعل البيت الشعري ذا موسيقى داخلية تحدث رنيناً في الأذن، فكلما وجدت صفة تبعتها أخرى نقيضة لها.

رابعاً : التصريع:

التصريع في المنظوم نظير التسجيع في كل كلام منثور، فإن التصريع إنما يرد في الشعر لا غير ، والسجع مخصوص بالمنثور ، ومعناه أن يكون عجز النصف من البيت الأول من القصيدة مؤذناً بقافيتها فمتى عرفت تصريعها عرفت قافيتها، وأكثر ما يرد في أشعار المتقدمين وربما استعمله ناس من المتأخرين، ومن استعمله ممن تقدم أو تأخر فإنه دال على سعته من فصاحته ، واقتدار منه في البلاغة، وهو إنما يحسن إذا كان قليلاً في القصيدة بحيث يكون جارياً مجري الطراز للثوب والغرة في وجه الفرس ، فأما إذا كان كثيراً فإنه لا يكاد يرضى لما يظهر فيه من أثر الكلفة فيكسب لفظه برودة ومعناه ركة[1].

وقال أبو بكر بن السراج: (إن التصريع إنما يكون إذا كان عروض النصف الأول مطابقاً لعروض النصف الثاني وتلك الموافقة إنما كانت لأجل التصريع، فأما إذا كان توافقهما لمعني آخر غير التصريع فإنه ليس تصريعاً وإنما هو كلام مقضى وليس مصرعاً)[2].

والتصريع عند شاعرنا ابن المعذَّل يأتي في أول القصائد وهو تصريع حسن في جملته يعطي مطالع قصائده شيئاً من رونق وقلما ما أتى به في وسط القصائد ونذكر ما جاء به شاعرنا من تصريع في مطالع قصائده يقول[3]:

أحلْتَ عما عهدتَ من أدبِك أم لَك مُلكاً فتهتَ في كتبكْ؟

ويقول[1]:

يا بديعَ الدَّلِ والغَنَجِ لك سلطانٌ على المُهَجِ

---

[1] أنظر : العلوي اليمني: كتاب الطراز ٣/٣٢ -٣٣.

[2] نفسه ص ٣/٣٣.

[3] ديوان ابن المعذَّل، ص ٨٠.

[1] نفسه، ص ٩٣.

ويقول[١]:

لمَّـــا رأيـــتُ الـــديكَ قَـــدْ صـــاحا والكوكـــبَ الـــدريَّ قـــد لاحـــا

ويقول[٢]:

يـــا ربِّ إن كنـــت تـــرى المبـــرَّدا إن قـاس فـي النحـو قياساً أفسدا

ويقول[٣]:

قلـــتُ لَـــهُ إذْ مـــرَّ بـــي فـــردا مـــولاي هـــل تقتلنـــي عَمْـــدا

ويقول[٤]:

مَـــنْ لَـــمْ يُـــرِدْكَ ولـــم تُـــرِدْهُ لـــم يســـتفدْك ولـــم تُفِـــدْهُ

ويقول[٥]:

أَمَـا كَـانَ فـي قَسْـبِ اليَمامـةِ والثَّمَـر وفـي أَدَمِ البَحْرينِ والنَبقِ الصُّفْرِ

ويقول[٦]:

غَـــدَر الزمـــانُ وليتـــه لـــم يَغْـــدرِ وحَدَا بشهر الصّوم فِطْر المُفْطرِ

ويقول[٧]:

هَجَـــرتُ الهَـــوى أيَّمـــا هَجْـــرَه وعِفْـــتُ الغـــواني والخَمْـــرَهْ

ويقول[٨]:

مـــا للسَّـــماءِ عليـــه لـــيس تَنْفطِـــرُ وللكواكـــبِ لا تَهْـــوى فتنشـــرُ

ويقول[٩]:

معـانٍ مـن العَـيْشِ الغَريـرِ ومَعْمَـرُ ومبـــدي أنيـــقٍ بالعُـــذَيْبِ ومَحْضَـــرُ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ٩٥.

[٢] نفسه ص ٩٩.

[٣] نفسه ص ١٠٠.

[٤] نفسه ص ١٠٢.

[٥] نفسه ص١٠٦.

[٦] نفسه ص ١٠٧.

[٧] نفسه ص ١١٠.

[٨] نفسه ص ١١٤.

[٩] نفسه ص١١٩.

ويقول[١]:

عُـــذْرُكَ عِنْـــدي بِـــكَ مَبْسُـــوطُ والـذَّنْبُ عـن مِثْـلك مَحْطُـوطُ

ويقول[٢]:

لـــي صـــاحبٌ فـــي حديثـــه البَرَكَـــهْ يزيـــد عنـــد الســـكون والحركَـــهْ

وحيناً يأتي شاعرنا بالتصريع في وسط القصيدة من ذلك قوله[٣]:

حَـــيِّ ذا الـــزور وأنهـــه أنْ يعـــودا إنَّ بالبـــابِ حارســـين قعـــودا

وقوله[٤]:

فـــأَجْزَعُ إنْ قِيـــل لـــي حُمـــرة وأَشـــفق إنْ قِيـــل لـــي صُـــفْرهْ

والتصريع عند شاعرنا ابن المعذَّل يؤدي وظيفة كبيرة في موسيقي البيت يجعل كلاً من العروض والضرب يلتقيان في صوت واحد مما يحدث رنيناً داخلياً تميل إليه الأذن ، ولا سيما وأنه يأتي به في مفتتح القصائد وهو أول ما يقرع الأسماع ، مما يهيئ النفس للإصغاء.

خامساً: التضمين:

التضمين هو أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني كقول النابغة:

وهُـــمْ وردُوا الجفَـــارَ علـــى تَمِـــيمٍ وهُم أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إنِّي

شَـــهِدتُ لَهُـــم مَـــوَارِدَ صَـــادِقَاتٍ شَـهِدْنَ لَهُمْ بِصِدْقِ الودِّ مِنِّي

وإنما سمي بذلك لأنك ضمنت البيت الثاني معنى البيت الأول لأن الأول لا يتم إلاَّ بالثاني[٥].

ومن التضمين ضرب آخر ، يكون البيت الأول منه قائماً بنفسه يدل على جمل غير مفسرة، يكون في البيت الثاني تفسير تلك الجمل فيكون الثاني يقتضي الأول كاقتضاء الأول له ، كقول أمريء القيس:

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٣٢.

[٢] نفسه ص ١٥١.

[٣] نفسه ص ٩٦.

[٤] نفسه ص ١١١.

[٥] الخطيب التبريزي : الوافي في العروض والقوافي ص٢٤٨-٢٤٩.

وَتَعْـــرِفُ فِيـــهِ مِـــنْ أبيـــهِ شَـــمائِلاً ومِنْ خَالـهِ ومِـنْ يزيـدَ ومِـنْ حُجُـرْ
سَـــمَاحَةَ ذَا ، وبـــرَّ ذَا ، ووفـــاءَ ذَا ونَائِـلَ ذَا، إذَا صَـحَا، وإذَا سَـكِرْ

فهذا ليس بعيب والأول عيب[١].

والتضمين في شعر ابن المعذَّل كله من الضرب الثاني ومرد ذلك استرساله الكثير في الوصف مما جعل البيت عنده مفتقراً إلى الثاني في كثير من الأحوال لإتمام المعني المراد.

قال ابن المعذَّل[٢]:

مَـــنْ يهـــدِ ريحانـــاً فـــإني مُهْـــدي
ريحانـــةَ الحَمْـــدِ لأَهْـــلِ الحَمْـــدِ

معنى البيت الأول لم يكتمل إلاّ بإيراد البيت الثاني.

وقال[٣]:

أيُّهـــا الرافـــعُ فـــي المســـَ جـــد بالصـــوتِ العقيـــرهْ
قتلتنـــــي عينـــــك النَّجْـــــ ـــــلاءُ والقتـــــلُ كبيـــــرهْ

فالأول مفتقر إلى البيت الثاني لاتمام المعنى.

وقال[٤]:

إن رأت الأحنـــــــاءَ مُقفعِلَّـــــــهْ
قالـــت أرى شَـــيْبَ القُـــذال احتلَّـــهْ

البيت الأول لا يتم معناه إلا بإيراد البيت الثاني.

---

[١] الخطيب التبريزي : الوافي في العروض والقوافي ص ٢٤٩.

[٢] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٠١ – ١٠٢.

[٣] نفسه ص ١٠٧.

[٤] نفسه ص ١٥٥.

وقال[١]:

سَـــأَلْنَا عَـــنْ ثُمَالَـــةَ كـــلَّ حـــيٍّ فَقَـــالَ القَـــائِلونَ ومَـــنْ ثُمالَـــهْ

فَقُلْـــتُ مَحَمَّـــدُ بـــنُ يزيـــدَ مِـــنْهم فَقَـــالُوا زِدْتَنَـــا بِهِـــم جَهَالَـــهْ

فالبيت الأول يفتقر إلي البيت الثاني لإتمام المعني.

وقال[٢]:

عاشـــــــق أهـــــــدي لحبَّتـــــــه حـين خـاف الصـدَّ والملَـلا

جـــرَّة الصـــحناء فـــي طبـــقٍ قـــد أداروا حولهـــا بصَـــلا

لم يكتمل المعنى في البيت الأول إلا بالثاني.

لابن المعذَّل أكثر من شطر تعلق معناه بالآخر في أرجوزته التي قالها في وصف النخيل، ومن ذلك قوله[٣]:

حـــــــدائقٌ مُلْتَفـــــــةُ الجنـــــــانِ

رســـــتْ بشـــــاطئ تَـــــرِع ريَّـــــانِ

البيت الأول لا يتم معناه إلا بالبيت الثاني.

وقوله[٤]:

إنْ هـــــي أبـــــدت زِينـــــةَ الرُّهْبـــــانِ

لاحـــــتْ بكـــــافورٍ علـــــى إهـــــانِ

يفتقر معنى البيت الأول إلى البيت الثاني.

وقوله[٥]:

إذا بـــــــدتْ ملمومـــــــةَ البنـــــــانِ

عُلَّـــــــتْ بِـــــــوَرْسٍ أو بزَعْفَـــــــرانِ

البيت الأول يحتاج إلى الثاني لإتمام المعنى.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٥٦.

[٢] نفسه ص ١٦٢ – ١٦٣.

[٣] نفسه ص ١٨٨ – ١٨٩.

[٤] نفسه ص ١٨٩.

[٥] نفسه ص ١٨٩.

وقوله[١]:

حتَّـــــــى إذا شُـــــــبِّهُ بـــــــالآذانِ
مـــن حُمـــرِ الـــوحش لـــدي العيـــانِ
شَـــــــقَّفَهُ عِلجـــــــانِ مَـــــــاهرانِ

البيت الأول يحتاج إلى البيت الثاني والثالث لكمال المعنى.

وقوله[٢]:

يَضْـــــحَك عَـــــنْ مُشْـــــتَبِهِ الأقْـــــرانِ
كَأنَّـــــه فـــــي ناضِـــــر الأغصـــــانِ
زُمَـــــــرَّدٌ لاحَ علـــــــى تيجـــــــانِ

البيت الأول لا يكتمل معناه إلاَّ بالبيت الثاني والبيت الثالث.

وقوله[٣]:

وفـــــــاقعٍ أصـــــــفرَ كـــــــالنيرانِ
مثـــــل الأكاليـــــلِ علـــــى الغـــــواني

فالبيت (وفاقع ....) لا يكتمل معنى التشبيه إلاَّ عند قوله (مثل) فالأول مفتقراً إلى الثاني لإتمام المعنى وإلاَّ بدا ناقصاً مبتوراً.

وثمة نوع آخر من التضمين أتى به ابن المعذَّل في شعره وهو أن يضمن الشاعر قوله شيئاً من قول غيره، قائلاً [٤]:

وقـــد نَصَـــرْتَ وقـــد آوَيْـــتَ مُحتسِـــباً أبْنـاءَ قَـوْمٍ هُـمُ آوَوْا وَهُـمْ نَصَـرُوا

الشطر الثاني للأخطل التغلبي وصدره (بَني أُميَّةَ قَدْ ناضَلْتُ دُونكُمُ)[٥].

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٨٩.

[٢] نفسه ص ١٨٩.

[٣] نفسه ص ١٩٠.

[٤] نفسه ص ١١٥.

[٥] إسماعيل اليوسف: ديوان الأخطل، دار الكتاب العربي سوريا ص ٣٤.

وقوله [1]:

إنَّ الكـــــــــريمَ إذا رآك ظَلَمْتَـــــــــه ذَكَـر الظَلامـةَ بَعْـدَ نَـوْم النُّـوَّمِ

إيّـــاكَ مِـــنْ ظُلْـــمِ الكـــريمِ فإنَّـــه مُـــرٌّ مَذاقتُـــه كَطَعْـــمَ العَلْقَـــمِ

أخذ ابن المعذَّل هذا النص من معلقة عنترة.

هَـــلْ غَـــادَرَ الشُّـــعراءُ مَـــنْ مُتَـــرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتِ الدارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

يقول عنترة:-

وإذا ظلمـــــــتُ فـــــإن ظُلمـــــــي مُـــرٌّ مذاقتُـــه كَطَعْـــمِ العَلْقـــمِ

وهكذا يتضح مما عرضنا لأمثلة التضمين عند شاعرنا ابن المعذَّل أنه من النوع الثاني الذي نص عليه الخطيب التبريزي بأنه ليس بعيب، ونرجح سبب اتيان شاعرنا بهذا النوع من التضمين لإكثاره من الوصف، ومهما يكن فإن التضمين عنده على هذا الشكل الذي رأيناه يجعل كثيراً من الأبيات كتلة واحدة أو وحدة واحدة يصعب تجزئتها لافتقار أولها إلي ثانيها، والحال كذلك في كثير من وصفه مما يجعل السامع لا يقنع بالبيت الواحد تائقاً إلى الثاني حيث اكتمال المعنى المقصود، وفي ذلك ما لا يخفى من موسيقى داخلية تنشأ من ارتباط والتحام بيت بآخر. وهنالك نوع آخر من التضمين أتى به شاعرنا في شعره وهو أن يضمن قوله شيئا من قول غيره. ولكن كثيرا من النقاد الأقدمين لا يريدون تعلق البيت ببيت آخر، بل يريدون البيت المستقل بنفسه وهو البيت السائر العائر حين يتضمن حكمة أو مثلا أو نحوهما.

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١٧١.

سادساً: المقابلة:

المقابلة هي: إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ علي جهة الموافقة أو المخالفة. أما ما كان منها في المعني فهو مقابلة الفعل بالفعل، مثاله وقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا النمل٥٢، .فسواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم، والمقابلة قد تكون بالألفاظ، مثل قول عدي بن الرقاع:

ولَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الفَتَاةِ وِسَادةً لِي جَاعِلاً إحدى يَديَّ وِسَادَهَا[١]

أما قدامة بن جعفر فعرفها بقوله: (هي أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف علي الصحة، أو يشترط شروطاً ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفي ما يخالف بضد ذاك)[٢].

المقابلة عند شاعرنا ابن المعذَّل لم تأخذ حيزاً كبيراً ومما جاء به من مواضعها قوله[٣]:

ولا أتصدَّي لشُكْرِ الجَوادِ ولا أَستعدُّ لذَمِّ البَخيلِ

قابل بين الشكر والذم (لشكر – لذم) وقابل بين (الجواد – البخيل).

وقوله[٤]:

يقرِّبُ مُفْرحة المستلذ ويبعدُ همِّي وأحزانيهْ

قابل الشاعر بين (يقرِّب ... يبعد) و(مفرحة ... همِّي ... أحزانيهْ) صفتان هنا وأخريات هناك.

وقوله[٥]:

أَطَاعَ الفَريضة والسُّنَّة فَتَاه عن الإنس والجِنِّهْ

قابل الشاعر بين طاعته للفرض والسنة وبعده عن الإنس والجن.

---

[١] أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ٣٣٧

[٢] قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص ١٤١.

[٣] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٧٥.

[٤] نفسه ص ١٨٣.

[٥] نفسه ص ١٨٥.

وقوله[١]:

يـا أَبْغـضَ النـاسِ فـي عُسْـرٍ ومَيْسَـرةٍ وأَقْـذَر النـاسِ فـي دنيـا ودِيـنِ

قابل بين (العسر واليسر) و (الدنيا والدين).

يبدو أثر المقابلة عند شاعرنا ابن المعذَّل محدودة للغاية ومن عملي في شعره لم أجد من المقابلة خلا الأبيات آنفة الذكر، فابن المعذَّل كَلِفٌ بذكر الأضداد سواء على إفراد اللفظ صفة هنا وأخرى هناك أو على غير ذلك كأن يذكر صفتين هنا وأخريين هناك.

سابعاً : حسن التقسيم:

عرَّف قدامة بن جعفر التقسيم: (أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها[٢])، وعرفه أبو هلال العسكري بأنه: (تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه وألاّ يخرج منها جنس من أجناسه)[٣]، أما ابن رشيق القيرواني فرأى: (أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به)[٤].

وفي التقسيم تجزئة الوزن إلى مواقف، يسكت عندها أثناء التأدية للفظ البيت أو يستريح قليلاً، كأنه يومئ إلي السكت[٥].

وعلى ضوء مفهوم التقسيم يمكن أن نعرض لما أتى به شاعرنا ابن المعذَّل من أبيات يتوفر فيها عنصر التقسيم ومن ثم دوره في إكمال موسيقى البيت الشعري. يقول ابن المعذَّل[٦]:

وتقسـمك صـبابتان لبينـة أسـفُ المشـوق وخَلَّـة المتفكِّـرِ

أنظر إلى هذا التقسيم وما فيه من موسيقى (وتقسمك – صبابتان– لبينة – أسف المشوق– وخله المتفكر) مما يجعل البيت قسمات تومئ بالسكت ولا سكت.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٨٦.

[٢] قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص١٣٩.

[٣] أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ٣٧٥.

[٤] ابن رشيق القيرواني : العمدة ٢٠/٢.

[٥] د. عبد الله الطيب : المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها ٧٢/٢.

[٦] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٨.

وقوله[1]:

الحِلـــمُ يُصـــمتُه والعلـــمُ يُنطقُـــهُ وفي تُقى اللهِ ما يأتي وما يَذَرُ

ففي هذا البيت حسن تقسيم باد أثره الموسيقي (الحلم يصمته/ والعلم ينطقه/ وفي تقي الله/ ما يأتي وما يذر).

وقوله[2]:

عَـفُّ الضـمير رحيـبُ البـاعِ مُضْـطلعٌ لحرمـةِ الله والإسـلامِ مُنتصِـرُ

البيت في رثاء سعيد ابن أبي سلم الباهلي، فحسن التقسيم ناشئ من حشد الشاعر لصفات هذا الرجل (عفَّ الضمير – رحيب الباع – مضطلع لحرمة الله والإسلام – منتصر).

وقوله[3]:

وَيَبكِـــكَ الـــدينُ والـــدنيا لِرَعْيِهمـــا والبَـرُّ والبَحْـرُ والإعسـار واليُسُـرُ

في البيت حسن تقسيم واضح تستريح له الأذن (ويبكك الدين/ والدنيا لرعيهما/ والبرُّ – والبحرُ – والإعسار – واليسر).

أجل إنَّ التقسيم قليل كمَّاً ولكن دوره في موسيقي البيت من الأهمية بمكان إذ يضفي عليه نغمة حلوة الترداد ويقسمه إلي تفعيلات وأجزاء تومئ بالسكت ولا سكت.

ومقتضب القول عني شاعرنا ابن المعذَّل بموسيقى البيت الشعري من خلال الألوان البديعية التي ذكرناها المعنوية منها واللفظية ، ولكل محسن بديعي منها دور رئيس في موسيقي البيت كالجناس ورد العجز على الصدر ، والطباق، والمقابلة والتكرار وحسن التقسيم وغيرها، فاللفظي منها يهيئ السامع للإصغاء ، وهناك ألفاظ تتكرر في الصدر والعجز تأتي أفعالاً حيناً وأسماء حيناً آخر، وثمة معان تأتي بأضدادها فرادي ومثني في الطباق والمقابلة ، كلها تتآزر لفظاً ولعل البديع بكل مميزاته تلك يكمل دور الصورة الفنية متآزراً مع عناصرها الرئيسة الأخرى من تشبيه واستعارة وكناية.

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١١٥.

[2] نفسه ص ١١٥.

[3] نفسه ص ١١٥.

المبحث الثالث

الموسيقى الشعرية

المطلب الأول

البحور الشعرية:

الشعر فن من الفنون الجميلة مثله مثل التصوير والموسيقي والنحت. وهو في أغلب أحواله يخاطب العاطفة ويستثير المشاعر والوجدان وهو جميل في تخير ألفاظه، جميل في تركيب كلماته، جميل في توالي مقاطعه، وانسجامها بحيث تتردد ويتكرر بعضها فتسمعه الآذان موسيقى ونغماً منتظماً فالشعر صورة جميلة من صور الكلام[١].

تؤلف الموسيقى عنصراً هاماً من عناصر الشعر بما تتوسل به من وزن وتقفية، وغيرها من مصادر الايقاع الشعري وألوان الجرس اللفظي. والموسيقى حد الشعر وسمته الفارقة يستخدمها الشاعر ليناسب بينها وبين المواقف المصورة ويلائم بين الإيقاع وحالاته الفنية الخاصة وبين القافية وألفاظ البيت ودلالاتها[٢].

عني الشعر العربي بالأوزان عناية كبيرة إذ أن الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية[٣].

والشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء ، وهي: اللفظ، الوزن، المعني والقافية[٤].

والفرق بين الشعر والنثر بالوزن ... والتقفية[٥].

لذلك كان الشعر مهتماً بإرضاء الآذان فلا يلقى إلاّ ما تستريح إليه ، فإذا تهاون الشاعر فأخل الوزن ، أو تهاون فلم يعط القافية حقها لم يغتفر السامعون ولا النقاد له ذلك[١].

---

[١] د. إبراهيم أنيس : موسيقي الشعر، دار القلم بيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م ص١١.

[٢] د. علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ، طبع دار المعارف – مصر الطبعة الأولي سنة ١٩٨١م ص٣١.

[٣] ابن رشيق القيرواني : العمدة ١٣٤/١.

[٤] نفسه ١/ص ١١٩.

[٥] ابن سنان الخفاجي : سير الفصاحة، شرح وتعليق عبد المتعال الصعيدي ، طبع مطبعة صبيح –القاهرة ١٩٦٩م ص٢٧٩.

[١] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، نشر مكتبة غريب – القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص١٢٢.

ومما تقدم يتضح لنا ما للوزن من مكانة مهمة في صنعة الشعر.

أما الأوزان عند شاعرنا ابن المعذَّل فقد وجدت العناية الكبيرة في نظمه، فنظم في ثلاثة عشر بحراً، وهي على التوالي الرجز، الخفيف، الطويل، البسيط، مخلع البسيط، المتقارب، الوافر، الكامل، مجزوء الكامل، السريع، المديد، المنسرح، الرمل، مجزوء الرمل، الهزج، المجتث، ونسبتها المئوية علي النحو التالي:-

بحر الرجز أربع وعشرون بالمئة ٢٤%

بحر الخفيف خمس عشرة وسبعة من عشرة بالمئة ١٥.٧%

بحر الطويل ثلاث عشرة وتسعة من عشرة بالمئة ١٣.٩%

بحر البسيط إحدى عشرة وتسعة من عشرة بالمئة ١١.٩%

بحر المتقارب سبعة وستة من عشرة بالمئة ٧.٦%

ومجزوء المتقارب ونسبته ٢.٩%

بحر الوافر سبعة وأربعة من عشرة بالمئة ٧.٤%

ومجزوء الوافر ونسبته ٢%

بحر الكامل سبعة وواحد من عشرة بالمئة ٧.١%

بحر السريع خمس بالمئة ٥%

بحر المديد ثلاث بالمئة ٣%

بحر المنسرح اثنان وخمسة من عشرة بالمئة ٢.٥%

بحر الرمل ستة من عشرة بالمئة ٠.٦%

بحر الهزج ستة من عشرة بالمئة ٠.٦%

بحر المجتث أربعة من عشرة بالمئة ٠.٤%

وتحامي شاعرنا ابن المعذَّل ثلاثة بحور وهي: المضارع، المتدارك ، المقتضب.

تصدر بحر الرجز البحور التي ركبها ابن المعذَّل حيث يشكل ٢٤% من جملة شعره، والرجز من بحور الشعر وتسمى قصائده الأراجيز واحدها أرجوزة، ويسمي قائله راجزاً، وإنما سمي رجزاً لأنه يتولى حركة وسكوناً يشبه بالرجز في رجل الناقة ورعدتها، وهو أن تتحرك وتسكن ثم تتحرك وتسكن ويقال لها حينئذٍ رجزاء[١].

---

[١] محمد توفيق البكري: أراجيز العرب (المقدمة) طبع القاهرة عام ١٣١٣هـ.

والرجز بحر سهل تأتي سهولته من تلك التغيرات الكثيرة المألوفة في أجزائه ومن ذلك التنويع الذي ينتاب أعارضيه وضروبه ومن ثم كان أنسب البحور للارتجال والقول علي البديهة. ونرجح أن الرجز في العصر الجاهلي كان بمثابة الشعر الشعبي في عصرنا الحاضر، ولعل هذا من الأسباب التي حملت الناس علي الاعتقاد بأن الرجز أخفض طبقة من القصيد حتى قال الفرزدق: (إني لأري طرقة الرجز ، ولكن أرفع نفسي عنه). يصور المعرّي الرجز، تصويراً طريفاً في رسالة الغفران إذا يمر صاحبه ابن القارح بأبيات ليس لها سموق أبيات الجنة فيسأل عنها، فيقال له: هذه جنة الرجز ... فيقول: تبارك العزيز الوهاب لقد صدق الحديث المروي: "إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها"، وإن الرجز من سفاسف القريض، فقصرتم أيها النفر فقصر بكم[١].

والرجز من الأوزان العذبة ولا تزال تجده في الأوزان العامية ولا يصلح التطويل والاحتفال وإنما يصلح للقطع وما بمجراها مما يراد به الترنم والهجاء ونحو ذلك ولا يقصد به العمق والتأمل[٢].

ازدهر الرجز في العصر الأموي وأوائل العصر العباسي إذ نبغ في هذه الفترة جماعة من الرُّجاز أمثال رؤبة والعجاج وأبو النجم العجلي وغيرهم أطالوا الأراجيز ونوعوا في أغراضها وجاروا بها قصائد الفحول من الشعراء ولم يطل عهد هذا الازدهار كثيراً[٣].

ولا غرو في إكثار شاعرنا ابن المعذَّل من بحر الرجز لأنه أكثر تناسباً لمواقف الهجاء والوصف وفيما يلي نذكر بعض القصائد التي نظمها شاعرنا في بحر الرجز، قوله يهجو أباب قلابة[٤]:

---

[١] عبد الحميد الراضي : شرح تحفه الخليل في العروض والقافية الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤م – ١٩٧٥ مؤسسة الرسالة ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

[٢] د. عبد الله الطيب : المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها ، طبع مطبعة مصطفي البابلي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولي ١٣٧٤هـ= ١٩٥٥ م الجزء الأول ص ٢٦٢.

[٣] شرح تحفه الخليل في العروض والقافية ص٢٠٤.

[٤] ديوان ابن المعذَّل ص ٧٧

يـــــارَبِّ إنْ كـــــان أبـــــو قَلابـــــهْ
يشـــــتم فـــــي خَلْوتِـــــه الصـــــحابهْ
فأبعـــــث عليـــــه عقربـــــاً دَبَّابـــــهْ
تلســـــعُهَ فـــــي طَـــــرَف السَّـــــبابهْ

وقوله أيضاً في هجاء المبرد[١]:

يـــا ربِّ إن كنـــت تـــرى المبـــردا إنْ قاس في النحو قياساً أفسدا

وقوله في وصف جارية[٢]:

جاريـــــــةٍ آباؤهـــــــا نصـــــــارى
تُغْـــــــذى بالشَّـــــــهْدِ وبـــــــالخوارا

وقوله في وصف الصقر[٣]:

وعـــــاذبٍ بَـــــاكَرهُ القُـــــرُّ الفُـــــرطْ تَخايلَ النبتُ بـه الجَعْدُ القَطِـطْ

وقوله في وصف العقرب[٤]:

يـــا رُبَّ ذي إفـــكٍ كثيـــرٍ خُدعَـــهْ
مســـتجهلِ الحِلْـــمِ خبيـــثٍ مَرْتَعـــهْ

وقوله في وصف النخل[٥]:

حـــــدائقٌ مُلْتَفـــــةُ الجنـــــانِ
رســـــتْ بشـــــاطيءِ تَـــــرع ريَّـــــانِ

ولعل شاعرنا ابن المعذَّل وجد في الرجز مطية ذلولاً لأغراض شعره ، لا سيما وأنه كان يخاطب الطبقة العامة أو الطبقة الشعبية في مجتمع البصرة، لذا كان الرجز مناسباً لجُلّ أغراضه التي طرقها بدءً بالهجاء وانتهاءً بالوصف.

ورغم ما شاع ورسخ من قول النقاد الأقدمين إن الشعراء الفحول قديماً تحاموا الرجز ولم ينظموا فيه، ولكننا نري أن الفحولة وعدم الفحولة ليست مرتبطة بالنظم في

---

[١] نفسه، ص ٩٩ – ١٠٠.
[٢] نفسه ص ١٢١.
[٣] نفسه ص ١٣١.
[٤] نفسه ص ١٣٦.
[٥] نفسه ص ١٨٨.

الرجز أو عدمه، إنما هي مسألة نسبية، فهاهو ذا شاعرنا ابن المعذَّل يكثر من الرجز ، وهو من الشعراء المقدمين في عصره وإن أخمل ذكره أبو تمام كما ذكرنا آنفاً، ولعلَّ شعر ابن المعذَّل كان يُغنّى في مجالس الأنس التي وصفها غير مرةٍ، وهذا سبب آخر يعلل لإكثاره من الرجز.

أما بحر الخفيف فقد أتي تالياً لبحر الرجز ونسبته ١٥.٧%، من القصائد التي نظمها ابن المعذَّل في بحر الخفيف قوله[١]:

خبَّرونـــــي أنَّ الحبيـــــبَ عليـــــلٌ عجَّـــلَ الله للحبيـــبِ الشـــفاءا

وقوله[٢]:

فَـــــارَقَتني ذخيـــــرةٌ مـــــن عَقـــــارٍ ذكَّرَتنـــــي تفـــــرّقَ الأحبـــــابِ

وقوله[٣]:

كـــــم صـــــغير جبرتـــــه بعـــــد يـــــتم وفقيـــــر نَعَشْـــــتَهُ بعـــــد عـــــدمِ

وقوله[٤]:

باكرَتَـــــهُ الحُمَّـــــى وراحـــــتْ عليـــــه فكســـــتْه حُمَّـــــى الـــــرواحِ بَهَـــــارا

وقوله[٥]:

يتمشَّـــي فـــي ثـــوبٍ عصـــبٍ مـــن العُـــرْ ي علـــى عَظْـــم ســـاقه مســـدولِ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص٧٦.

[٢] نفسه ص ٨٥

[٣] نفسه ص ١٧٠.

[٤] نفسه ص ١١٨.

[٥] نفسه ص ١٥٨.

وقوله[١]:

قَــدْ تَرَكْــتُ الرِّيــاحَ يــا ابْــنَ ريــاحٍ وهي حَسري إنْ هَفَّ مِنْها نَسِيمُ

وقوله[٢]:

موقــــف للرقيــــب لا أنســــاه لســت أختــاره ولا آبــاهُ

فالخفيف وزن وسط بين الفخامة والرقة فهو إذاً لم يكن كالطويل في فخامته وجلاله ولا كالمنسرح في لينه وتكسره، فإنه آخذ من ذاك نصيب ومن هذا نصيب ومن ثم كان صالحاً للحماسة والفخر وما إليهما من موضوعات الجد كما صلح للغزل والرثاء والمديح وما إليهما من موضوعات الدقة واللين، ولذلك أكثر الشعراء من النظم عليه في القديم والحديث[٣].

والملاحظ أن ابن المعذَّل نظم في بحر الخفيف المجزوء ونسبته ٣.١% وهو من البحور القصار التي لا تصلح للجد بالرغم من عدم شيوعه واعتباره من الشواذ عنــد العروضــين لــذلك تحامــاه الشــعراء إلا فــي القليــل النــادر[٤].

لنذكر مطالع بعض القصائد التي نظمها شاعرنا في مجزوء الخفيف قوله[٥]:

إنَّ هــــــذا يُــــــرى أرى إنــــه ابــــنُ المُهلَّــــبِ

وقوله[٦]:

لــــــي أخٌ لا يُــــــرى لــــــه ســــائلٌ غيــــر عاتــــبِ

وله قصائد أخرى نظمها في مجزوء الخفيف ولكننا نغض الطرف عنها حياءً.

يأتي بحر الطويل في المرتبة الثالثة بين البحور التي ركبها ابن المعذَّل ونسبته ١٣.٩% ومن ذلك قوله[٧]:

لكــلِّ أخــي مــدحٍ ثــوابٌ يُعــدُّه ولـيس لمـدحِ البـاهليّ ثـوابُ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٧٩.

[٢] نفسه ص١٩٥.

[٣] شرح تحفة الخليل في العروض والقافية ص ٢٥٩.

[٤] نفسه ص ٢٦١.

[٥] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٣.

[٦] نفسه ص ٨٣ – ٨٤ .

[٧] نفسه ص ٨٥.

وقوله[١]:

وخَيْمـــةِ نـــاطورٍ تُحَـــفُ بروضـــةٍ يحييك منها وردها والبنفسَجُ

وقوله[٢]:

لعمـــري لقـــد أظهـــرت تيهـــاً كأنَّمـــا تولّيـت للفَضْـل بـن مـروانَ عُكْبـرا

وقوله[٣]:

نظـــرتُ إلـــى مَـــنْ زَيَّـــنَ الله وَجْهَـــهُ فيا نظرةً كادتْ على عاشقٍ تَقْضِي

وقوله[٤]:

تُكلِّفُنـــــي إذْلالَ نفســـــي لِعزِّهـــــا وهـــانَ عليهـــا أنْ أهـــان لِتُكْرَمـــا

وقوله[٥]:

هريقـاً دمـاً إنْ أُنفِـذَتْ عبـرة تجـري أبى الصبر إنَّ الرزءَ جَلَّ عَنِ الصبرِ

وبحر الطويل يمتاز بالرصانة والجلال في نغماته وذبذباته المنسابة الهادئة، لذلك كان أصلح البحور لمعالجة الموضوعات الجدية التي تحتاج إلي طول لنفس والروية كالمدح والرثاء والعتاب والفخر والاعتذار ، وكان الفحول من الشعراء يعولون وإليه يعمدون لذلك نراه أكثر شيوعاً في الشعر القديم وكان المعرِّي يقول: (إذا اعترضت الديوان من دواوين الفحول كان أكثر ما فيها طويلاً وبسيطاً)[٦].

ويقال أن العرب كانت تسمي الطويل الركوب لكثرة ما كانوا يركبونه في أشعارهم[٧].

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ٩٢.

[٢] نفسه ص ١١٢.

[٣] ديوان ابن المعذَّل ص ١٢٨.

[٤] نفسه ص ١٦٩.

[٥] نفسه ص ١٠٣.

[٦] شرح تحفة الخليل ص ١٠٤.

[٧] المرشد ١ ص٣٩٩.

وقد كانت العرب تلقي القصص في أشعارهم على سبيل التلميح والإشارة ، ولما كان بحر الطويل رحيب الصدر طويل النفس فإن العرب وجدت فيه مجالاً أوسع للتفضيل (في نطاق داخل التلميح والإشارة) مما كانت في غيره من الأوزان، ولهذا قد كان أصلح من غيره لتسجيل الأخبار والأساطير[١].

ومما يدل على سعة الطويل أنه تقبل من الشعر ضروباً عدة كاد ينفرد بها عن البسيط.. وقد أخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انتباره، ومن رقة الرمل دون لينه المفرط ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه، وسلم من جلبة الكامل وكزازة الرجز ، وإفادة الطول أبهة وجلالة، فهو البحر المعتدل حقاً[٢].

ولعل ما ذكرنا من رحابة هذا البحر ما جعل شاعرنا ابن المعذَّل يكثر منه، وحين كان بحر الطويل أكثر تناسباً لمواقف المفاخرة والمناظرة والهجاء ولمعالجة الموضوعات الجادة التي تحتاج إلي طول نفس وروية كالمدح والرثاء والعتاب والفخر والاعتذار فخليق بابن المعذَّل أن ينظم شعره فيه.

البحر الرابع ترتيباً بين البحور التي نظم فيها ابن المعذَّل بحر البسيط ويشكل ١١.٩% من جملة ما نظم ، والبسيط أخو الطويل في الجلالة والروعة، إلا أن الطويل أعدل مزاجاً منه، ويقصد بالبسيط أن فيه من استفعالات الرجز ذات دندنة تمنع نغمه أن يكون خالص الاختفاء وراء كلام الشاعر، كامل النزول منه بمنزلة الجو الموسيقي الذي يكون من الشعر كالإطار من الصورة ، ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين: العنف أو اللين[٣].

ومثلما وجد ابن المعذَّل أوسع مجالاً له في الرجز والخفيف والطويل ، فإن البسيط أيضاً قد هيأ له مثل هذا المجال، ولنعرض بعض ما جاء به ابن المعذَّل من البسيط:

قال ابن المعذَّل[٤]:

ما إن ذكرتُك في قومٍ أجالسهم ... إلاَّ تجدَّد من ذكراك بلوائي

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ٣٩٩ –٤٠٠.

[٢] نفسه ص ٣٩٢.

[٣] المرشد ص ٤٥٢.

[٤] ديوان ابن المعذَّل ص ٧٥.

وقوله[١]:

الـــنفس تســـخو ولكـــن يمنـــعُ العُسْـــرُ والحرّ يَعذِرُ من بالعُسْرِ يعتذرُ

وقوله[٢]:

مـــا للسَّـــماءِ عليـــه لـــيس تَنْفَطِـــرُ وللكواكـــبِ لا تَهْـوي فتنتشـــرُ

وقوله[٣]:

إنَّ العيـــونَ إذا مكَّـــنَ مـــن رَجُـــلٍ يَفْعَلْنَ بالقَلْبَ ما لا يَفْعَلُ الأَسَلُ

وقوله[٤]:

أحْـــزانُ نَفْســـي عَنْهـــا غَيْـــرُ مُنْصـــرِمَهْ وأدْمُعي مِنْ جُفون الدَّهْرِ مُنْسَجِمَهْ

وقوله[٥]:

القلـــبُ بعـــدك لـــم يســـكنْ إلـــى ســـكنِ والعينُ مذ غِبْتَ لم تنظر إلي حَسَنِ

وقوله[٦]:

يـــا مَـــنْ فَـــدَتْ نَفْسَـــه نَفْســـي وَمـــنْ جَعِلَـــتْ لَـــهُ وِقَـــاءً لِمـــا يَخْشـــى وأخْشَـــاهُ

وجد شاعرنا ابن المعذَّل في بحر البسيط ما يلائمه، ففيه عنصر الحنين والتحسر على الماضي، فقد قضى عمره يبكي على ماضيه وذكرياته ولا سيما في قصائد بعينها، وقصارى القول فالبسيط صالح لتقبل العنف والرقيق الباكي من الكلام. والسر في صلاحيته لهذين النقيضين هو أن نغمه يتطلب عاطفة قوية – أنَّى كان نوعها – يعبر عنها الشاعر تعبيراً خطابياً جهيراً، ويلزم من ذلك جانب الجلالة والرفعة وهاتان الصفتان هما اللتان تجمعان بينه وبين الطويل[٧].

لابن المعذَّل قصيدة واحدة نظمها في مخلع البسيط وهو قليل الاستعمال لما فيه من إيقاع ثقيل مضطرب وما روي فيه من الشعر قديمه وحديثه نذر قليل حتى

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٠٩.

[٢] نفسه ص ١١٤.

[٣] نفسه ص ١٥٥.

[٤] نفسه، ص ١٧٢.

[٥] نفسه ص ١٨٣.

[٦] نفسه ص ١٩٢.

[٧] المرشد ١ ص ٤٨٠.

أن قدامة بن جعفر ضرب به المثل لقبح الوزن ، وتمييله إلى الإنكسار وإخراجه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهله[١].

غير أن المحدثين من شعراء العصر العباسي وما بعده استحسنوا من مجزوء البسيط ذلك الوزن الذي يسمي المخلع واستخفوه ، وأكثروا من النظم فيه[٢].

وهذا مطلع القصيدة التي نظمها ابن المعذَّل في مخلع البسيط[٣] :

بنيتـــــي أصـــــبحت عروســـــاً تهـدي مـن ابنـي إلـي عـروس

البحر الخامس من حيث الترتيب الذي نظمه ابن المعذَّل هو بحر المتقارب ونسبته ٧.٦%. والمتقارب بحر رتيب ولكنه متفق سريع، تأتي رتابته من وحدة التفعيلة (فعولن) ويأتي تدفقه وسرعته من قصر التفعيلة الخماسية والتي كثيراً ما تختزل حين تحذف نونها بالقبض، وهو من حيث تدفقه يصلح للتعبير عن العاطفة الجياشة[٤].

ومن القصائد التي نظمها ابن المعذَّل في بحر المتقارب قوله[٥]:

ولـــم تَـــرَ أَبْلَـــغَ مـــن نَـــاطِقٍ أتتْـــه البلاغـــةُ مـــن كَرْنَبـــا

وقوله[٦]:

أقـــول وجـــنحُ الـــدجى ملبَّـــدُ ولليـــل فـــي كـــل فـــجٍّ يـــدُ

وقوله[٧]:

هَجَـــرتُ الهَـــوى أيَّمـــا هَجْـــرَه وعِفْـــــتُ الغـــــواني والخَمْـــــرَهْ

وقوله[٨]:

ولاح الصـــــــباحُ فَشَـــــــبَّهتُهُ علـيَّ بـن عيسـى علـى المِنْبَـرِ

---

[١] شرح تحفة الخليل ص ١٣٨.

[٢] نفسه ص ١٣٨.

[٣] ديوان ابن المعذَّل ص ١٢٥.

[٤] شرح تحفة الخليل ص ٢٩٣.

[٥] ديوان ابن المعذَّل، ص ٧٨.

[٦] نفسه ص ٩٧.

[٧] نفسه ص ١١٠

[٨] نفسه ص ١١٣.

وقوله[١]:

رَأَتْ عَـــــدَمي فاســـــتراثتْ رَحيلـــــي ســـــبيلك أنَّ سِـــواها ســـــبيلي

والمتقارب بحر بسيط النغم مضطرد التفاعيل، منساب طبلي الموسيقي ويصلح ما فيه تعداد للصفات وتلذذ بجرس الألفاظ، وسرد للأحداث في نسق مستمر والناظم فيه لا يستطيع أن يتغافل عن دندنته فهي أظهر شيء فيه، ولذلك فتجويد الصناعة مهمة جداً وكثير من الشعراء الفحول يتحامونه لأنه يتطلب اندفاعاً وراء النغم كما يندفع التيار في غير ما توقف وعز أن تجد شيئاً منه عند النابغة أو زهير أو أبي تمام أو الأخطل[٢].

وهو بحر تغنٍ من النوع المنساب المتدفق، وأنه أيسر البحور لمن يريد النظم وأعصاها لمن يحاول الإحسان والإتقان لما يتطلبه من سلامة الطبع وامتداد النفس[٣].

ولا عجب في إكثار شاعرنا ابن المعذَّل من بحر المتقارب لأنه مناسب لكثير من أغراضه التي طرقها من هجاء وغزل ومدح ووصف وغيرها ، ورغم ما شاع من قول النقاد إن الشعراء الفحول قديماً تحاموا المتقارب ولم ينظموا فيه. ولعلَّ ما ذُكر آنفاً في بحر الرجز أن الفحولة وعدم الفحولة ليست مرتبطة بالنظم في بحر من بحور الشعر وإنما هي مسألة نسبية حكم بها النقاد على الشاعر من خلال شعره كله ، وهاهو ذا ابن المعذَّل ينظم في بحر المتقارب وهو من الشعراء المقدمين في عصره.

نظم ابن المعذَّل في مجزوء المتقارب ونسبته ٢.٩% وهو قليل نذر في شعر المعاصرين وفي شعر المولدين أيضاً ، وهو في الشعر القديم أقل وأنذر[٤].

ومما يأتي به ابن المعذَّل من قصائد في مجزوء المتقارب قوله[٥]:

لســـــــانُ الهـــــــوى يَنْطِـــــــقُ وشَـــــــاهِدُه يَصْـــــــدُقَ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص١٥٧.

[٢] المرشد ٣٣٧/١.

[٣] المرشد ٣٥٥/١.

[٤] شرح تحفة الخليل ص٢٩٥.

[٥] ديوان ابن المعذَّل ص ١٤٤.

وقوله[١]:

شـــــباب كـــــأن لـــــم يكـــــنْ وشَـــيْبٌ كـــأَن لـــم يَـــزُلْ

وقوله[٢]:

أعَـــــــــــاذِلتي أَقْصـــــــــــري أبـــــعْ جـــــدَّتي بـــــالمِنَنْ

يأتي بحر الوافر في المرتبة السادسة بين البحور التي ركبها ابن المعذَّل ونسبته ٧.٤%، ولنعرض لما أتي به شاعرنا من قصائد أو مقطوعات من بحر الوافر.

قال ابن المعذَّل[٣]:

عَـذيري مـن أخٍ قَـدْ كـان يُبـدي عَلـى مَـنْ لابـسَ السـلطان عَتْبـهُ

وقال[٤]:

أُحِـــــبُّ بُنيّتـــــي حُبَّـــــاً أراه يزيـدُ علـى مَحَبَّـاتِ البنـاتِ

وقال أيضاً[٥]:

أقَبْـــرَ أبـــي أُميَّـــة لَـــوْ عَـــلاه حملـتَ إذن لضِـقْتَ بـه ذِرَاعـا

وقال[٦]:

بـــأيمن طـــائر وأســـر فـــالِ وأعلـــي رتبـــة وأجـــلِّ حـــالِ

وقال [٧]:

أجـــرَّ علـــى سَـــنامِ الأرض ذيلـــي وأعقـــد بُرْدَتـــيّ علـــى شَـــمامِ

والوافر بحر مسرع النغمات متلاحقها، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفعاً دفعاً كأنه يخرجها من مضخة ، لا في انثيال كما يفعل صاحب المتقارب ولا في رشاقة كما يفعل صاحب الكامل،

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٥٤.

[٢] نفسه ص ١٨٠.

[٣] نفسه، ص ٧٨.

[٤] نفسه ص ٩٠.

[٥] نفسه ص ١٣٥.

[٦] نفسه ص ١٦٣.

[٧] نفسه ص ١٧٨.

ولهذا فإنك أكثر ما تجد الوافر في نظم الشعراء ذا أساليب تغلب عليها الخطابة – لا فرق في ذلك بين رقاق الوافريات وفخامتها. والخطابة في الوافر جلي فيها عنصر التكرار والمزاوجة والمطابقة ، وحملها الصدر علي العجز والإضراب عن الشيء إلي سواها وعرض جوانب مختلفة من المعني الواحد يتبع بعضها بعضاً، وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر والتفخيم في معرض المدح [١].

والوافر يصلح للأداء العاطفي سواء أكان ذلك في الغضب الثائر والحماسة أم في الرقة الغزلية والحنين[٢].

وكثير من قصائد ابن المعذَّل في بحر الوافر تكتسب هذه المزية في الهجاء (عذيرى من أخ ....) وفي الرقة الغزلية (أحب بنيتي ....) وفي الرثاء (أقبر أبي أمية ...) وفي الفخر (أجر علي سنام الأرض ...) وفي المدح (بأيمن طائر ...).

وكدأب ابن المعذَّل في نظم مجزوءات البحور فقد نظم في مجزوء الوافر ونسبته ٢% وهو يصلح للغناء والأناشيد كسائر البحور القصار وهو أقرب إلى الهزج وكثيراً ما يشبه به[٣].

وإليك ما أتي به ابن المعذَّل من قصائد أو مقطوعات مجزوء الوافر.

يقول[٤]:

تجـــــاوز نِسْـــــبةَ المـــــولى وأصـــبح يـــدّعي العَربـــا

ويقول[٥]:

لعُتْبَـــــةَ صَـــــفْحتا قَمَـــــرٍ يَفـــوقُ سَـــناهما القَمَـــرا

---

[١] المرشد ٣٥٩/١.

[٢] المرشد ٣٥٨/١.

[٣] شرح تحفة الخليل ص١٥٤.

[٤] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٦.

[٥] نفسه ص ١١٣.

ويقول[١]:

صـــــــرفتُ هـــــــواك فانصـــــــرفا ولـــم تَـــرْعَ الـــذي ســـلفا

ويقول[٢]:

ومتخـذٍ علـى خدَّيـه مـن أصْـداغِه حَلَقـا

يَكادُ يـذوبُ حِينَ يُديرُ فـي وَجْناتـهِ الحَـدَقا

سابع الأبحر التي ركبها شاعرنا ابن المعذَّل الكامل ونسبته ٧.١% كما في قوله[٣]:

عَتْبـــي عَلَيْـــك مُقـــارِن العُـــذْرِ قَـدْ زَال عِنْـدَ حَفيظتـي صَـبْري

وقوله[٤]:

غَـــدَرَ الزمـــانُ وليتـــه لـــم يَغْـــدِرِ وحَـدَا بشـهر الصّـوم فِطْـر المُفْطـرِ

وقوله[٥]:

إنَّ السُّـــــرورَ تَصـــــرَّمتْ أيامُـــــه مِنِّي وفارقني الحبيبُ المؤنسُ

وقوله[٦]:

بِنْـــتُ المَنيَّـــةِ بـــي مُوكَّلـــةٌ عَقِـــبَ النَّهـــارِ كمُقْـــتضٍ قَرْضـــا

وقوله[٧]:

بَرَعَـــتْ مَحَاسِـــنُه فجَـــلَّ لهـــا عَـــنْ أَنْ يقـــومَ بوصـــفِها لَفْـــظُ

وقوله [٨]:

إن الكـــــــريمَ إذا رآك ظَلَمْتَـــــــه ذَكَـر الظَلامـةَ بَعْـدَ نَـوْمِ النَّـوُمِ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٤٢.

[٢] نفسه ص ١٤٥ – ١٤٦.

[٣] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٥ –١٠٦.

[٤] نفسه ص ١٠٧ – ١٠٨.

[٥] نفسه ص ١٢٥.

[٦] نفسه ص١٢٩.

[٧] نفسه ص ١٣٣.

[٨] نفسه ص ١٧١ .

وقوله[١]:

يـــا ابـــن الخلائـــف وابـــن كـــل مبـــاركٍ رأس الـدعائم سـابق الأغصـانِ

والكامل أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله إن أريد به الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقة، حلواً عذباً مع صلصلة كصلصلة الأجراس ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقاً أو خفيفاً شهوانياً[٢].

والكامل من البحور التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء، ويكثرون النظم منها، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية[٣].

وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أريد به جد أو هزل، ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال من الأحوال . ولهذا السبب فإن الشعراء المتفلسفين أو المتعمقين في الحكمة وما إلى ذلك من ضروب التأمل، قل أن يصيبوا فيه أو ينجحوا، وذلك بأن الحكمة والتأمل مهما كانت مناسبتهما – يحتاجان إلى هدوء وتؤدة، وفي النظم بخاصة يحتاجان لأن يكون نغم الوزن شيئاً منزوياً يصل إلى الذهن من غير ما جلبة ولا تشويش وكأنه إطار للكلام الموضوع فيه، لا جزء هام من صورته ورسمه[٤].

فابن المعذَّل وجد في بحر الكامل ما يلائم أغراضه من فخامة ولين ورقة وعاطفة .

نظم ابن المعذَّل في مجزوء الكامل ونسبته ٣.٩% وهو أصلح من تامه في موضوعات الرقة واللين لما فيه من عبرة شجية مطربه، وعليه القصيدة الدعديه المشهورة:

هـــــل بـــــالطُّلولِ لســـــائِل رَدُّ أم هـــل لهـــا بِـــتَكلُّم عَهْـــدَ[٥]

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٨٤ .

[٢] المرشد ٢٦٤/١ .

[٣] أنظر موسيقى الشعر ص ٢١٠ .

[٤] المرشد ٢٦٤/١ .

[٥] شرح تحفة الخليل ص ١٧٧

وهذه بعض القصائد والمقطوعات التي نظمها ابن المعذَّل في مجزوء الكامل يقول[١]:

وَهَـــتَكْنَ ثِنْـــيَ الليـــل عـــن بـــيض السَّـــوالفِ والصِّـــفاحِ

ويقول[٢]:

مَـــنْ لَـــمْ يُـــرِدْكَ ولـــم تُـــرِدْهُ لـــم يســـتفدْك ولـــم تُفِـــدْهُ

ويقول[٣]:

ظَبَـــــيٌ كـــــأنَّ بِخَصْـــــرِهِ مـــن رِقَّـــةٍ ظَمـــأً وجُوعـــا

ويقول[٤]:

المـــــوتُ عِنْـــــدي والفِـــــراقُ كلاهمـــــا مـــــا لا يُطـــــاقُ

ويقول[٥]:

لمَّـــا رَأَيْـــتُ البَـــدْرَ فـــي أُفـــقِ السَّـــماءِ وَقَـــد تَعلَّـــي

ويقول[٦]:

لـــي حبيـــب أنـــا أهـــوا هُـــ علـــى مـــا كـــان فيـــهِ

والملاحظ أن أكثر القصائد التي نظمها ابن المعذَّل في مجزوء الكامل غزلية رقيقة ذات نبرة شجية مطربة، وانفرد شاعرنا بنظمه في الحكمة بالرغم من قول صاحب المرشد: [إن الشعراء المتفلسفين أو المتعمقين في شعر الحكمة قل أن يصيبوا فيه أو ينجحوا] .

ولعل الحكمة ها هنا تبدو ساذجة من الحقائق المفهومة بداهة، وليس فيها عمق الفكرة، ولذا فقول صاحب المرشد جدير بالإتباع هنا.

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ٩٤ .

[٢] نفسه ص ١٠٢.

[٣] نفسه، ص ١٣٥ .

[٤] نفسه ص ١٤٥.

[٥] نفسه ١٥٣ .

[٦] نفسه ص ١٩٣.

البحر الثامن الذي نظم فيه ابن المعذَّل هو بحر السريع ونسبته من جملة شعره ٥% رغم أن السريع من أقدم بحور الشعر العربي غير أن ما روي منه في الشعر القديم قليل ... والحق أننا حين ننشد شعراً من هذا البحر نشعر بإضطراب في الموسيقى لا تستريح إليه الآذان إلا بعد مران طويل، وذلك لقلة ما نظم منه[١].

ومما جاء به من بحر السريع قوله[٢]:

النـــاس أشـــكال فكـــل أمـــرىءٍ يعرفـــــه النـــــاس بمنتابـــــهِ

وقوله[٣]:

لمَّـــا رأيـــتُ الـــديك قَـــدْ صـــاحا والكوكـــب الـــدري قـــد لاحـــا

وقوله[٤]:

ويلـــي علـــى أغيـــدٍ ممكـــورِ وســـــاحرٍ لـــــيس بمســـــحورِ

وقوله[٥]:

طَـــالَ علـــى البصـــرةِ إشـــفاقي وبِـــتُّ مِـــنْ خَـــوْفٍ علـــى سَـــاقِ

والسريع من الأبحر المتحاماة لأن آخر أجزائه ثقيل جداً ودندنته أشبه شيء بدندنة القدح من القرع تضربه مكفأ على الماء . ولذلك فالناظم فيه يحتاج إلى البطء والتأني، وقد يوقعه هذا في التكلف والتقعر إن لم يلائم بين أغراضه ونغماته، ولعل هذا الوزن في أولياته عدل به عن الرجز ليناسب الحداء بالإبل المحملة وهي تهيع بأعناقها في الصحارى الأماريت[٦].

وقرب السريع من السجع نزل به عن مرتبة الأوزان القصار من حيث الإطراب وعن مرتبة الطوال من حيث جلال النغم. ولذلك فإن الناظمين فيه مما يستعينون بالقوافي الوئاد الثقال من قوافي المترادف ليضيفوا عليه ثوباً من الأبهة[٧].

---

(١) أنظر موسيقى الشعر ص ١٠١ – ١٠٢ .

(٢) ديوان ابن المعذَّل ص ٨٥–٨٦.

(٣) نفسه، ص ٨٥ – ٨٦ .

(٤) نفسه ص ٩٥ .

(٥) نفسه ص ١١٦ .

(٦) المرشد ١٥٦/١ .

(٧) المرشد، ص ١٦٠ .

ورغم ما ذكر آنفاً فإن شاعرنا ابن المعذَّل قد أكثر من النظم فيه، ونحسُّ في بعض قصائده نغمة السجع كما في قوله[١]:

أســـقَمَ قلبـــي ثـــم لـــم يبـــره عَاقَـــدُ زُنَّـــارٍ علـــى خَصْـــرِهِ

وقوله[٢]:

مِثْلُـــك فـــي الأرضِ وبـــي غَفْلـــةٌ حتَّـــى كـــأنِّي لَسْـــتُ فـــي الأَرضِ

وقوله[٣]:

يَـا قَمـراً قَـدْ صَـارَ مَثْـلَ الهِـلالِ مِـنْ بَعْـدَ مَـا صـيَّرني كـالخِلالْ

وقوله[٤]:

لـــو جَـــادَ بالمـــالِ أَبـــو رَهْـــمٍ كجُـــــودهِ بالأُخْـــــتِ والأمِّ

أتى بحر المديد في المرتبة التاسعة ونسبته ٣%. قال ابن المعذَّل[٥]:

يـــا بـــديعَ الـــدَّلِ والغَـــنَجِ لـــك ســـلطانٌ علـــى المُهَـــجِ

وقال[٦]:

عاشـــق أهـــدى لحبَّتـــه حـــين خـــاف الصـــدَّ والملَـــلا

وقال[٧]:

أشـــتهى فـــي المقلـــة القـــبلا لا كثيـــراً يشـــبه الحـــولا

والمديد بحر اعترف أهل العروض بقلة المنظوم فيه وعللوا هذا في بعض كتبهم بأن فيه ثقلاً ...[٨]، والمديد وزن قديم جداً هجره الشعراء وأهملوا النظم منه، ذلك لا نكاد نرى شاعراً قديماً قد نظم منه ما يستحق الذكر إلا تلك الأبيات التي تنسب للمهلهل بن ربيعة:

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١١٨ .

[٢] نفسه ص ١٢٩ .

[٣] نفسه، ص ١٦٥ .

[٤] نفسه ص ١٧٥ .

[٥] نفسه ص ٩٣ .

[٦] نفسه ص ١٦٢-١٦٣ .

[٧] نفسه ص ١٦٥ .

[٨] موسيقى الشعر ص ١١١ .

يـــا لبكـــرٍ أنشـــدوا لـــي كليبـــاً يـــا لبكـــرٍ أيـــن أيـــن الفـــرارُ[١]

وهو بحر فيه صلابة ووحشية وعنف تناسب هذا النوع من الشعر ولا يستبعد أن تكون تفعيلاته قد اقتبست في الأصل من قرع الطبول التي كانت تدق في الحرب وهو على بساطة نغمه يعسر على الناظم، لأن تفعيلاته تطلب كلمات متقطعة، ولعل هذا العسر جعل الشعراء يتحامونه، ثم أن مثل هذا التقطع في ذاته شيء لا يقبله الذوق إلا في الحالات النادرة، كموقف الغضب الشديد الذي يسبب التمتمة والعي[٢].

ركب ابن المعذَّل بحر المديد بالرغم من تحامي الشعراء له وكانت تفعيلاته متقطعة نحو [يا] [بديع] [الدل] [والغنج] ويتضح مما ذكرنا أن ابن المعذَّل لم يكثر منه وهذا يفسر تحامي الشعراء له.

يأتي بحر المنسرح في المرتبة العاشرة ونسبته ٢.٥% وهو بحر نظم منه القدماء قليلاً، وإن كثرت قصائده في عصور العباسين وتنوع وزنه بعض التنوع[٣] والمنسرح ربما ينبو عنه ذوق الحضر الآن، وربما كان المتحضرون ببغداد لا يميلون إليه . ولكن هذا لا يقدح في زعمنا أنه ذو [لون جنسي] فالبدو كالحضر يحسون بالشهوة والكبت وقد كان هذا من أنغام الرقص الشهواني عندهم[٤] وإذا صورنا .... فإننا لا نملك إلا أن نصور المنسرح بصورة الراقص المتكسر أو المغني المخنث[٥] وإذا بحثت في الشعر الجاهلي لم تجد المنسرحيات فيه تخرج **عن أحد غرضين:** الرثاء المراد به النوح والنقائض[٦].

ومن القصائد أو المقطوعات التي نظمها ابن المعذَّل في بحر المنسرح قوله[٧]:

أحلْـــتَ عمـــا عهـــدتَ مـــن أدبِـــك أم لـــك مُلكـــاً فتهـــتَ فـــي كتبـــكْ؟

وقوله[٨]:

---

[١] موسيقى الشعر، ص ١١١ .

[٢] المرشد ٧٧/١-٧٨ .

[٣] موسيقى الشعر ص ١٠٧ .

[٤] المرشد ٩٣/١ .

[٥] نفسه ١٨٨/١ .

[٦] نفسه ١٨٨/١ .

[٧] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٠ .

[٨] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٥١ .

لـــي صَـــاحِبٌ فـــي حَديثـــهِ البَركـــهْ يَزيـــدُ عِنْـــدَ السُّـــكُونِ والحَركـــه

وقوله[1]:

أَبْـــــدَى لـــــه إلفـــــهُ تدلّلَـــــهُ وشـــــفّه شـــــوقُهُ فـــــأنَّ لـــــهُ

وقوله[2]:

إنَّ أبـــــا رُهْـــــمَ فـــــي تكرّمـــــه بلّغـــــه الله منتهـــــى هِمَمِـــــهْ

لم يقتصر شاعرنا ابن المعذَّل في ركوبه بحر المنسرح على الرثاء كما كان مألوفاً عند الشعراء، بل نظم في الإخوانيات [لي صاحب في حديثه البركة ...]، والعتاب كما في [أحلت عما عهدت من أدبك ...]، والغزل [أبدى له إلفهُ تدلُّلهُ...]، والهجاء [إن أبا رهم في تكرمه ...]، ولكن هذه النماذج من شعره لا نكاد نجد فيها قوة في التعبير.

جاء بحر الرمل في المرتبة الحادية عشرة ونسبته ٦.% ومن الأبيات التي نظمها ابن المعذَّل في هذا البحر قوله[3]:

زَعَمَـــتْ عَـــاذِلتي أنَ ِي لمـــا حَفِـــظَ البُخْـــل مـــن المَـــال مَضِـــيعُ

وقوله[4]:

ومِـــــرِاضٍ مُرْهَفـــــاتٍ فَتَكـــــتْ بـــــي وَحَاشَـــــاكَ ولا مِثْـــــلَ الكَحَـــــلْ

ففي الرمل رقة وعذوبة مع ما فيه من الأسى – ولذلك أكثر منه الغزلون أمثال عمرو بن أبي ربيعة وقد تعطاه بعض العراقيين الذين كانوا ينظمون في الملاحم والأحداث والشعر الغزلي يناسب الرمل أكثر من هذا النوع الملحمي لأن ذكر الملاحم – لا سيما في معرض المفاخرة والمنافرة يحتاج إلى رنة قاسية غليظة وفحوى معاني الفخر وما إليه تتنافر مع رقة الرمل[5].

---

[1] نفسه ص ١٥٤ .

[2] نفسه ص ١٧٧ .

[3] نفسه، ص ١٣٤ .

[4] نفسه ص ١٦٦-١٦٧ .

[5] المرشد ١٤٠/١ .

ما ذكر آنفاً يفسر عدم إكثار شاعرنا ابن المعذَّل من بحر الرمل عدا خمسة أبيات .

نظم ابن المعذَّل في مجزوء الرمل وهو بحر رقيق راقص، لذلك أكثر شعراء الغزل والخمر والمجون من النظم فيه، ولم يحفل به من ينزع منهم إلى موضوعات الجد من مدح وحماسة، أمثال أبي الطيب المتنبئ وأبي تمام والفرزدق ولهذا السبب عول عليه أصحاب الموشحات إذ وجدوه أكثر البحور ملاءمة لهذا اللون الجديد من الشعر ولأغراضه التي لم تتجاوز في أغلب الأحيان موضوع الغزل والخمر ووصف الطبيعة ومجالس الإنس[١].

ومن القصائد والمقطوعات التي نظمها ابن المعذَّل في مجزوء الرمل قوله[٢]:

بمجاري فلك الحَسْنِ الذي في وجَنَاتِكْ

وقوله[٣]:

أيُّها الرافعُ في المسجد بالصوتِ العقيرهْ

وقوله[٤]:

مـــا لَقينـــا مِـــنْ أخـــي تَـــيْمٍ ومِـــنْ إرْجَـــافِ قَوْمـــهِ

وقوله[٥]:

نَسَـــبُ الجَمَّـــاز مَقْصَـــوٌر إليـــهِ مُنْتَهـــاهُ

ولعل مجزوء الرمل موافق إلى حدٍ ما ميول شاعرنا ابن المعذَّل من ذكر للغزل والغناء والموضوعات الخفيفة عامة .

البحر قبل الأخير ترتيباً بين البحور التي طرقها ابن المعذَّل بحر الهزج ونسبته لا تتعدى ٦.% حيث أتى في موضعين أثنين فقط . الأول قوله[٦]:

وفـــي النـــاموس ذو النـــامو س قـــد أخشـــع تَجْنيحَـــهْ

وقوله[٧]:

---

(١) شرح تحفة الخليل ص ٢١٩ .

(٢) ديوان ابن المعذَّل ص ٩٠-٩١ .

(٣) نفسه ص ١٠٧ .

(٤) نفسه ص ١٧٦ .

(٥) نفسه ص ١٩٤ .

(٦) نفسه ص ٩٤ .

(٧) ديوان ابن المعذَّل، ص ١١٧ .

أيـــــا قَاضـــــيةَ البصْـــــر ة قُـــــومي فارقصـــــي خَطْـــــرهْ

والهزج بحر ذو نغمة تتطلب قولاً مرسلاً طيِّعاً تسيطر عليه فكرة واحدة يتغنى بها الشاعر في غير تدقيق وتحقيق وتعقيد والتفاف . ويصلح للقصص الخفيف الذي يراد منه الإمتاع وأحسن أسلوب يرد فيه ما كان عماده على التعجب والاستثارة والتكرار وسرد الكلمات المتشابهة في الوزن والجرس[١].

ولعل الهزج أصلح الأوزان للقصص التعليمي المدرسي ذي الحوار لا سيما إن وفق الناظم فجمع سهولة الألفاظ وسلاستها ووضوح معناها وحلاوة جرسها[٢].

وكل ما تقدم يفسر عدم إكثار ابن المعذَّل منه عدا بضعة أبيات .

وآخر بحر نظم فيه ابن المعذَّل هو بحر المجتث ونسبته ضئيلة وهي ٠.٤% وقد أتى في موضع واحد فقط يقول[٣]:

قَـــدْ أحـــدثَ النـــاسُ ظَرْفـــاً يَزْهُـــو علـــى كـــلِّ ظـــرْفِ

وهو بحر لا نكاد نظفر منه بنسبة تذكر عند القدماء، وحتى المحدثون ركبوه قليلاً جداً، ولذا لم يكثر منه شاعرنا ابن المعذَّل .

مما تقدم يبين أن شاعرنا ابن المعذَّل أكثر من بحر الرجز لأنه وزن شعبي وجد فيه الشاعر مطية ذلولاً لجُلِّ أغراضه لا سيما وأن ذلك الشعر كان يلقي في مجالس الإنس والطرب في بيئة البصرة الحضرية آنذاك . ثم أعقبه بحر الخفيف وتأخرت بحور الجد والفخامة كالطويل والبسيط والوافر والكامل، لأن أغراض الجد والفخامة كالمديح والفخر ونحوهما تأخرت رتبة عن أغراض الهجاء والوصف والغزل وهذا سر تأخر الطويل والبسيط والكامل عنده.

تبدو البحور الشعرية التي نظم فيها ابن المعذَّل موافقة للأغراض التي تناولها ولا نكاد نجد فيها شذوذاً أو خروجاً على القاعدة التي نص عليها النقاد في توافق الأغراض مع البحور التي نظم فيها .

---

[١] المرشد ١١٤/١ .

[٢] نفسه، ١١٥/١ .

[٣] ديوان ابن المعذَّل ص ١٤٣ .

ولعل الشيء الوحيد الذي لا نسلّم به هو ارتباط بحر الرجز بالفحولة من عدمه، فابن المعذَّل نظم في الرجز جُلّ شعره، وبعد ذلك لا نراه يؤخره، فهو من فحول شعراء عصره، كما ذكرنا ذلك من قبل .

المطلب الثاني

القافية:

القافية من الأشياء التي يقوم عليها الشعر بعد النية[١] وهي ضرورية لاستقامة الشعر، وهي من العناصر الأولى في إيقاعه، وقد تم اكتشافها ومعرفتها قبل التوصل إلى معرفة الوزن، وهذا الترتيب يتفق مع الطبيعة، لأن إدراك التماثل بين كلمتين في مقطع أول أو أخير أيسر كثيراً من إدراك التماثل في النسب بين مجموعتين من المقاطع[٢] .

والقافية قد اختلفوا فيها، فقال الخليل: (هي من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن)، وقال الأخفش: (هي آخر كلمة في البيت أجمع، وإنما سميت قافية لأنها تفقو آخر الكلام، أي تجيء في آخره، ومنهم من يسمي البيت قافية، ومنهم من يسمي القصيدة قافية . ومنهم من يجعل حرف الروى هو القافية)[٣] .

والجيد المعروف من هذه الوجوه، قول الخليل والأخفش. فقول امرئ القيس:

مِكــرٍّ مِفــرٍّ مُقْبــلٍ مُــدْبرٍ معــاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

القافية من هذا البيت عند الخليل [من علٍ] وعند الأخفش [عل] وحده، فقس على هذا جميعه[٤] .

وبعد فقد وجدت القافية اهتماماً كبيراً من نقاد الشعر قديمهم وحديثهم فأبانوا جيدها من رديئها وأنواعها وما تقوم عليه ما يدل على مكانتها في الشعر .

ولنعرض على ضوء ما تقدم لأنواع القوافي عند شاعرنا ابن المعذَّل:

أولاً : القوافي الذلل :

وحروفها : الباء، التاء، الراء، العين، الميم، الياء، النون، الكاف، الفاء، السين، الجيم، الحاء، الدال واللام[٥].

---

[١] ابن رشيق القيرواني : العمدة ١١٩/١.

[٢] د. شكري محمد عياد : موسيقى الشعر العربي، طبع دار المعرفة – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٨، ص ١٠٢ .

[٣] الخطيب التبريزي [أبو بكر زكريا يحي بن علي] الوافي في العروض والقوافي، تحقيق : عمر يحي وفخر الدين قباوة، طبع دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ص ٢٢٠ .

[٤] المرشد ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

[٥] نفسه ٤٤/١ .

تأتي الراء في مقدمة القوافي الذلل التي جاء بها ابن المعذَّل كقوله[١]:

هَريقــاً دمــا إنْ أُنْفِــذَتْ عبــره تجــري أبى الصبر إنَّ الرزءَ جَلَّ عنِ الصبرِ

وقوله[٢]:

غَــدَرَ الزمــانُ وليتــه لــم يَغْــدِرِ وحَـدَا بشـهر الصّـوم فِطْـر المُفْطـرِ

وقوله[٣]:

بَاكَرَتْــهُ الحُمَّــى وراحــتْ عليــه فكسـتْه حُمَّـى الـرواحِ بَهَـارا

يلي الراء اللام كما في قوله[٤]:

رَأَتْ عَــدَمي فاســتراثتْ رَحيلــي ســبيلك أنَّ سِــواها ســبيلي

وقوله [٥] :

فلــو زَيَّــنَ الحســن مــن وجهــه بهجْــر الصــدود ووصــل الوصــالِ

وقوله [٦]:

أنْــتَ بَــيْنَ اثنتــين تَبْــرزُ للنَّــا س وكلْتَاهمــا بوجــهٍ مُــذَالِ

ثالث الحروف ترتيباً في قوافي شعر ابن المعذَّل النون، والنونيات، الجياد تعد على الأصابع[٧]: قال[٨]:

القلــبُ بعــدكِ لــم يســكنْ إلــى ســكنِ والعينُ مذ غِبت لم تنظر إلى حَسَنِ

وقال [٩] :

أَطَــاعَ الفَريضــةَ والسُّــنَّةَ فَتَــاه علــى الإنــس والجِنَّــهْ

وقال[١٠]:

يــا ابــن الخلائــف وابــن كــل مبــاركٍ رأس الــدعائم ســابق الأغصــانِ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ، ص ١٠٣ .
[٢] نفسه ص ١٠٧ .
[٣] نفسه ص ١١٨ .
[٤] نفسه ص ١٥٧ .
[٥] نفسه ص ١٦٧ .
[٦] نفسه ص ١٦١ .
[٧] المرشد ٤٤/١ .
[٨] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٨٣ .
[٩] نفسه ص ١٨٥ .
[١٠] نفسه ص ١٨٤ .

وتأتي الباء تالية للنون، يقول ابن المعذَّل[١]:

قـد كتبـتَ الكتـاب ثـم مضـى اليـوم ولـم أدرِ مَـا جـوابُ الكتـابِ

ويقول [٢]:

النـاس أشـكال فكـل أمـرىءٍ يعرفـه النـاس بمنتابـهِ

ويقول [٣]:

أمـا تـرى الشـمسَ قـد لانـتْ عريكتهـا وقـد تورّقـتِ الأشـجارُ والقضُـبُ

وتلـي البـاء القـاف، والقـاف حـرف متحـامى عنـه، وجيـاده ليسـت كثيـرة ومقطوعات القاف الجيدة أكثر من طوالها الجيِّدة[٤]:

قال ابن المعذَّل[٥]:

لسـانُ الهـوى يَنْطِـقُ وَشـاهِدهُ يَصْـدُقُ

وقال [٦] :

قَدْ أغتدي والشَّمْسُ في أرْواقِها
لم تأذنْ السُّدفةُ في إشراقِهَا

وقال [٧] :

المـوتُ عِنْـدي والفِـرا قُ كلاهمـا مـا لا يُطـاقُ

وتأتي الميم في مرتبة سادسة، وهي من أحلى القوافي لسهولة مخرجها وكثرة أصولها في الكلام من غير إسراف[٨]:

ومن قوافي ابن المعذَّل الميمية قوله[٩]:

تُكلِّفُنـي إذْلالَ نفسـي لِعزِّهـا وهـانَ عليهـا أنْ أهـان لِتُكْرَمـا

---

[١] ديوان ابن ا لمعذَّل ص ٧٩ .
[٢] نفسه ص ٨٥ .
[٣] نفسه ص ٨٦ .
[٤] أنظر المرشد ٤٧/١ .
[٥] ديوان ابن المعذَّل ص ١٤٤ .
[٦] نفسه ١٤٦ .
[٧] نفسه ص ١٤٥ .
[٨] المرشد ١٤٦/١ .
[٩] ديوان ابن المعذَّل ص ١٦٩ .

وقوله[١]:

كـــم صـــغير جبرتـــه بعـــد يـــتم وفقيـــر نَعَشْـــتَهُ بعـــد عـــدمِ

وقوله [٢]:

يـــا مـــن تُركـــتَ بصـــخرةٍ صَـــمَاءَ هامتـــه أميمـــهْ

وتلي الميم العين، وفي العين شيء من عسر بالنسبة إلى غيرها من الذلل[٣]

ومن عينيات ابن المعذَّل قوله[٤]:

زَعَمَـــتْ عَـــاذِلتي أنَ ِي لمـــا حَفِـــظَ البُخْـــل مـــن المَـــال مَضِـــيعُ

وقوله [٥]:

أقَبْـــرَ أبـــي أُميَّـــة لَـــوْ عَـــلاه حملـــتَ إذن لضِـــقْتَ بـــه ذِرَاعـــا

وقوله[٦] :

يا رُبَّ ذي إفكٍ كثيرٍ خُدعَهْ

مستجهلِ الحِلْمِ خبيثٍ مَرْتَعَهْ

ثم تأتي الدال في مرتبة ثامنة بين قوافي ابن المعذَّل كما في قوله[٧]:

قـــد نزلنـــا بروضـــةٍ وغَـــديرٍ وهجرنـــا القصـــرَ المنيـــفَ المشـــيدا

وقوله [٨]:

أقـــول وجـــنحُ الـــدجى ملبَّـــدُ وللیـــل فـــي كـــل فـــجٍّ يـــدُ

وقوله [٩] :

ســـــالت مســـــايل عارضـــــهْ ـــــيهِ بنفســـــجاً فـــــي وَرْدِهِ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ١٧٠ .

[٢] نفسه ص ١٧٣ .

[٣] المرشد ١٤٦/١ .

[٤] ديوان ابن المعذَّل ص ١٣٤ .

[٥] نفسه ص ١٣٥ .

[٦] نفسه ص ١٣٦ .

[٧] نفسه ص ٩٦ .

[٨] نفسه ص ٩٧ .

[٩] نفسه ص ٩٨ .

وتأتي التاء تالية للدال، يقول ابن المعذَّل[١]:

هـــــــو والله منصـــــــف زوجـــــــه زوج زوجتـــــــهْ

وقوله[٢]:

أُحِـــــبُّ بُنيّتـــــي حُبَّـــــاً أراه يزيـدُ علـى مَحَبَّـاتِ البنـاتِ

وقوله[٣]:

بمجاري فلك الحَسْنِ الذي في وَجناتِكْ

عاشر الحروف ترتيباً في قوافي شعر ابن المعذَّل السين، وهي قليلة الأصول في المعاجم، وأصولها أقل عدداً من أصول الفاء أو القاف، ومع ذلك ففيها جيِّد كثير[٤]، منها قول ابن المعذَّل[٥]:

إنَّ السُّـــــرورَ تَصـــــرَّمتْ أيامُـــــه مِنِّي وفارقني الحبيبُ المؤنسُ

وقوله[٦]:

دَعُـوا الإسـلامَ وانتحلـوا المجوسـا وألقَـوا الـزَّيْطَ واشـتملوا القُلُوسـا

وتجيء الحاء في المرتبة الحادية عشر بين قوافي ابن المعذَّل والحاء المهملة دون الجيم في العسر وجيادها أكثر .... ومقطوعات الحاء أحسن من مطولاتها، على وجه الإجمال وأجود وأحق بالاختيار[٧]، ومن ذلك قوله[٨]:

وَهَـــتَكْنَ ثِنْـــيَ الليـــل عـــن بـــيض السَّـــوالفِ والصِّـــفاحِ

وقوله[٩]:

لمَّـا رأيـتُ الـديك قَـد صـاحا والكوكـبَ الـدريَّ قـد لاحـا

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٩ .

[٢] نفسه ص ٩٠ .

[٣] نفسه ص ٩٠ .

[٤] المرشد ٥٤/١ .

[٥] ديوان ابن المعذَّل ص ١٢٥ .

[٦] نفسه ص ١٢٦ .

[٧] المرشد ٥١/١-٥٤ .

[٨] ديوان ابن المعذَّل ص ٩٤ .

[٩] نفسه ص ٩٥ .

ثم تأتي الفاء عقب الحاء والفاء صعبة جداً ... مع إن أصولها في المعاجم أكثر من أصول القاف، ومع عسرها ففيها جيِّد كثير[١]، يقول ابن المعذَّل[٢]:

لَـــنْ تَلْبســـوا مَنْطقـــي بمشـــكلةٍ إلاَّ عَـــنْ الأصـــمعيِّ أو خَلَـــفْ

ويقول[٣]:

صـــــرفتُ هـــــواك فانصـــــرفا ولـــــم تَـــــرْعَ الـــــذي ســـــلفا

وتجيء الياء في المرتبة الثالثة عشر بين قوافي ابن المعذَّل فقال[٤]:

رَأَتْـــــا أم عَمْـــــروٍ فازدَرَتْـــــا وَنقْـــضُ الحَـــرْبِ مِنْظـــرُه زَرِيُّ

والهمزة قريبة من القوافي الذلل لكثرة ما ورد فيها من الكلمات ذوات الألف الممدودة للتأنيث والإلحاق، هذا زيادة على اللواتي فيهن الهمزة الأصلية، ومع هذا فهي ليست من الذلل حقاً. والشعراء يتنكبون طريقها والسبب في ذلك هو أن مخرجها فيه قبح. ألا ترى أن الهمزات الممدودة للتأنيث كانت في الأصل هاءات أو تاءات تأنيث، ثم مال بها كسل المتكلمين إلى جهة الألف، ثم بالغ بعضهم حتى مد الألف حتى وصل بها إلى النهاية وهي همزة[٥]، وهذا كله يقوي حجتنا في أن الهمزة حرف هجين ويزيد الحجة قوة ما نراه عند فصحاء العرب من استعمال التسهيل ومن الامتناع عن تحقيق الهمزتين المتجاورتين ذواتي الحركة الواحدة. وما دام أمر الهمزة كذلك فليس ببدع أن نجد الشعراء قد تنكبوها في الكثير الغالب[٦].

ومما جاء به شاعرنا ابن المعذَّل من الهمزة قوله[٧]:

يَهْوى البَقَاءَ رَهْبَةَ الفَناء

وقوله[٨]:

مـــا إن ذكرتـــك فـــي قـــوم أجالســـهم ألا تجـــــدد مـــــن ذكـــــراك بلـــــوائي

---

(١) المرشد ٤٧/١ .

(٢) ديوان ابن المعذَّل ص ١٤٢ .

(٣) نفسه ص ١٤٢ .

(٤) نفسه ص ١٩٧ .

(٥) المرشد ص ٦٤/١ .

(٦) نفسه ص ٦٥/١ .

(٧) ديوان ابن المعذَّل ص ٧٥ .

(٨) نفسه ص ٧٥ .

والجيم حرف خداع، ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قِبَله العذاب، والمتخيرات فيه قليلة جداً. وأكثر ما استعملت الجيم عند القدماء في الوافر والرجز والطويل وجاء شيء منها في البسيط[١].

ومما جاء به شاعرنا ابن المعذَّل من قوافٍ جيمية قوله[٢]:

وخَيْمـــةِ نـــاطورٍ تُحَـــفُ بروضـــةٍ يحييك منها وردها والبنفسَجُ

أما الكاف فقد جاءت في قوله[٣]:

لـــي صَـــاحبٌ فـــي حَديثـــهِ البَركـــهْ يَزيـــدُ عِنْـــدَ السُّـــكُونِ والحَركـــهْ

وقوله[٤]:

أمـــام الهـــدى أدركْ وأدرك وأدركِ وَمُـــر بـــدماءِ الـــرُّخجيَّين تُسْـــفَكِ

ثانياً : القوافي النفر :

وهي الصاد، الزاي، الضاد، الطاء، الهاء الأصلية، والواو [٥]. أتى شاعرنا ابن المعذَّل بالقوافي النفر في ثلاثة مواضع هي الهاء، الضاد، الطاء. ومما جاء به من قوافٍ هائية قوله[٦]:

يـا مَـنْ فَـدَتْ نَفْسَـه نَفْسـي وَمـنْ جَعِلَـتْ لَـهُ وِقَـاءً لِمـا يَخْشـى وأَخْشَـاهُ

ومن القوافي الطائية قوله[٧]:

وعـــازبٍ بَـــاكَرهُ القُـــرُّ الفُـــرطْ تَخايـــلَ النبـــتُ بـــه الجَعْـــدُ القَطِـــطْ

أما الضاد فقد جاءت في قوله[٨]:

مِثْلُـــك فـــي الأرضِ وبـــي غَفْلـــةٌ حتَّـــى كـــأنِّي لَسْـــتُ فـــي الأَرضِ

---

(١) المرشد ٤٩/١ .

(٢) ديوان ابن المعذَّل ص ٩٢ .

(٣) نفسه ص ١٥١ .

(٤) نفسه ص ١٥١ .

(٥) المرشد ٥٩/١ .

(٦) ديوان ابن المعذَّل ص ١٩٢ .

(٧) نفسه ص ١٣١ .

(٨) نفسه ص ١٢٩ .

ثالثاً : القوافي الحوش:

وهي الثاء، الخاء، الذال، الشين، الظاء والغين وكلها قد ركبها الشعراء فلم يجيئوا إلا بالغث[١].

أما ابن المعذَّل أتى بها في موضعين هما الظاء والغين، ومما جاء به في الغين قوله[٢]:

لعمــرُك مــا سَــبَّ الأميــرُ عَــدوه ولكنَّمــا سَــبَّ الأميــرَ المبلــغُ

وأتى بالظاء في قوله[٣]:

بَرَعَــتْ مَحَاسِــنُه فجَــلَّ لهــا عَــنْ أَنْ يقــومَ بوصــفِها لَفْــظُ

رابعاً : القوافي المقيدة :

جاء ابن المعذَّل بالقوافي المقيدة في أكثر من عشرين موضع من شعره، وفي إكثاره منها يوضح أن الشاعر العباسي يخالف الشاعر القديم الذي يكثر من الروى المكسور والمضموم والمفتوح .

وهذا شيء مما جاء به ابن المعذَّل من قوافٍ مقيدة، يقول[٤]:

أحلْــتَ عمــا عهــدتَ مــن أدبِــك أم لَـك مُلكـاً فتهـتَ فـي كتبـكْ

وقوله[٥]:

بمجاري فلك الحَسْنِ الذي في وَجَناتِكْ

وقوله[٦]:

هَجَــرتُ الهَــوى أيَّمــا هَجْــرَه وعِفْــتُ الغــواني والخَمْــرَهْ

وقوله[٧]:

يا رُبَّ ذي إفكٍ كَثيرٍ خُدَعهْ

وقوله [٨]:

وعــازبٍ بَــاكَرهُ القُــرُّ الفُــرطْ تَخايــلَ النبــتُ بــه الجَعْــدُ القَطِــطْ

---

(١) المرشد ٦٣/١ .

(٢) ديوان ابن المعذَّل ص ١٤١ .

(٣) نفسه ص١٣٣.

(٤) نفسه ص ٨٠ .

(٥) نفسه ص ٩٠ .

(٦) نفسه ص ١١٠ .

(٧) نفسه ص ١٣٦ .

(٨) نفسه ص ١٣١ .

وهكذا أتى ابن المعذَّل بقوافيه الذلل والنفر والحوش ثم أكثر من القوافي المقيدة.ومهما يكن من اختلاف بين قوافي الشعر وأنواعها ألا أنها لا تخرج عن حديث ابن طباطبا العلوي : [قوافي الشعر كلها تنقسم على سبعة أقسام: إما أن تكون على فاعِل مثل كاتِب وحاسِب وضارِب، أو على فِعال مثل كِتاب وحِساب وجِواب أو على مِفْعَل مثل مَكْتَب ومَضْرَب ومَرْكب، أو على فَعِيل مثل حَبيب وكَئيب وطَبيب، أو على فَعَل مثل ذَهَب وحَسَب وطَرَب، أو على فَعْل مثل ضَرْب وقَلْب وخَطْب، أو على فُعَيْل مثل كُلَيب ونُصَيب وعُذَيب، على هذا حتى تأتي الحروف الثمانية والعشرين، فمنها ما يطلق ومنها ما يقيد ثم يضاف كل بناء منها إلى هائها المذكر أو المؤنث فيقول كاتبة أو كاتبها، أو مركبة أو مركبها، أو حبيبة أو حبيبها، أو ذهبة أو ذهبها، أو ضربة أو ضربها، أو كليبة أو كليبها، ويتفق هذا في الرجز. فهذه حدود القوافي .... فأدرها على جميع الحروف وأختر من بينها أعذبها وأشكلها للمعنى الذي تروم بناء الشعر عليه][1].

وفيما يلي جدول حروف القوافي عند ابن المعذَّل :

الحرف	النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية
الراء	%٢٤.٣	السين	%٢.١
اللام	%١١.٤	الضاد	%١.٦
النون	%١٠.٩	الطاء	%١.٦
الباء	%٨.٣	الحاء	%١.٤
القاف	%٧.٩	الفاء	%١.١
الميم	%٦.٧	الياء	%١.١
العين	%٤.١	الهمزة	%.٩
الدال	%٤	الجيم	%.٩
الهاء	%٣.٦	الكاف	%.٨
التاء	%٣.١	الظاء	%.٦
الغين	٢.٤		

[1] ابن طباطبا العلوي : عيار الشعر، شرح وتحقيق عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، طبع دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢-١٩٨٢م .

حركة حرف الروي:

حرف الروي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، إذا كان حرف الروى دالاً تسمى القصيدة دالية القافية، وإذا كان لاماً تسمى لامية القافية وهكذا ....

مثلاً قصيدة امرئ القيس :

ألآ عِـمْ صَـبَاحاً أيُّهـا الطَّلَـلُ البَـالِي وَهَل يَعِمَنْ مَنْ كان في العُصْرِ الخَالِي

تسمى لامية، لأن حرف الروى فيها لام .

بعد دراستنا لحركة حرف الروى عند شاعرنا ابن المعذَّل تبين لنا أن أكثر الروى عنده هو المكسور ويليه المفتوح ثم المضموم ثم المقيد .

وفيما يلي جدول يوضح النسب المئوية لحركة حرف الروى عند شاعرنا ابن المعذَّل :

الروى	النسبة المئوية
الروى المكسور	%٥٨.٤
الروى المفتوح	%٣٦.٣
الروى المضموم	%٢٤.٢
الروى المقيد	%٧

عيوب القوافي

من عيوب الشعر : الإقواء، الإكفاء، الإيطاء، السناد، التضمين، الإجازة وقد تقال الإجارة والرمل والتحريد[١] .

قال المرزباني في الموشح: وأما الإيطاء فإن يقفي بكلمة ثم يقفي بها في بيت آخر، أنشدني الأصمعي وأبو عبيدة للنابغة الذبياني :

أواضِـعَ البِـيْنِ فـي خَرْسـاءَ مُظْلِمـةٍ تُقيِّـد العَيْـرَ لا يَسْـرِي بِهَـا السَّـارِي

ثم قال فيها أيضاً :

لا يَخْفِضُ الرِّزِّ عَنْ أَرْضٍ ألمَّ بِهضا ولا يَضِـلُّ عَلَـى مِصْـبَاحِهِ السَّـارِي[٢]

---

[١] أنظر : الخطيب التبريزي : الوافي في العروض والقوافي، ص٢٣٩ وما بعدها.

[٢] المرزباني: الموشح ص٥.

وقال ابن رشيق في العمدة : [وأما الإيطاء فهو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد ... وكلما تباعد الإيطاء كان أخف ...][1].

وجاء ابن المعذَّل بالإيطاء في بعض قوافي شعره ومن ذلك قوله[2]:

تَجَـــــاوزَ نِسْـــــبةَ المـــــولى وأصـــــبح يـــــدَّعي العَربـــــا

ثم قال في البيت السادس:

فرشـــــتْ لـــــه مَـــــزيجَ المِسْـــــ كِ والكـــــــــافور والعربـــــــــا

فكرر القافية [العربا...العربا] وهو إيطاء بعيد وكلما تباعد الإيطاء كان أخف.

وقوله[3]:

لمَّـــا رأيـــتُ الـــديكَ قَـــدْ صـــاحا والكوكـــبَ الـــدريّ قـــد لاحـــا

وقوله في البيت الثاني من القصيدة:

والليـــلَ قـــد أســـبل ثَـــوبَ الـــدُّجى والـــوَرْدَ والخيـــريَّ قـــد لاحـــا

حيث كرر الشاعر القافية في قوله [قد لاحا ... قد لاحا] وهو إيطاء قريب.

وقوله[4]:

لها تثني ولها تَبَارى

وقال في وسطها:

تغبيشةٌ في الغيِّ لا تبارى

وهو إيطاء بعيد.

وقوله[5]:

ومـــا هـــو إلاّ خَلْـــقُ ربِّـــي مُصـــوَّر ولكنَّ بعضَ الناسِ أمْلحُ مِنْ بَعْضِ

ثم قال:

عَشـــيَّةً حيَّـــاني بـــوَرْدٍ كأنَّـــه خُـدودٌ أُضـيفتْ بَعْضُـهنَّ إلـي بَعْـضِ

فكرر القافية [من بعض ... إلى بعض] .

---

[1] ابن رشيق القيرواني : العمدة ١٤٦/١.

[2] ديوان ابن المعذَّل ص ٨٦.

[3] نفسه ص ٩٥.

[4] نفسه ص ١٢١-١٢٢.

[5] نفسه ص ١٢٨.

ومن عيوب القافية عند شاعرنا ابن المعذَّل الإيطاء وهو عيب لا يبخس شاعرنا حقه في التقدم، فالنابغة الذبياني كما ذكرنا من قبل أكثر من الإيطاء في غير موضع من شعره، فلم يمنعه التقدم، ولذا فابن المعذَّل ليس ببدع في هذا.

ومن الخطأ في القافية قول ابن المعذَّل[1]:

أرى النَّـــــــاسَ أُحدوثـــــــةً فكُـــــــوني حَـــــــديثاً حَسَـــــــنْ

ترك اتباع الصفة للموصوف ونصب المفعول به، لأن القافية اضطرته إلى الوقوف عند السكون، فهي قافية مقيدة، والصواب [حسناً] صفة لحديث .

وقوله[2]:

أَمُـــــنُّ علـــــى المُجتـــــدى ومـــــا أُتبـــــع المَـــــنَّ مَـــــنْ

الصواب [وما أتبع المنَّ منَّاً] مفعول ثان للفعل [أتبع].

ومن الخطأ في القافية أيضاً قوله[3]:

وكيـف تَخْشـى شَـهاداتٍ يَقـومُ بهـا ثلاثـــةٌ شـــاهدا زُورٍ ومَجْنـــونِ

والصواب [مجنونُ] بالرفع عطفاً على [شاهدا زور] ولمَّا كانت القصيدة مبنية على حرف روى مكسور أضطر الشاعر لجر [مجنون].

ومجمل القول، نظم ابن المعذَّل شعره الذي بين أيدينا في ثلاثة عشر بحراً وهي على الترتيب : الرجز، الخفيف، الطويل، البسيط، مخلع البسيط، المتقارب، الوافر، مجزوء الوافر، الكامل، مجزوء الكامل، السريع، المديد، المنسرح، الرمل، مجزوء الرمل، الهزج والمجتث . ولم نجد في شعره المجموع لدينا ثلاثة بحور هي: المضارع، المتدارك والمقتضب. ولم يخرج في أوزانه عن ما هو مألوف في الشعر العربي وتبدو البحور الشعرية التي ركبها موافقة للأغراض التي تناولها ولا خروج فيها على قاعدة توافق الأغراض مع البحور الشعرية كما ذكرنا من قبل.

أما القوافي أتى بها ذُللاً ونُفراً وحُوشاً ومقيَّدة، وأكثر قوافيه مكسورة حرف الروى يليها المفتوح ثم المضموم ثم المقيَّد.

أما عيوبها فأبرزها الإيطاء، وقد أشرنا إليه في مواضع آنفة، كما يوجد في قوافيه قليل من الأخطاء لتركه اتباع الصفة للموصوف ونصب المفعول به ونحو ذلك.

---

[1] ديوان ابن المعذَّل ص ١٨٠ .

[2] نفسه، ص ١٨٠ .

[3] نفسه، ص ١٨٧ .

المبحث الرابع

المعجم الشعري:

الهدف من دراسة المعجم الشعري هو معرفة أكثر الكلمات دوراناً على لسان شاعرنا ابن المعذَّل، ولذا أوردت هذه الألفاظ تبعاً لأغراضها التي ذكرت فيها مثل ألفاظ الوصف الغزل، الهجاء، الرثاء، الشكوى، وبعض الألفاظ المعربة وذات الدلالات الإسلامية، وهذه الألفاظ جميعها توضح بيئة الشاعر الحضرية .

ألفاظ الوصف :

[وصف الطبيعة – وصف الخمر – وصف الحُمَّى ووصف الشيب والشباب].

أولاً: ألفاظ وصف الطبيعة:

وهي من أكثر الألفاظ دوراناً على لسان ابن المعذَّل مثل: [الشمس – الروض – النرجس – الشيح والقيصوم] .

الشمس:

ذكر الشاعر لفظها أربع مرات كما في قوله[١]:

أما ترى الشمسَ قد لانتْ عريكتها وقد تورّقتِ الأشجارُ والقضُبُ

وقوله[٢]:

ونَاضِرُ رُمَّانٍ يَرفٌ شَكِيرهُ يَكادُ إذا ما ذَرَّتْ الشمسُ يَقْطرُ

وقوله[٣]:

ورأيتُ قَرْنَ الشَّمْسِ في أُفقِ الغُروب وَقَد تَدلَّي

وقوله[٤]:

قَدْ أغتدي والشَّمْسُ في أرْواقِها

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ٨٦ .

[٢] نفسه ص ١٢٠ .

[٣] نفسه ص ١٥٣ .

[٤] نفسه ص ١٤٦ .

الروض:

المواضع التي ذكر فيها شاعرنا الروض قوله[١]:

وخَيْمـــةِ نـــاطورٍ تُحَـــفُ بروضـــةٍ يحييك منها وردها والبنفسَجُ

وقوله [٢]:

قـــد نزلنـــا بروضـــةٍ وغَـــديرٍ وهجرنـا القصـرَ المنيـفَ المشـيدا

وقوله[٣]:

والـروضُ لا تنجلـي أبصـارُه أبـداً إلاَّ إذا رَمَـــدتْ مـــن كثـــرةِ المطَـــرِ

وقوله[٤]:

نَمَا الروض منه في عَذاةٍ مريعةٍ لهـا كوكـبٌ يسـتأنق العـينَ أزْهَـرُ

النرجس:

ذكر الشاعر لفظ النرجس مرتين في قوله[٥]:

والنَّـرْجِسُ الغـضُّ قَـدْ حانـتْ مُقاطفـه كـأنهنَّ عيـونٌ مـا لهـا هُـدُبُ

وقوله[٦]:

ونَرْجِسُـــه مِثْـــلُ عـــينِ الفَتـــاةِ إلـــى وَجْـــهِ عَاشِـــقها رَانيـــهْ

الشيح والقيصوم:

ورد ذكرهما مرتين كما في قوله[٧]:

بَدأ الشِّيحُ والقَيْصومُ عِنْدَ فُروعِه وشـــثٌّ وطُبَـــاقٌ وبـــانٌ وعَرْعَـــرُ

وقوله[٨]:

يريـــــدُ الشِّـــــيح والقَيْصُـــــوم كمـــــا يَسْـــــتَوجَبَ النَّسَـــــبا

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ٩٢ .

[٢] نفسه ، ٩٦ .

[٣] نفسه، ص ١١٢ .

[٤] نفسه، ص ١١٩ .

[٥] نفسه ص ٨٦ .

[٦] نفسه، ص ١٨٣ .

[٧] نفسه ص ١٢٠ .

[٨] نفسه ص ٨٧ .

ثانياً: ألفاظ وصف الخمر:

والمواضع التي ذكرها فيه قوله[١]:

وقَـــــام إليـــــهِ سَـــــاقينا بكـــــأسٍ يَـــــنْظِمُ الحببـــــا

وقوله[٢]:

ناديـــتُ فتيانـــاً تـــرى فـــيهم للكـــأس إفســـاداً وإصـــلاحاً

وقوله[٣]:

فقلتُ لـه المصـباحُ إن كَنْتَ مُسْـرِجاً فقال : قِفوا فالخمرُ في الكأسِ تَسْرجُ

وقوله[٤]:

بعـــريشٍ تَـــرَى مـــن الـــزاد فيـــه زُكْرَتَـــيْ خمـــرة وصـــقراً صـــيودا

وقوله[٥]:

اللَّحْمُ والخَمْرُ لها تَصارا

وقوله[٦]:

إنَّـــي غفلـــت عـــن الســـاقي فصـــيِّرني كمـــا ترانـــي ســـليب العقـــلِ والـــدينِ

ثالثاً :ألفاظ وصف الحُمَّى :

ذكر الشاعر لفظ الحُمَّى مكنياً عنها ببنت المنية قائلاً:

بِنْـــــتُ المَنيَّـــــةِ بـــــي مُوكَّلـــــةٌ عَقِـــب النَّهـــارِ كمُقْـــتضٍ قَرْضـــاً

وقوله[٧]:

بَاكَرَتْـــــهُ الحُمَّـــــى وراحـــــتْ عليـــــه فكســـتْه حُمَّـــى الـــرواحِ بَهَـــارا

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ٨٧ .

[٢] نفسه ، ص ٩٥ .

[٣] نفسه ص ٩٢ .

[٤] نفسه ص ١٢١ .

[٥] نفسه ص ١٨٢ .

[٦] نفسه ص ١١٠ .

[٧] نفسه ص ١٢٩ .

رابعاً: ألفاظ وصف الشيب والشباب:

ذكر الشاعر ألفاظهما أربع مرات كما في قوله[١]:

شـــــباب كـــــأن لـــــم يكـــــنْ وشَـــــيْبٌ كـــــأن لـــــم يَـــــزُلْ

وقوله[٢]:

قالت أرى شَيْبٌ القذال احتلَّهْ

وقوله[٣]:

لاحَ شَـــيْبي فظلـــتُ أَمْـــرحُ فيـــهِ مَـرَحَ الطّـرْفِ فـي اللِّجـام المُحلَّـى

وقوله[٤]:

تـــولَّى الشَّـــبابُ فـــازددتْ غيّـــاً فـــي ميـــادينِ بـــاطلي إذْ تـــولّى

ألفاظ الغزل:

أخذت ألفاظ الغزل حظها على لسان الشاعر ترداداً ذاكراً العيون، الخدود، الهلال والقمر، الغناء، الماء، النرجس، الذكرى والدجى .

العيون:

ورد ذكر العيون ست مرات في قوله[٥]:

وعيـــــونٍ مارقـــــانَ علـــــى حُسْـــنِ وَجْـــهٍ فـــاتهن بكـــتْ

وقوله[٦]:

ومِـــــرِاضٍ مُرْهَفـــــاتٍ فَتَكـــــتْ بـــي وَحَاشَـــاكَ ولا مِثْـــلَ الكَحَـــلْ

وقوله[٧]:

قتلتنـــــي عينـــــك النَّجْـــــ لاءُ والقتـــــــلُ كبيـــــــرهْ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١١٨ .

[٢] نفسه، ص ١٥٤ .

[٣] نفسه، ص ١٥٥ .

[٤] نفسه، ص ١٦٧ .

[٥] نفسه، ص ٨٨ .

[٦] نفسه، ص ١٦٦ .

[٧] نفسه، ص ١٠٧ .

وقوله[١]:

تبـــــيّنُ عينـــــي أنَّ قلبـــــي يُحبُّـــــه وفي العين تَبْيانٌ من الحُبِّ والبُغْضِ

وقوله[٢]:

لـــم يبـــدُ مِنْـــه للعيـــون ســـوى مـــا نَـــالَ مـــن وَجَناتِـــه اللَّحْـــظُ

وقوله[٣]:

إنَّ العيـــونَ إذا مكَّـــنَ مِـــنْ رَجُـــلٍ يَفْعَلْـنَ بالقَلْـب مـا لا يَفْعَـلُ الأَسَـلُ

الخدود:

ورد لفظ الخدود ست مرات كما في قوله[٤]:

وبنُونَيْك على خدّيْكَ من غير دواتكْ

وقوله[٥]:

وتحـــــــــذيفك خَـــــــــدَّيْكِ وتجعيـــــــــدك للطُّـــــــــرَّهْ

وقوله[٦]:

فـــأظهروا اليـــوم رَشْـــفَ الخُـــد ودِ والرَّشْـــــــــفِ يَشْـــــــــفي

وقوله[٧]:

ومتخذٍ على خَدَّيه من أصْداغهِ حَلَقا

وقوله[٨]:

وإحمـــرارَ الخَـــدِّ مِـــنْ خَجَـــلٍ إنَّنـــــي أسْتَحْسِـــــنُ الخَجَـــــلا

وقوله[٩]:

وبـــدت وردة القَســـامةِ مـــن خـــدّيك فـــي مُشـــرقٍ نقـــيٍّ أســـيلِ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٢٨ .

[٢] نفسه، ص١٣٣ .

[٣] نفسه، ص ١٥٥ .

[٤] نفسه، ص ٩١ .

[٥] نفسه، ص١١٨.

[٦] نفسه، ص ١٤٣ .

[٧] نفسه، ص ١٤٥ .

[٨] نفسه ص ١٦٠ .

[٩] نفسه، ص ١١٣ .

الهلال والقمر: ورد لفظهما خمس مرات في قوله[١]:

لعُتْبـــــةَ صَـــــفْحتا قَمَـــــرٍ يَفـــــوقُ سَـــــناهما القَمَـــــرا

وقوله[٢]:

وكبَّـرتُ عشـراً ثـم قلـتُ لصـاحبي مَتى نَزَلَ البدرُ المنيرُ إلي الأرضِ

وقوله[٣]:

لمَّـــا رَأَيْـــتُ البَـــدْرَ فـــي أُفـــقِ السَّـــماءِ وَقْـــد تَعلَّـــي

وقوله[٤]:

تكشـف عنـك مـا عنيـت منـه كمـا انكشـف الغَمـام عـن الهـلال

وقوله[٥]:

بَـدَتْ بَـيْنَ أثـوابِ الحَـدادِ كأنَّهـا هـلالٌ أتَـى مِـنْ غَمْـرةٍ فتموَّهـا

الغناء: ومن المواضع التي ذكر فيها الغناء قوله[٦]:

حبَّـذا تلـك إذ تغنِّيـك يـا يحـ يـى وتسـقيك مـن ثنايـا عِـذاب

وقوله[٧]:

إذ تغنيـك فـوق سَـجْفٍ رقيـقٍ نَغَمـاتٍ تحبُّهـا بصـوابِ

وقوله[٨]:

غنيـاني، يُغَنيّـاني بلحـنٍ سـلس الرجـع يصـدع الجلمـودا

وقوله[٩]:

وأغنيـك إن هويـت غنـاء غيـر مسـتكره ولا مملـولِ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٢٨ .

[٢] نفسه ص ١٥٣ .

[٣] نفسه ص ١٦٤ .

[٤] نفسه ص ١٩٦ .

[٥] نفسه ص ٨١ .

[٦] نفسه ص ٨٢ .

[٧] نفسه ، ص ٩٦.

[٨] نفسه ص ١٦٠ .

[٩] نفسه، ص١٧١.

وقوله[١]:

وأغنيـــــه ثـــــم أســـــمع منـــــه ونـــــديم فديتـــــه مـــــن نـــــديمِ

الدُّجى:

ذكره الشاعر خمس مرات كما في قوله[٢]:

والليـــلَ قـــد أســـبل ثَـــوْبَ الـــدُّجَى والـــوَرْدَ والخيـــريَّ قـــد لاحـــا

وقوله[٣]:

فَضـــحِكْنَ فـــي وَجْـــهِ الـــدُّجى وَبكَـــيْنَ فـــي وَجْـــهَ الصَّـــباحِ

وقوله[٤]:

أقـــول وجـــنحُ الـــدُّجى ملبـــد ولليـــل مـــن كـــل فـــجٍّ يـــدُ

وقوله[٥]:

فلـــو ترانـــا فـــي قمـــيص الـــدُّجى حســـبتنا فـــي جســـدٍ واحـــدِ

وقوله[٦]:

وعيـــونُ النـــاس هاجعـــة ودُجَـــى الظلمـــاء قـــد حَلَكَـــتْ

الريحان:

ورد ذكره ثلاث مرات في قوله[٧]:

كـــأنَّني عانقـــتُ ريحانـــةً تنفَّسَـــتْ ليلهـــا البـــاردِ

وقوله[٨]:

مَـــنْ يهـــدِ ريحانـــاً فـــإني مُهْـــدي
ريحانـــةَ الحَمْـــدِ لأَهْـــلِ الحَمْـــدِ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٧١ .

[٢] نفسه ص ٩٥ .

[٣] نفسه ص ٩٥ .

[٤] نفسه ص ٩٧ .

[٥] نفسه ص ٩٨ .

[٦] نفسه ص ٨٩.

[٧] نفسه ص ٨٩ .

[٨] نفسه، ص ٩٨ .

وقوله[1]:

وقـــد أهـــديت ريحانـــاً طريفـــاً بـــه جاثيـــت مســـتمعاً ســـؤالي

الماء:

ذكره الشاعر ثلاث مرات في معرض الحديث عن الغزل قائلاً[2]:

ولا هممـتُ بشـرب المـاءِ مـن عَطَـشٍ إلاّ وجـدتُ خيـالاً مِنْـك فـي المـاءِ

وقوله[3]:

مـــن فتـــاةٍ كأنَّهـــا خُـــوْطُ بـــانٍ مـــجَّ فيهـــا النعـــيمُ مـــاءَ الشـــبابِ

وقوله[4]:

يَمُـــجُّ ثراهـــا فيـــه عَفْـــراءُ جَعْـــدةٌ كـــأنَّ نـــداها مـــاءُ وَرْدٍ وعَنْبـــرُ

لفظ العروس: ذكره مرتين في قوله[5]:

بنيّتـــــي أصـــــبحتْ عَروســـــاً تُهـــدي مـــن ابنـــي إلـــى عَـــروسِ

وقوله[6]:

ثـم أجلـوك كـالعروس علـى الشَّـرب تهـــادي فـــي مِجســـد مصـــقولِ

الذكرى: ورد لفظها مرتين كما في قوله[7]:

مـــا إن ذكرتُـــك فـــي قـــومٍ أجالســـهم إلاَّ تجـــدَّد مـــن ذكـــراك بلـــوائي

وقوله[8]:

اللهُ يَعْلَـــــمُ أنَّـــــي لَسْـــــتُ أذْكُـــــرُه وكَيْـفَ يَـذْكَرُه مَـنْ لَـيْس يَنْسَـاهُ

---

[1] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٠١-١٠٢ .

[2] نفسه ص ١٠٤ .

[3] نفسه ص ٧٥ .

[4] نفسه ص ٨٢ .

[5] نفسه، ص ١٢٥ .

[6] نفسه ص ١٦٠ .

[7] نفسه ص ٧٥ .

[8] نفسه ص ١٩٣ .

ألفاظ الهجاء:

مثلما كثرت ألفاظ الغزل عند ابن المعذَّل كثرت ألفاظ الهجاء أيضاً مثل: الحيَّة، البصل، يفترُّ، أخي.

الحيَّة: ورد لفظها مرتين في قوله[١]:

وأقْرِنْ إليهِ حيَّةً مُنْسابهْ

وقوله[٢]:

فأقـــدد لـــه حيَّـــة قُـــفٍّ أســـودا أنيابـــه عُـــوجٌ كأمثـــال المـــدى

البصل: ذكره الشاعر مرتين كما في قوله[٣]:

شـــــــــؤم الغـــــــــزل هـــــــــذا الرجـــــــــلْ

حـــــــــين احتفـــــــــل أهـــــــــدى بصـــــــــلْ

وقوله[٤]:

جـــرَّةَ الصـــحناء فـــي طبـــقٍ قـــد أدارو حولهـــا بصَـــلا

يفترّ: ذكره الشاعر مرتين في قوله[٥]:

إذا أفتـــرَّ أبـــرز قَلْـــحَ الأُصـــولِ كمـــا كَشَـــرَ العَيْـــرُ للنهقـــةِ

وقوله[٦]:

تَفْترُّ عن مَضْحكِ السّدري إنْ ضَحِكتْ كَـــرْف الأتـــانِ رأتْ أدْلاء أعْيـــارِ

أخي: تكرر لفظه ست مرات قائلاً[٧]:

عـــذيري مـــن أخ قـــد يبـــدي علـــى مـــن لابـــس الســـلطان عتبـــة

وقوله[٨]:

لـــــي أخٌ لا يُـــــرى لـــــه ســـــائلٌ غيـــــر عاتـــــبِ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل ص ٧٧ .

[٢] نفسه ص ١٠٠ .

[٣] نفسه ص ١٦٢ .

[٤] نفسه ص ١٦٣ .

[٥] نفسه ص ٨٩ .

[٦] نفسه ص ١٢٤ .

[٧] نفسه ص ٧٨ .

[٨] نفسه ص ٨٣ .

وقوله[١]:

لكـــلِّ أخـــي مـــدحٍ ثـــوابٌ يُعـــدُّه ولـيس لمـدحِ البـاهليّ ثـوابُ

وقوله[٢]:

أصـــبْ لأخيـــك يربوعـــاً وضـــبّاً وأتـــرك اللعبـــا

وقوله[٣]:

مـــا لَقِينـــا مِـــنْ أخـــي تَـــيْمٍ ومِـــنْ إرْجَـــافِ قَوْمـــهِ

وقوله[٤]:

لو كان يُعْطي المُنى الأعمام في ابن أخ أصبحت في جوف قرقور إلى الصين

ومن الألفاظ التي تكررت أيضاً في معرض الحديث عن الهجاء لفظ الأمير، القاضي، السلطان.

لفظ الأمير: كما في قوله[٥]:

أبـوك أميـرُ قريـةِ نهـر تِيْـرَى ولسـتَ علـى نسـائك بـالأميرِ

وقوله[٦]:

لعَمْـرُك مـا سَـبَّ الأميـرُ عَـدوه ولكنَّمـا سَـبَّ الأميـرَ المبلـغُ

لفظ القاضي: يقول ابن المعذَّل[٧]:

أيـــا قَاضـــيةَ البصْـــرة قُـــومي فارقصـــي خَطْـــرهْ

وقوله[٨]:

كلَّمـــا جئنـــاه قـــالوا شُـــغِلَ القاضـــي بصـــومهِ

وقوله[٩]:

وينظـر فـي القضـاء بغيـر علـم وأجهـل مـا يكـون إذا تـأنَّى

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ٨٥ .

[٢] نفسه ص ٨٧ .

[٣] نفسه ص ١٧٦ .

[٤] نفسه ص ١٨٦ .

[٥] نفسه ص ١٠٩ .

[٦] نفسه، ص ١٤١ .

[٧] نفسه، ص ١٧٦ .

[٨] نفسه، ص١٨٣.

[٩] نفسه، ص١٩١.

لفظ السلطان: كما في قوله[١]:

عـذيري مـن أخٍ وَقْـد كـان يُبـدي عَلـى مَـنْ لابَـس السـلطانَ عَتْبـهُ

وقوله[٢]:

فلمَّـــا أنْ أتتـــه دُرَيْهمـــاتٌ مـــن الســـلطانِ بَـــاعَ بهـــنَّ ربَّـــه

ألفاظ الرثاء:

أخذت ألفاظ الرثاء حظها على لسان الشاعر ترداداً فذكر البكاء – الندى.

البكاء: ذكر الشاعر لفظه أربع مرات قائلاً[٣]:

أبكـي عليـك عيـونَ الحـيِّ مـن يَمَـنٍ ومـن ربيعـةَ مـا تَبكِـي لـه مضـرُ

وقوله[٤]:

ولا تجمـدا عينـيّ قـد حَسُـنَ البُكـا وفرط الأسى فَقْدُ المغيّب في القمرِ

وقوله[٥]:

وَيَبكِـكَ الـدينُ والـدنيا لِرَعْيِهمـا والبَـرُّ والبَحْـرُ والإعسـار واليُسُـرُ

وقوله[٦]:

ولمثلـهِ بَكـتِ العيـونُ صَـبابةً ولمثلـهِ حَزِنـتْ عليـهِ الأنفـسُ

الندى: ورد لفظه ثلاث مرات في قوله[٧]:

تَـوَلَّى النَّـدى والبـاسُ والحِلـمُ والتقـى فلم يَبْقَ منها بعدَ عمرو سِوى الذكرِ

وقوله[٨]:

كان الندى في شُهور الحَوْلِ مُقْتَسَماً بـين البريـةِ فاغتـالَ النـدى صَـفَرُ

وقوله[٩]:

إنَّ النـدى وأبـا عمـرو تضـمَنَهُ قبـرٌ ببغـداد يُستَسْـقى بـه المطـرُ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ٧٨ .
[٢] نفسه، ص ٧٨ .
[٣] نفسه ص ١١٤ .
[٤] نفسه ص ١٠٣ .
[٥] نفسه ص ١١٥ .
[٦] نفسه ص ١٢٥.
[٧] نفسه ص ١١٦.
[٨] نفسه ص ١١٤ .
[٩] ديوان ابن المعذَّل، ١٠٥ .

ألفاظ الشكوى :

كان ابن المعذَّل يردد ألفاظاً بعينها، مثل الدهر والموت.

الدهر: ذكره الشاعر خمس مرات في قوله[١]:

وكنّا عليه نحذرُ الدّهرَ وحدَهُ فلم يَبْقَ ما يُخشَى عليه من الدَّهرِ

وقوله[٢]:

سَقيا لدهرٍ مضى ما كان أطْيَبَهُ إذ أنت متّبعٌ فالشرطُ دينارُ

وقوله[٣]:

ولم يُعْط منها النهشليُّ أداوةً تكون في القَيْظِ ذُخراً مَدى الدَّهْرِ

وقوله[٤]:

سقيا لدهرك إذ تروَّح يومه والشمسُ في علياء لم تَتَهوّرِ

وقوله[٥]:

أحزَانُ نَفْسي عَنْها غَيْرُ مُنْصَرِمهْ وأَدْمُعي مِنْ جُفون الدَّهْرِ مُنْسَجِمهْ

الموت:

المواضع التي ذكر فيها ابن المعذَّل الموت قوله[٦]:

الموتُ عِنْدي والفِراقُ كلاهما ما لا يُطاقُ

يَتَعاونانِ على النُّفوسِ فذا الحِمامُ وذا السِّياقُ

وقوله[٧]:

لموتهمُ أَطقتَ لَهُ انضماما ولولا ذاك لم تُطِق اتساعا

وقوله[٨]:

حانتْ مَنيَّتُه فأسودَّ عارضُهُ كما تسوَّدَ بَعْدَ الميِّتِ الدَّارُ

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١١٦ .

[٢] نفسه، ص١١٤.

[٣] نفسه ، ص ١٠٦ .

[٤] نفسه ص ١٠٨ .

[٥] نفسه ص ١٧٢ .

[٦] نفسه ص ١٤٥ – ١٤٦ .

[٧] نفسه ص ١٣٥ .

[٨] نفسه، ص ١١٦ .

ألفاظ الاعتذار :

هو من أكثر الألفاظ دوراناً على لسانه، كالعذر، الذنب، العتاب، وغيرها، يقول الشاعر[١]:

فمتى خُمِرتَ فأنتَ في سَعَةٍ ومتى هفوتَ فانت في عذرِ

وقوله[٢]:

لئن لم تكن عيناك عذرك لم تكن لدينا بمحمود ولا ظاهر العُذْرِ

وقوله[٢]:

النفس تسخو ولكن يمنع العُسْرُ والحرّ يَعذِرُ من بالعُسْرِ يعتذرُ

وقوله[٣]:

عُذْرُكَ عِنْدي بِكَ مَبْسُوطُ والذَّنْبُ عن مِثْلك مَحْطُوطُ

وقوله[٤]:

ليس لي عُذْرٌ وعِنْدي بلْغةٌ إنَّما العُذْرُ لمَنْ لا يَستطيعُ

وقوله[٥]:

إن أكن مذنباً فعندي رجوعٌ وبَلاءٌ بالعُذْرِ والأعتابِ

الألفاظ المعرَّبة:

ذكر الشاعر بعض الألفاظ المعرَّبة مثل جوخانة، الخوان، العلوج، آراء، الطيلسان .

جوخانة[٦]: قال ابن المعذَّل[٧]:

وأبعثْ على جوخانة سِنْجابه

---

[١] نفسه ص ١٠٦ .

[٢] نفسه ص ١٠٧ .

[٣] نفسه، ص ١٠٩ .

[٤] نفسه ١٣٢ .

[٥] نفسه ص ١٣٤ .

[٦] نفسه ص ٧٩ .

[٧] جوخانة : كلمة فارسية تعني بيت الشعير والشائع في البصرة أنها تعني المخزن للتمر أو لغيره .

[٨] ديوان ابن المعذَّل، ص ٧٧ .

الخوان[١]: يقول ابن المعذَّل[٢]:

فاستبقِ عينك وأحش قلبكَ يأسَهُ وأقرا السلام على خوان المنذرِ

العلوج[٣]: يقول ابن المعذَّل[٤]:

إنَّ العلوج على ابن عمك أصفقوا فأتوك عنه بأعظم البهتانِ

آرا[٥]: يقول[٦]:

فقلتُ أحسستٍ فقالتْ آرا

الطيلسان[٧]: يقول[٨]:

طَيْلسان لو كان لفظاً إذا ما شَكَّ خَلْقٌ في أنَّه بُهْتَانُ

ألفاظ الأماكن:

ثمة ألفاظ تخف على لسان شاعرنا ابن المعذَّل هي أسماء لأماكن مثل قرية نهر تِيْرى والرخج وكرنبا والسهب وعكبرا والمنجاب والعذيب وغيرها ... الخ) .

نهر تِيرى[٩]: ورد ذكره مرتين في قوله[١٠]:

أبوك أميرُ قريةِ نهر تِيرى ولستَ على نسائك بالأميرِ

وقوله[١١]:

بنى العَبْدِ المقيمِ بنهر تِيرى لقد أنهضتْ طيرُكم نُحوسا

---

[١] الخوان : ما يوضع عليه الطعام [معربة] .

[٢] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٠٨ .

[٣] العلوج : جمع علج وهو الرجل الضخم من العجم .

[٤] الديوان، ص ١٨٤ .

[٥] آرا : كلمة فارسية معناها نعم .

[٦] ديوان ابن المعذَّل ، ص ١٢٢ .

[٧] الطليسان : كساء أخضر يلبسه الخواص وهو من لباس العجم .

[٨] الديوان، ص ١٨٧ .

[٩] نهر تيري : بكسر التاء ويا ساكنة وراء مفتوحة مقصور، نهر في نواحي الأهواز حفره آردشير الأصغر بن بابك .

[١٠] ديوان ابن المعذَّل ص ١٠٩ .

[١١] نفسه ص ١٢٦ .

رخج[١]: ذكره مرتين في قوله[٢]:

الرُّخجيـــون لا يوفـــون مـــا وعـــدوا والرُّخجيـــات لا يُخْلِفـــنَ ميعـــادا

وقوله[٣]:

إمـــام الهـــدى أدركْ وأدرك وأدركِ وَمُـــر بـــدماءِ الـــرُّخجيَّنَ تُسْـــفَكِ

كرنبا[٤]: يقول الشاعر[٥]:

ولـــم تَـــرَ أبْلَـــغَ مـــن نَـــاطِقٍ أتتْـــه البلاغـــةُ مـــن كَرْنَبـــا

المنجاب[٦]: ذكره الشاعر في قوله[٧]:

حبَّـــذا قينـــةٌ لأهـــلِ بنـــي المنجـــاب حَلَّـــتْ فـــي رُحبـــةِ المنجـــابِ

السَّهب[٨]: ذكره ابن المعذَّل قائلاً[٩]:

ذَكَـــرَ القَلْـــبِ ذِكْـــرةً أمَّ زيـــدٍ والمطايـــا بالسَّـــهْب سَـــهْبِ الرِّكـــاب

عُكْبرا[١٠]: ورد ذكره في قوله[١١]:

لعمـــري لقـــد أظهـــرت تيهـــاً كأنَّمـــا تولّيـــتَ للفَضْـــل ابـــن مـــروان عُبْكـــرا

العُذَيْب[١٢]: ذكره الشاعر في قوله[١٣]:

معـــانٍ مـــن العَـــيْشِ الغَريـــرِ ومَعْمـــرُ ومبـــدى أنيـــقٍ بالعُـــذَيْبِ ومَحْضَـــرُ

---

[١] الرخجيون : مفردها رخجي بضم الراء وتضعيف الخاء والياء وهو منسوب إلى رخج وهي من نواحي كابل .

[٢] ديوان ابن المعذَّل ص ٩٩ .

[٣] الديوان ص ١٥١ .

[٤] موضع في نواحي الأهواز كانت به واقعة الخوارج وأهل البصرة .

[٥] ديوان ابن المعذَّل، ص ٧٨ .

[٦] المنجاب :هو منجاب بن راشد الضبي صاحب الحمام المعروف بـ (حمام المنجاب) في البصرة ويظهر أن المنطقة التي كان فيها منجاب سميت باسمه .

[٧] ديوان ابن المعذَّل ص ٨١.

[٨] السهب : بفتح السين، ما استوى من الأرض وهو اسم مكان هنا .

[٩] الديوان ص ٨٢ .

[١٠] عكبرا : بليدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

[١١] الديوان، ص ١٦٢ .

[١٢] العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة .

[١٣] ديوان ابن المعذَّل ص ١١٩ .

الصين: ورد في قوله[١]:

لو كان يُعْطي المُنى الأعمام في ابنِ أخٍ أصبحت في جوف قرقورٍ إلى الصينِ

يبرين[٢]: ذكره الشاعر قائلاً[٣]:

فكيف بالصبرِ إذ أصبحت أكثر في مَجَال أعيننا من رَمْلِ يَبْرينِ

اليمامة والبحرين: ورد ذكرهما في قوله[٤]:

أمَا كَانَ في قَسْبِ اليَمامة والثَّمرِ وفي أدَمِ البَحْرينِ والنَّبَقِ الصُّفْرِ

أكثر شاعرنا ابن المعذَّل من ذكر بعض المعاني والعبارات الإسلامية في شعره قائلاً [٥]:

أيُّها الرافعُ في المسجد بالصوتِ العقيرهْ

فذلك الحبُّ لا إتيانَ مَعْصيةٍ لا خَيْرَ في لَذَّةٍ من بَعْدِها سَقَرُ[١]

سأجْزِيك شكري ما حَييت فإن أمتْ أُبقِّ ثناءً فيكَ يَبْقى إلى الحَشرِ[٢]

كأنَّ لنا النَّار من دونه وأفراده الله بالجَنَّهْ[٣]

قتلني عينك النَّجلُ لاءُ والقتلُ كبيرهْ[٤]

مدحتُ ابن سَلْمٍ والمديحُ مهزَّةٌ فكانَ كصَفْوانٍ عليه ترابُ[٥]

أُشبِّهُ بوجهكَ فهو وَجْهٌ عَبوسٌ قمطريرٌ لَنْ يُراما[٦]

أطاع الفريضة والسُّنَّة فتاه على الأنس والجِنَّهْ[٧]

---

[١] ديوان ابن المعذَّل، ص ١٨٦ .

[٢] يبرين اسم موضع في البحرين كثير الرمل .

[٣] ديوان ابن المعذَّل ص ١٨٦ .

[٤] نفسه ص ١٠٧ .

[٥] نفسه، ص١٨٥

[١] نفسه، ص ١٢٣ .

[٢] نفسه ص ١٠٥ .

[٣] نفسه ص ١٨٥ .

[٤] نفسه ص ١٠٧ .

[٥] نفسه ص ٨٥ .

[٦] نفسه ص ١٧١ .

[٧] نفسه ص ١٨٥ .

ويظهر جلياً مما تقدم أن شعر ابن المعذَّل حفل بمعجم شعري متنوع الألفاظ والعبارات في أغراض شتى، ولعلَّ جُلَّ ألفاظه مستمدة من بيئة البصرة الحضرية، وهي ترد في قصائد تتناول مجالس الشاعر وما يدور فيها من أحاديث جانبية بينه وبين ندمائه وأصفيائه، ولذا قلما نجد فيها صعوبة أو وعورة، بل هي من السهولة بمكان تؤكد ما ذكرناه من قبل إنه شاعر وظريف من ظرفاء البصرة على حد قول ابن المعتز .

خاتمة البحث

فيما يلي أوجز ما توصلت إليه من نتائج في دراستي [عبد الصمد بن المعذَّل وفنونه الشعرية] عبد الصمد بن المعذَّل شاعر عباسي من أبرز شعراء البصرة وظرفائها كان ذا شهرة عالية في زمانه غير أن ظهور أبي تمام أخمد ذكره بعض الشيء فيما بعد .

طرق شاعرنا ابن المعذَّل فنوناً شعرية عدة في مقدمتها فن الوصف واصفاً الرياض والبساتين والحيوان ومجلس الشراب والحُمَّى والشيب والشباب والطيف والسفينة والبرد، وهو مجيد في معظم هذه الأوصاف خاصة وصفه النخل ومرض الحُمَّى .

كان ابن المعذَّل بارعاً في فن الهجاء يصيب مهجوه بسهام مصمية مكثراً من هجاء الأخلاء والجلساء ولكنه يخلو من عصبية قبلية وحقد، بل هو عبث وتظرف تارة وتهكم وسخرية لاذعة تارة أخرى .

أكثر شاعرنا من فن الغزل الحسي، وقد نالت الجارية المغنية النصيب الأكبر منه، لأنه كان يقصد مجالس اللهو والغناء متعلقاً بالجواري المغنيات رغم أنه ذكر نساء أخريات غير الجواري . ثم انه طرق باباً آخر من أبواب الغزل بالمذكر، ونظراً لقبح وسماجة هذا الموضوع فإننا تركنا الحديث عنه حياءً وأدباً مشيرين إلى مواضعه في الديوان .

رثى الشاعر بعاطفة حزن حرَّى سعيد بن سلم الباهلي وعمرو بن سعيد بن سلم مبدياً حزناً عميقاً على فقدهما معدداً مآثرهما، ذاكراً حاجة الناس إلى عطائهما الجزيل مبالغاً في تصوير الحزن حتى عم الكون كله .

وله رثاء في شخص أكول يدعى أبا سلمة ذاكراً شهوته في تناول الطعام. وتبدو صورة الرثاء عنده تقليدية .

ألمَّ ابن المعذَّل بشيء من أبيات فن الاخوانيات في شعره داعياً إلى الود بين الأصدقاء والوفاء بينهم أن لا خير في صديق لا يحفظ الأسرار ولا يبادل الود بود أكثر منه وهذا يقودنا إلى شعر العتاب عنده منكراً على بعض أصدقائه تحولهم عنه حين يتقلد الواحد منهم منصباً رفيعاً، مذكراً إياهم بأيام الوداد والوصال الماضيات .

في شعر ابن المعذَّل شيء يسير من فن المدح خص به سعيد بن سلم وإبراهيم بن رياح وابنه الحسن ذاكراً كرمهم وأياديهم البيضاء بالبذل والعطاء . غير أن ابن المعذَّل لم يمدح الخلفاء والأمراء في عصره، ويبدو أن تشاغله وأنسه صرفه عن ذلك، أو أنه لم يكن في حاجة ماسة لأن يطرق أبوابهم .

فخر الشاعر بمزاياه وصفاته الشخصية من الشهامة والإقدام وإتلاف المال والإحسان إلى المولى وركوب الأهوال والرزانة ولا جديد في فخره ها هنا، وأنه يكرر صفات تواضع عليها الشعراء من قديم الزمان .

نلمح إشارات الحكمة في شعر ابن المعذَّل قليلة، متحدثاً عن الآجال والغناء والقناعة ذاكراً المثل [وافق الشن الطبق] في تشابه الشخصين في صفة سيئة، ولكن الحكمة عنده بعيدة عن التأمل والنظرة العميقة، ولعلها لم توافق طبعه اللاهي .

وتبدو شخصية شاعرنا ابن المعذَّل واضحة من خلال ما طرقه من فنون شعرية واصفاً هاجياً متغزلاً راثياً معاتباً ذاكراً الحكمة، فهو يمثل الشخصية الحضرية التي تميل إلى اللهو والعبث والظرف كثيراً وإلى الجد والصرامة قليلاً .

في مستهل الحديث عن الدراسة الفنية تناولنا بناء القصيدة، ولمَّا كان شاعرنا لا يقدم لقصائده بمقدمات تقليدية، بل كان يباشر موضوعه، ولم نجد عنده مقدمات وتخلصات ولهذا تناولنا بناء القصيدة عنده في موضوعين هما: خاتمة القصيدة ووحدتها متحدثين عن ضروب خواتيم القصائد عنده ما بين خاتمة جيدة توحي بانتهاء الكلام فتكون قفلاً له وخاتمة مفتوحة لا تلم بشروط جودة الخاتمة متناولين وحدة القصيدة شعوراً وموضوعاً في شعره، وكان من أكثر الشعراء إجادة في مقطوعات القصائد .

أما الصورة الفنية، فللتشبيه دور مهم في تشكيلها متخذاً مادته من بيئته المحيطة به متناولاً الطبيعة بحيوانها ونباتها، ذاكراً صور الغزل والهجاء والرثاء

والمدح ناقلاً إلينا كثيراً من الصور الحضرية الطريفة، مضيفاً إلى التشبيه صوراً استعارية تشخيصية تارة وتجسيمية تارة أخرى، والاستعارة عنده ليست على مستوى واحد فمنها البارع جداً ومنها ما دون ذلك، ولكن القاسم المشترك بينها الرقة ورهافة الإحساس، ثم تأتي صورة الكناية مكملة عناصر الصورة الفنية عند شاعرنا ما بين كناية عن صفة وأخرى عن موصوف في قالب السخرية والتهكم، وعنده كنايات تخدش الحياء والأدب أشرنا إلى مواضعها في شعره .

أكثر ابن المعذَّل من فنون البديع اللفظي والمعنوي كرد العجز على الصدر والطباق والمقابلة والتكرار والتقسيم وقد بينا دورها في موسيقى البيت الشعري حين تتآذر جميعها محدثة نغماً ورنيناً ترتاح له أذن السامع .

وفي الموسيقى تناولنا البحور التي نظم فيها شاعرنا ابن المعذَّل وهي ثلاثة عشر بحراً أولها بحر الرجز وآخرها بحر المجتث وقد حاولنا جاهدين أن نربط هذه البحور بما يوافقها من المعاني والأغراض عنده وشاعرنا في هذا الجانب موفق إلى حد بعيد، واللافت للنظر هنا أنه أعطى بحر الرجز حق الصدارة متقدماً على بحور الطويل والبسيط والكامل .

وفي حديثنا عن القوافي أوضحنا أن شاعرنا أتى بكثير من قوافيه ذُللاً ثم ألم بالقوافي النفر والحوش والمقيدة قليلاً، وأكثر قوافيه مكسورة حرف الروى ثم الروى المفتوح والمضموم والمقيد . أما عيوب القوافي عنده قليلة جداً مثل الإيطاء ويأتي عنده قريباً تارة وبعيداً تارة أخرى .

وفي المبحث الأخير من البحث تناولنا المعجم الشعري ذاكرين أكثر الألفاظ دوراناً على لسانه مثل ألفاظ الوصف والهجاء والغزل والرثاء، وهي في جملتها ألفاظ حضرية مستمدة من بيئة الشاعر .

ومن عملنا في شعر ابن المعذَّل نقول إنه شاعر حضري متوسط الدرجة بين شعراء عصره، لا يبلغ مقام الكبار من أمثال بشار بن برد وأبي تمام وأبي نواس ومسلم بن الوليد ولا ينحدر إلى درجة الشعراء الضعاف في عصره، وقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أن ظهور أبي تمام أخمل ذكره ولولا ذلك لكان له شأو وشأن بين فحول الشعراء في عصره .

الاقتراحات

أولاً : يمكن للباحثين الإفادة من شعر ابن المعذَّل في سبر غور شخصيته، فهو ترجمان أصيل لها .

ثانياً : دراسة شعره بمنهج أسلوبي إحصائي .

ثالثاً : إفراد شعره بمزيد من العناية، فقد أغفله الدارسون المتحدثون فلا توجد دراسة مستقلة له .

والجديد في هذا البحث أنه ربط حياة شاعرنا ابن المعذَّل بشعره –ما أمكن الربط– مظهراً أثر بيئة البصرة الحضرية في شعره لغةً وأسلوباً، لا سيما وأنه احد ظرفاء مجالسها، رغم حِدَّة لسانه .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١. **الأخطـل** : ديـوان الأخطـل، تحقيـق إسـماعيل اليوسـف، دار الكتـاب العربـي، سوريا [بلا تاريخ] .

٢. **الأصفهاني** : [أبو الفرج علي بن الحسين]، الأغاني الجزء الأول إلى الثلاثين دار الثقافة بيروت، ١٩٥٨ .

٣. **البـدري** : أبـو البقـاء [تـ ٢٨٤هـ] سـحر العيـون، طبـع علـى الحجـر، مصـر ١٢٧٦هـ .

٤. **البغدادي** : [أبو بكر أحمد بن علي الخطيب] [تـ ٤٦٣هـ]، تاريخ بغداد أربعة عشر جزء، الطبعة الأولى ١٩٣١ .

٥. **التبريزي** : [أبو بكر زكريا يحيى بن علي] الوافي في العروض والقوافي تحقيق : عمر يحي وفخر الدين قباوة، طبع دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٦. **الثعالبي** : [أبو بكر منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٣٨٤هـ – ١٩٥٦م .

٧. **خاص الخاص**، قدم له حسن الأمين منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، (بلا تاريخ) .

٨. **الجـاحظ** : [أبـو عمـرو عثمـان بـن بحـر الجـاحظ]، البيـان والتبـين أربعـة أجـزاء تحقيق عبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠م .

٩. **الجرجاني** : [أبو بكر عبد القاهر الجرجاني] دلائل الإعجاز، طبع دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

١٠. **أسرار البلاغة** : تصحيح وتعليق محمد عبده، طبع دار المعرفة بيروت، لبنان الطبعة الثانية، [بلا تاريخ] .

١١. **ابن حزم الأندلسي** : [أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الأندلسي] جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .
١٢. **الحصري القيرواني** : [أبو اسحق إبراهيم الحصري القيرواني]، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك أربعة أجزاء، دار الجيل، بيروت، [بلا تاريخ] .
١٣. **ابن رشيق القيرواني** : [أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني]، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج ١–٢ مطبعة حجازي القاهرة ١٩٤٣م .
١٤. **الزبيدي** : [أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي [تـ ٣٧٩هـ] طبقات النحويين واللغويين الطبعة الأولى ١٩٥٤م .
١٥. **الزوزني** : [أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني] شرح المعلقات السبع، طبع دار الجيل بيروت، لبنان الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
١٦. **السراج** : [أبو محمد جعفر بن أحمد]، مصارع العشاق، مطبعة الجوائب .
١٧. **السيوطي** : [جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر السيوطي]، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١–٢ طبع دار أحياء الكتب العربية في القاهرة [بلا تاريخ] .
١٨. **الشريف المرتضى** : [أبو القاسم علي بن الحسين]، طيف الخيال، تحقيق حسن كامل الصيرفي، نشر وزارة الثقافة مصر، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٦٢م .
١٩. **الصفدي** : [صلاح الدين خليل بن أيبك] الوافي بالوفيات، ج١٥ المكتبة المركزية، جامعة بغداد .
٢٠. الغيث المسجم في شرح لامية العجم، جزاءان المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٠هـ .
٢١. **الصولي** : [أبو بكر محمد بن يحي [تـ ٣٣٥هـ] أخبار أبي تمام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الأوراق، قسم أخبار الشعراء، الطبعة الأولى، مطبعة الصاوي، القاهرة .

٢٢. **ابن طباطبا** : [أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم]، عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٢٣. **الطبري** : [أبو جعفر محمد بن جرير الطبري]، تاريخ الطبري المسمى بتاريخ الأمم والملوك الجزء الخامس، طبع المطبعة الحسينية في القاهرة سنة ١٣٢٦هـ .
٢٤. **العباسي** : [عبد الرحيم بن أحمد العباسي[تـ ٩٦٣هـ]، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد، أربعة أجزاء عالم الكتب بيروت، [بلا تاريخ] .
٢٥. **ابن عبد ربه** : [شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي] العقد الفريد، ج١-٤، طبع المطبعة الأزهرية [مصر]، سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.
٢٦. **عبد الصمد بن المعذَّل** : [ديوان عبد الصمد بن المعذَّل] حققه وقدم له الدكتور زهير غازي زاهد، طبع دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٢٧. **العلوى اليمنى** : [يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوى اليمني]، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الجزء الثالث، طبع دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، [بلا تاريخ] .
٢٨. **العكبري** : [أبو البقاء عبد الله بن الحسين [تـ ٦١٦هـ] التبيان في شرح ديوان المتنبئ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، وعبد الحفيظ شلبي، الجزء الثالث، دار المعرفة، بيروت لبنان، [بلا تاريخ] .
٢٩. **ابن العماد الحنبلي** : [عبد الحي بن أحمد بن محمد [تـ ١٠٨٩هـ] شذرات الذهب في أخبار ذهب، ثمانية أجزاء القاهرة، ١٣٥٠هـ .
٣٠. **العمري** : [شهاب الدين أحمد بن يحي [تـ ٧٤٩هـ] مسالك الأبصار في مسالك الأمصار في ممالك الأمصار، دار الكتب المصرية معارف عامة، ج٣.
٣١. **أبو الفداء** : [عماد الدين إسماعيل [تـ٧٣٢هـ]، تاريخ أبي الفداء المطبعة الحسينية القاهرة .

٣٢. **ابن قتيبة** : [أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري]، الشعر والشعراء، تحقيق محمد عبد الغني حسن، طبع دار المعارف مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٣٢هـ .
٣٣. **المعارف:** حققه وقدم له : دكتور ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف [بلا تاريخ].
٣٤. **قدامة بن جعفر** : [أبو الفرج قدامة بن جعفر]، نقد الشعر، طبع مطبعة الجوائب القسطنطينية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٠٢هـ .
٣٥. **القزويني** : [جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين عبد الرحمن القزويني]، الإيضاح في علوم البلاغة، طبع دار الجيل، بيروت، لبنان، [بلا تاريخ] .
٣٦. **القاضي الجرجاني** : [علي بن عبد العزيز الجرجاني]، الوساطة بين المتنبئ وخصومه، مطبعة العرفان، صيدا .
٣٧. **المبرد** : [أبو العباس محمد بن يزيد [تـ ٢٨٥]، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف بيروت، جزءان .
٣٨. **المسعودي** : [أبو الحسن علي بن الحسين[تـ ٤٣٦هـ] مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر.
٣٩. **المرزباني** : [أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى]، معجم الشعراء تحقيق عبد الستار، فراج القاهرة، ١٩٦٠م .
٤٠. **الموشح** : [وقف على طبعه واستخراج فهارسه محب الدين الخطيب المطبعة السفلية، القاهرة الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م] .
٤١. **ابن المعتز** : [أبو العباس عبد الله بن المتعز بالله الخليفة العباسي]، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثالثة، دار المعارف مصر [بلا تاريخ] .

٤٢. **البديع** : طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي في القاهرة سنة ١٣٦٤هـ – ١٩٥٤م .
٤٣. **المعري** : [أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري]، رسالة الغفران تحقيق وشرح محمد عزت نصر الله، طبع دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، [بلا تاريخ] .
٤٤. **ابن منظور** : [أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور]، لسان العرب، ج ١–١٥ طبع بيروت سنة ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م .
٤٥. **ابن منقذ** : أسامة [تـ ٥٨٤هـ] البديع في نقد الشعر تحقيق أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، طبع مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠م القاهرة .
٤٦. **الميداني** : [أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعرف بالميداني] مجمع الأمثال ج ١–٢ طبع دار الفكر بيروت، ١٩٧٢م .
٤٧. **الكتبي** : [محمد بن شاكر بن أحمد [تـ ٧٦٤هـ] عيون التواريخ، دار الكتب المصرية ١٣٩٧هـ .
٤٨. **فوات الوفيات** : [تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد]، مطبعة السعادة، القاهرة.
٤٩. **ابن النديم** : [محمد بن اسحق بن النديم] [تـ ٣٨٥هـ]،
٥٠. **الفهرست** : الاستقامة القاهرة.
٥١. **أبو هلال العسكري** : [أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري]،جمهرة الأمثال، ج١–٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، طبع دار الجيل، بيروت لبنان الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٥٢. **ديوان المعاني**: ج ١–٢، طبع مكتبة القدسي في القاهرة سنة ١٣٢٥هـ .
٥٣. **الصناعتين** : الكتابة والشعر، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ .
٥٤. **وكيع** : [محمد بن خلف بن حيان] [تـ ٣٠٦هـ]، أخبار القضاة ثلاثة أجزاء، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٧م .
٥٥. **ياقوت الحموي** : [أبو عبد الله شهاب الدين[تـ ٦٢٦هـ] .
٥٦. معجم البلدان ستة أجزاء، طبعة وستنفلد، ليبسغ، ١٨٦٦ – ١٨٧٠م
٥٧. معجم الأدباء [إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب] سبعة أجزاء طبعة مرجليبوث، القاهرة، مطبعة هندية، ١٩٠٨–١٩١٦م .

ثانياً :المراجع :

١. **إبراهيم أنيس** [دكتور] موسيقى الشعر، طبع دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢م .

٢. **إبراهيم رفيدة** الأدب العربي وتاريخه [في العصر الأموي والعباسي الأول]، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة القاهرة ١٩٦٦م .

٣. **أحمد شلبي** [دكتور]، موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء الثالث الخلافة العباسية، العصر العباسي الأول، الطبعة الحادية عشر ١٩٩٦م ، مكتبة النهضة المصرية .

٤. **أحمد بن علي** : المنتخل في تراجم شعراء المنتحل المطبعة التجارية، الإسكندرية، [بلا تاريخ] .

٥. **أحمد كمال زكي** : الحياة الأدبية في البصرة، دار الفكر، دمشق ١٩٦١م .

٦. **إيليا حاوي** : فن الوصف وتطوره في الشعر العربي الجزء الأول، منشورات دار الشرق الجديد، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩م .

٧. فن الفخر وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٠م .

٨. فن الهجاء وتطوره عند العرب، طبع دار الثقافة، بيروت، لبنان، [بلا تاريخ] .

٩. **بطرس البستاني** : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، طبع دار مارون عبود، لبنان، سنة ١٩٧٩م .

١٠. **بلات شارل** : الجاحظ [ترجمة إبراهيم الكيلاني] سنة ١٩٦١م

١١. **البكري** : [محمد توفيق البكري] أراجيز العرب، طبع القاهرة، سنة ١٣١٣هـ .

١٢. **جابر عصفور**: [دكتور] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي طبع دار الثقافة، القاهرة سنة ١٩٧٤م.

١٣. **الحوفي** : [أحمد محمد الحوفي]، المرأة في الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، [بلا تاريخ].

١٤. **الزركلي** : [خير الدين الزركلي] الأعلام [قاموس تراجم]، دار الملايين لبنان الطبعة الرابعة عشرة فبراير ١٩٩٩م.

١٥. **زكي مبارك** : النثر الفني، في القرن الرابع جزاءان الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة مصر .
١٦. **سعد إسماعيل شلبي** : [دكتور] الأصول الفنية للشعر الجاهلي، نشر مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٧٧م .
١٧. **شكري محمد عياد** : [دكتور]، موسيقى الشعر العربي، طبع دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٨م.
١٨. **شوقي ضيف** : [دكتور]، العصر الإسلامي، دار المعارف الطبعة العشرون، [بلا تاريخ] .
١٩. **العصر العباسي الأول** : دار المعارف، مصر الطبعة الرابعة عشر، [بلا تاريخ] .
٢٠. **طه حسين** : [دكتور]، حديث الأربعاء الجزء الأول، طبع دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، [بلا تاريخ] .
٢١. **عبد الحميد الراضي:** شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٧٤م – ١٩٧٥م .
٢٢. **عبد القادر القط** : [دكتور]، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي، المعاصر طبع مكتبة الشباب .١٩٧٨
٢٣. **عبد الله الطيب المجذوب** : [دكتور] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ج ١– ٣ طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م .
٢٤. **عبد المنعم تليمة** : [دكتور]، مدخل إلى علم الجمال الأدبي، طبع دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٧٨م .
٢٥. **العقاد** : [عباس محمد العقاد]، ابن الرومي، حياته من شعره، الطبعة الرابعة، مصر، القاهرة .
٢٦. **علي إبراهيم أبو زيد** : [دكتور]، الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، طبع دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨١م .
٢٧. **عمر فرّوخ** : تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان الطبعة اسادسة، ١٩٩٢م .
٢٨. **العمروسي فايد** : الجواري المغنيات، طبع دار المعارف [بلا تاريخ] .

٢٩. **لطفي عبد البديع** : [دكتور]، التركيب اللغوي للأدب، طبع مطبعة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٧٠م .
٣٠. **محمد عبد المنعم خفاجي** : [دكتور]، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، طبع المكتبة التجارية، [مصر] سنة ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م .
٣١. **محمد زغلول سلام** : [دكتور] تاريخ النقد العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، طبع دار المعارف، مصر سنة ١٩٦٤م .
٣٢ . **محمد غنيمي هلال** : [دكتور]، الأدب المقارن، طبع دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٧م .
٣٣. دراسات ونماذج من مذاهب الشعر ونقده، طبع دار نهضة مصر، القاهرة [بلا تاريخ].
٣٤. النقد الأدبي الحديث، طبع دار نهضة مصر [بلا تاريخ] .
٣٥. **محمد مندور** : [دكتور]، النقد المنهجي عند العرب، طبع دار نهضة مصر القاهرة الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٩م .
٣٦. **مصطفى ناصف** : [دكتور] الصورة الأدبية، طبع مكتبة مصر، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٥م .
٣٧. **الميمني** : [عبد العزيز الميمني] فهارس سمط اللآلىء على قرار مبتكر مفيد أسماء الشعراء مع سرد القوافي مرتبة مع ذكر أسماء الشعراء والتراجم الواردة والأمثال السائرة، عليكرة، الهند، [بلا تاريخ] .
٣٨. **كارل بروكلمان** : تاريخ الأدب العربي [ترجمة عبد الحليم النجار] دار المعارف مصر ١٩٥٩م.